

کتابخانه صنفی کارخانه مالی حیثیت دکن

۲۵۲۲۲

لاہور ۱۳۰۳

نمبر ۱۰

تاریخ ۱۳۰۳

جلد ۱

ملوک امرا

اتحاد

نام کتاب

فہرست کتاب

نمبر

۱۳۰۳

نمبر کتاب فن مذکور

S202
~~51A~~

هذا هو الجزء الثاني من كتاب اتحاف ملوك
الزمان بتاريخ الامبراطور شيركان
ترجمه من القرطاساويه الى العربية
الفقير الى الله تعالى خليفه محمود
وبليه الجزء الثالث

مرست الجرد الثاني من كتاب احاديث ، شيخ الاميراطور شرعاً كان

五、

المقالة الخامسة

مطلب غضب اهل ابد و اكافه علي الا براس

مطلب العلم به لمنعه على الأجيال

اللبه نورة اهل خانه مسدود رتبه است و اما مسدود

مطلب عام نشاۃ عساكر الاسلاميادہ

«الملب» - «ول جيش الفرنج» - «تلاذوا» -

١٠. 'لب اطلاق الباياء وتخليه سبيله يا امر الامير اطور

مراب ما طلبه الاميراطور من الملك فرنسيس والملك هنري

سبب دعاء الامبراطور الى الحرب

• ملج دعاء الملك فرنسيس الايمراطور الى المقاتلة الشخصية وهي

.. روضة القرنين في الميدان

لب تقوية عادة تلك المقاتلة المسماة بالدويل بجمه الحادثة

آلب خروج عساكر الایمپراطور من مدینة رومة

لمب حصار العرناوية لمدينة نابلي

• **المب الحوادث التي طالت بهامة المحاصرة .**

طلب قيام الامر اندر دوره على فرنسا و به و دخوله في حرب

١٠٠٠

طلب الضئك الذى حصل للفرنساوية أمام بايلي •

طلب رفع الحصار

طلب رحو عمخو رزة الى جرتها

طلب سلوك الامر دونه الذي يدل على أنه كان خلعاً عن الاعراض .

نصف النفس

٢٣ طلب المدد من النبي حصلت بين الامارة واولا يد المدد
مطلب انعقاد مشاركة خصوصية بين البابا والايمبراطور في ٢٠ من

شهر حزيران

٢٤ مطلب الصلح المنعقد بمدينة كمبريه بين الايمبراطور والملك فرنسيس

في شهر آب

٢٤ مطلب كون هذه المشاركة فيها شرف ونخار للايمبراطور

٢٦ مطلب كون هذه المشاركة ضرورية بعرض الملك فرنسيس

٢٦ مطلب استعمال الملك هنري ورضائه بالمشاركة

٢٨ مطلب نزول الايمبراطور في ايطاليا ١٢ من شهر آب

٢٩ مطلب ملاطفة الايمبراطور واسبابها

٣١ مطلب تنصيب عائلة ميديس ثانيا في فلورنسة

٣١ مطلب حالة المصلح المدينة والدينية في بلاد ألمانيا

مطلب مشورة الديانة المنعقدة بمدينة سبيكة في ١٥ من شهر اذار

سنة ١٥٢٩

٣٤ مطلب مناقضة اتباع لوتير لهذا الامر في ١٩ من شهر نيسان

٣٥ مطلب المدد المذكرة التي حصلت بين الايمبراطور والبابا

مطلب حضور الايمبراطور في مشورة الديانة المنعقدة بمدينة

اوكنبورغ في ٢٢ من شهر اذار سنة ١٥٣٠

مطلب عقائد اوكنبورغ

٣٧ مطلب الفرمان الصعب الصادر في حق المعتزلة

٣٨ مطلب عصبة المعتزلة المنعقدة بمدينة سمالكال

٣٨ مطلب عرض الايمبراطور أن يجعل اخاه ملكا على الرومانين

٣٩ مطلب معارضة المعتزلة في جعله ملكا على الرومانين

- ٤٠ مطلب مداولة المعتزلة مع مملكة فرانس
- ٤١ مطلب مداولة المعتزلة مع ملك انكلترة
- ٤١ مطلب مداهنة شركان للمعتزلة
- مطلب الشروط المنعقدة بين الايمبراطور والامراء المعتزلة في ٢٣
- ٤٢ من شهر تموز
- ٤٣ مطلب الجهاد في بلاد الجمار
- ٤٤ مطلب مقابلة الايمبراطور البابا عند رجوعه الى بلاد اسبانيا
- ٤٥ مطلب ما حصل من المداولة في شأن انعقاد مشورة قسيسية عام
- مطلب في كون الايمبراطور كان له غرض اخر يستدعي المذاكرة وهو بقاء.
- ٤٦ الامن والاطمئنان في بلاد ايطاليا
- ٤٧ مطلب ما كان يقصده ملك فرانس في شأن الايمبراطور
- ٤٨ مطلب مداولة ملك فرانس مع البابا لاضرار الايمبراطور
- ٤٩ مطلب مقابلة البابا مع الملك فرنسيس
- ٤٩ مطلب ما سلكه البابا في شأن تطليق ملك انكلترة لزوجته
- ٥١ مطلب ابطال حكم البابا من مملكة انكلترة
- ٥١ مطلب موت البابا كليمان السابع
- ٥٢ مطلب انتخاب البابا بولص الثالث
- ٥٢ مطلب عصيان طائفة الانابايتيست في بلاد ألمانيا
- ٥٣ مطلب منشأ هبة الطائفة وبيان آرائها وعقائدها
- ٥٤ مطلب استيطانهم في مدينة مونستر
- ٥٥ مطلب استيلائهم عليها
- ٥٥ مطلب حكومتهم الجليدية التي احدثوها بتلك المدينة
- ٥٦ مطلب اغارة اسقف مونستر عليهم
- ٥٧ مطلب ازدياد شوكة جنادوليد بين طائفة الانابايتيست

مطلب توليته ملكا بطريق الانتخاب

مطلب فساد سلوكة

مطلب العصبة التي تعصبت على طائفة الانابايتية

مطلب حصار مدينة مونستير

مطلب قحط المحصورين وجنتهم

مطلب اخذ المدنية في اول يوم من شهر تموز

مطلب عقاب الملك واتباعه

مطلب حال مذهب الانابايتية بعد ذلك

مطلب اعمال عصبة محال كالديوان شوكتها

مطلب تعيين بولص الثالث مدينة مانتوه لعقد الجمعية القسيسية العامة

مطلب اغارة الاميراطور على بلاد افريقة وحالة تلك البلاد

مطلب منشأ دول بلاد البربر

مطلب مشروع هوروق واخيه خير الدين الملقب بكل منهاذي

الحية الشقرة

مطلب تغلب هوروق بربروس على بلاد الجزائر

مطلب تقدم خير الدين ونجاحه

مطلب شروعه في فتح بلاد تونس

مطلب نجاح بربروس

مطلب ازدياد شوكتها

مطلب استعانة المهمل حسن بعد طرده من مملكته

بالاميراطور شرمكان

مطلب تجهيزات الاميراطور لهذه الغزوة

مطلب نزول الاميراطور في افريقة *

مطلب حصار قلعه عوليطه

٧٢

مطلب أخذ القلعة عنوة في ٢٥ من شهر تموز

٧٣

مطلب هزم الاميراطور جيش بربروس

٧٤

مطلب تسليم مدينة تونس

٧٥

مطلب تولية الاميراطور للمولى حسن على كرسى مملكته

٧٦

مطلب التفرغ الذي حازه الاميراطور بسبب هذا الحرب

٧٦

المقالة السادسة من اتحاد ملوك الزمان بتاريخ الاميراطور شزل كان

٧٦

مطلب اسباب حرب جديد وقع بين الاميراطور والملك فرنسيس

٧٨

مطلب عدم وجود نصير لفرنسيس

٧٨

مطلب مداولته مع معتزلة ألمانيا

٧٩

مطلب سلوكه فيما يغضب امراء ألمانيا

٨٠

مطلب امتناع ارباب عصبة سجالكا الدعن الانضمام الى حوزة

٨١

مطلب توجه جيش فرنسا وية الى ايطاليا

٨٢

مطلب تغلب فرنسيس على دول الاميردوق ساووة

٨٣

مطلب عود مدينة جنويرة الى حريتها

٨٥

مطلب موت الاميرسفورس دوق ميلان

٨٦

مطلب دعوى الملك فرنسيس في شأن دوقية ميلان

٨٧

مطلب تأهب الاميراطور للحرب

٨٨

مطلب انتقاده على فرنسيس

٨٩

مطلب دعاء الاميراطور الملك فرنسيس الى مقاتلة خصوصية

٩٠

مطلب اسباب تفاخره وتظاهره بمدح نفسه

٩١

مطلب دخوله في مملكة فرانسا

٩٣

مطلب تغلب الاميراطور على حزم من دول دوقية ساووة

٩٤

مطلب صورة ما دبره الملك فرنسيس للمثاقفة عن مملكته

- ٩٤ مطلب تفويضه اجراء بهذا الامر الى المارشال مونتيورانسى
- ٩٤ مطلب وضع معسكره بقرب مدينة اوينون
- ٩٥ مطلب دخول الايمبراطور فى اقليم بروونسة
- ٩٦ مطلب محاصرة لمدينة مرسيليا
- ٩٦ مطلب ثبات مونتيورانسى فى تفهيز ماديره للمدافعة عن مملكة فرانسا
- ٩٨ مطلب التجاء جيش الايمبراطور وما آكل اليه من الحالة السيئة
- ٩٩ مطلب الحرب فى تعليم يسكارديا
- ١٠٠ مطلب موت الدوفين اى ولى العهد
- ١٠٠ مطلب نسبة موته الى السم
- ١٠١ مطلب الفرمان الصادر من ديوان برلمان باريس فى شان الايمبراطور
- ١٠٢ مطلب افتتاح الحرب فى مملكة البلاد الواطية فى شهر اذار
- ١٠٣ مطلب المهادنة المتعقبة فى مملكة البلاد الواطية
- ١٠٣ مطلب المهادنة المتعقبة فى اقليم بيمون
- ١٠٤ مطلب اسباب هفوة المهادنة
- ١٠٤ مطلب كون السبب الاقوى هو معاهدة الملك فرنسيس مع سلطان الدولة العثمانية
- ١٠٦ مطلب المذاكرة فى شان الصلح بين الايمبراطور والملك فرنسيس
- ١٠٦ مطلب توسط البابا بنفسه فى الصلح
- مطلب مقابلة الايمبراطور شرلكان مع الملك فرنسيس فى مدينة
- ١٠٨ ايتيومورت
- ١٠٩ مطلب قس اسكندريه وميديسيس
- ١١٠ مطلب تولية كوم دوسيديسيس على دولة فلورنسة
- ١١١ مطلب تصدى المهفين من فلورنسة لمنع توليته
- ١١٢ مطلب تناقص المحبة التى كانت بين الملك فرنسيس والملك هنرى الثامن

١١٤

مطلب تقدم التهنئة (اي اتساع دائرة الدين الجديد)

مطلب المداولات والدساتير التي حصلت لاجل عقد مشورة

١١٤

تسييسية

١١٦

مطلب ازالة البابا العنصر فاسد من ديوان رومة

١١٦

مطلب العصية التي ترتبت لمعادلة عصبة المعتزلة

١١٧

مطلب خوف المعتزلة وفرعهم

١١٧

مطلب ادخال دين المعتزلة في بلاد سكس

١١٩

مطلب قيام العساكر الايمراطورية وخروجهم عن الطاعة

١١٩

مطلب انعقاد مشورة وكلاء مملكة قسطنطينية في مدينة طليطلة

١٢٠

مطلب تشكي ارباب المشورة وتطلمهم

١٢٠

مطلب ابطال الرسوم القديمة التي كانت مجعولة لمشورة القرطس

١٢١

مطلب بيان كون اعيان اسبانيا كان لهم مع ذلك مزايا كبيرة

١٢٢

مطلب عصيان مدينة غندة

١٢٢

مطلب دعوى اهل غندة

١٢٣

مطلب عصيان اهل غندة وعرضهم على مملكة فرانسأ أن تدخل

١٢٣

مدينتهم تحت حكمها

١٢٥

مطلب امتناع الملك فرنسيس عن قبول عرضهم

١٢٦

مطلب اعلامه للإمبراطور بمقاصدهم

١٢٦

مطلب مذكرة للإمبراطور في شأن سفره الى مملكة البلاد الواطية

١٢٦

مطلب عرضه المرور بمملكة فرانسأ

١٢٧

مطلب رضا الملك فرنسيس

١٢٧

مطلب دخول شريك في مملكة فرانسأ

١٢٨

مطلب قلق الايمراطور

١٢٩

مطلب كذب الايمراطور

مطلب قع اهل غندة

مطلب عقاب الاهالى في ٢٠ من شهر نيسان

مطلب امتناع شركان عن التوفية بوعده في شأن دوقية ميلان

مطلب امر البابا بانشاء الطائفة اليسوعية

مطلب حجة لوابلة الذي اسس هذه الطائفة وافراط غيرته

على الدين

مطلب الاسباب التي دعت البابا الى اقرار انشاء تلك الطائفة

مطلب كون قوانينها واحكامها جديرة بالالتفات اليها

مطلب بيان الغرض من الطائفة اليسوعية المختص بها

مطلب مغايرة اصولها لغيرها لاسيما فيما يخص شوكة الرئيس

مطلب الاسباب التي كانت تعين لوابلة حق الاعانة على اجراء ذلك

التصرف المطلق

مطلب ازدياد ثروة الطائفة اليسوعية

مطلب النتائج الشيعة التي ترتبت على هذه الطائفة للجنس البشري

مطلب القوائد الجلية التي ترتبت على حدوث هذه الطائفة

مطلب نفع اليسوعية خصوصا في اقليم براغة

مطلب ما ربه السياسية المبنية على الطمع

مطلب الاسباب التي دعت المؤلف الى بسط الكلام على حكومة

الطائفة اليسوعية وعلى تقدمها

مطلب مصالح ألمانيا

مطلب المذاكية التي حصلت بين علماء اللاهوت القساوليقية

وعلماء المعتزلة

مطلب عدم نفع تلك المذاكرة

مطلب اتفاق مشورة الديانة المنعقدة بمدينة راتسبون على عقد

مطلب

١٤٦

جمهورية قسسية عامة

١٤٦٠

• مطلب غضب المعونة والقانونية مما حكمت به مشورة الديتة
مطلب سعى الامبراطور شرلكن في استقالة قلوب المعتلة ورضاء

١٤٦

خاطرهم

١٤٧

مطلب مصالح بلاد الجمار

١٤٨

مطلب موت ملك الجمار

١٤٨

مطلب سعى فرد ينند في اخذ تاج مملكة الجمار

١٤٩

مطلب بيان طبع جورجي مارينوزي وصورته

١٤٩

مطلب استعانة بالاسلام

١٤٩

مطلب ما فعله السلطان سليمان مما لا يليق بالملك

١٥٠

مطلب ما عرضه فرد ينند على السلطان

١٥١

مطلب سفر الامبراطور الى ايطاليا

١٥١

مطلب اغارته على بلاد الجزائر والاسباب التي دعت الى ذلك

١٥٣

مطلب تجهيزاته

١٥٤

مطلب خروج الامبراطور على سواحل افريقية

١٥٤

مطلب دمار جيشه

١٥٥

مطلب دمار الدونما

١٥٦

مطلب اضطرار شرلكن الى الارتحال

١٥٧

مطلب كرم نفس الامبراطور وعزمه

١٥٧

مطلب رجوعه الى اوزبكا

١٥٨

المقالة السابعة من اتحاد ملوك الزمان بتاريخ الامبراطور شرلكن

١٥٨

مطلب تجديد الملك فرنسيس للحرب

١٥٩

مطلب كون قتل رسل فرنسيس هو السبب في الحرب

١٦٢

مطلب مهارة فرنسيس في تجهيزاته للحرب

مطلب تجهيز خمسة جيوش

حرب الجيوش المتقدمة

تجهيزات لحرب جديد

مطلب مداولة الاميراطور مع هنري الثامن ملك انكلترا

مطلب خصام هنري مع مملكة فرانسوا ومملكة ايقوسيا

مطلب المعاهدة المتقدمة بين الاميراطور وشرلكان وهنري ملك

انكلترا

مطلب مداولة الملك فرنسيس مع السلطان سليمان

مطلب بدء الحرب في مملكة البلاد الواطية

مطلب تغلب الاميراطور على دوقية كليوس

مطلب محاصرة لنديسي

مطلب دخول السلطان سليمان في مملكة المجر

مطلب نزول بربروس على بلاد ايطاليا

مطلب تجهيزات حرب جديد

مطلب مصالح ألمانيا

مطلب حكم الامير موريس دوق سكس بعدموت ابيه

مطلب مقاصد هذا الامير وسلوكه

مطلب عرض البابا والقاسم عقد مشورة قسيسية عامة

في مدينة ترنتة

مطلب طلب البابا انعقاد مشورة قسيسية وصدور فرمان منه

في هذا الشأن

مطلب اضطراب البابا الى تأخير المشورة

مطلب اجتهد الاميراطور في اسمالة حزب المعتزلة

مطلب حادثة صعبة حصلت من عصبة سمالكال

مطلب

- ١٧٦ مطلب انقاذ الديانة بمدينة سيرة سنة ١٩٤٤
- ١٧٧ مطلب طلب الايمبراطور الاعانة على ملك فرنسا
- ١٧٨ مطلب اعطاء الايمبراطور من ايا عظيمة للمعتزلة ليعتزلهم اليه
- ١٧٩ مطلب الامداد الذي امتلك الايمبراطور به مشورة الديانة
- ١٧٩ مطلب مداولة شير لكان مع كل من ملك دانمبرقة وملك انكلترة
- ١٨٠ مطلب افتتاح القرنساقية في الحرب باقليم بيمون
- ١٨١ مطلب توجه عساكر الايمبراطور الى هذه المدينة لاعانتها
- ١٨٢ مطلب واقعة مدينة سيريزوله
- ١٨٣ مطلب نتيجة هذه النصره
- ١٨٣ مطلب افتتاح الحرب في مملكة البلاد الواطية
- ١٨٤ مطلب محاصرة الايمبراطور لمدينة سنديزير
- ١٨٤ مطلب حصار هنري الثامن لمدينة بولونيا
- ١٨٥ مطلب ما وقع من مدينة سنديزير من المدافعة العظيمة
- ١٨٦ مطلب دخول الايمبراطور في وسط فرنسا
- ١٨٨ مطلب اضطرار الايمبراطور الى الرجوع
- ١٨٨ مطلب الصلح المنعقد في مدينة كرسي
- ١٨٩ مطلب الاسباب التي دعت الايمبراطور الى عقد الصلح
- ١٩١ مطلب استمرار الحرب بين انكلترة ومملكة فرنسا
- ١٩٢ مطلب غم الدوفين من المشاركة المنعقدة في كرسي
- ١٩٣ مطلب مقاصد الايمبراطور في شأن بلاد ألمانيا
- ١٩٣ مطلب طلب الطبيب انعقاد مشورة قسيسية عامة بمدينة ترنت
- ١٩٤ مطلب انعقاد مشورة الديانة بمدينة ورمس في ٢٤ من شهر اذار
- مطلب الحاج فرديند على اهل ألمانيا باقرار مشورة القسيسية
- ١٩٥ والرضاء بحكامها

- مطلب حضور الامير اطور في مدينة ورس
- مطلب سلوك موريس امير سكس في مشورة الديانة
- مطلب ارياب المعتزلة من الامير اطور
- مطلب موت الدوق دورليان ابن ملك قرانها
- مطلب اعطاء البابا دوقية برمة ودوقية بليزنسة لابنه
- مطلب اضرام هينري امير برونسويك نيران الحرب في بلاد ألمانيا
- مطلب نيردين المعتزلة في اقليم بلاطينة المسي عند اهل النجسا
- يقالذ
- مطلب انعقاد المشورة القسيسية بمدينة ترنة
- مطلب اعمال المشورة القسيسية
- مطلب خوف المعتزلة
- مطلب مذاكرة المعتزلة
- مطلب مداولات المعتزلة مع الامير اطور
- المقالة الثامنة من الخاف ملوك الزمان بتاريخ الامير اطور شرلكان
- مطلب موت لوتير
- مطلب طبع لوتير
- مطلب سعي الامير اطور في مخادعة المعتزلة
- مطلب ما حكمت به الجمعية القسيسية في شأن المعتزلة
- مطلب بدء الامير اطور في اظهار عداوته للمعتزلة
- مطلب مداولات الامير اطور مع البابا
- مطلب المهادنة المنقذة بين الامير اطور والسلطان سليمان
- مطلب استمالة الامير اطور للامير موريس وغيره من اعيان امرء
- ألمانيا
- مطلب انعقاد مشورة الديانة بمدينة ترانسبوتنة

مطلب المشاركة المنعقدة بين الايمبراطور والبابا
مطلب الحيل والمخادعات التي سلكها الايمبراطور ثانيا ليخفي مقاصده

مطلب كيف للبابا الاسرار الايمبراطور

مطلب تجهيزات المعتزلة للمدافعة عن انفسهم

مطلب استعانة المعتزلة باهل البنادقة

مطلب استعانة المعتزلة باهل السويصة

مطلب استعانة المعتزلة بالملك فرنسيس الاول والملك هنري الثامن

مطلب تجهيز المعتزلة لجيش كبير يرزوا به الى ميدان الحرب

مطلب كون الايمبراطور لم يكن عنده من العساكر من يكفى في مقاومة

مطلب اشتغال المعتزلة بالمدولة عوضا عن الحرب

مطلب حكم الايمبراطور بالنبي على رئيسي عصبة المعتزلة

مطلب مبدأ حرب المعتزلة

مطلب عدم ادارة الرؤساء

مطلب وصول عساكر البابا الى الايمبراطور

مطلب تقدم المعتزلة جهة جيش الايمبراطور

مطلب امتناع الايمبراطور عن القتال

مطلب وصول العساكر الفلمنكية الى الايمبراطور

مطلب حالة الجليئين

مطلب ما رُب موريس دوسكس

مطلب مخادعته ومحاولته في اخفاء مقاصده

مطلب تغلب موريس على دول منتخب سكس

مطلب عرض المعتزلة الصلح على الاميراطور

مطلب امتناع شر لكان عن الصلح

مطلب شتات عساكر المعتزلة

مطلب دخول اغلب ارباب عصبة المعتزلة تحت طاعة الاميراطور

مطلب الزام الاميراطور للمعتزلة بشروط صعبة

مطلب رجوع الامير منتخب سكس الى بلاده واستيلائه عليها

مطلب تبرير الاميراطور عن الهجوم عن منتخب سكس وحاكم هيسه

مطلب اخذ البابا الجنوده

مطلب الفتنة الحاصلة في جنوية لقصد تغيير حكومتها

مطلب قصد العاصين وغرضهم

مطلب كون الامير فيسك قوتة لوانة هوريس العصبة

مطلب دساتر العصبة وتجهيزاتها

مطلب اجتماعهم لاجل تجميع مقصدهم

مطلب خطاب الامير فيسك الى احزابه

مطلب مخاطبة فيسك زوجته

مطلب هجوم المتحزين على المدينة

مطلب نشر الامن والاطمئنان في مدينة جنوية

مطلب فزع الاميراطور من هذه العصبة

مطلب ابقاء حربه في ألمانيا الى وقت آخر

يكان ما وقع في الجزء الثاني من كتاب النجاشي ملوك الزمان بتاريخ الابرار طون
 شرب كان من انعطاف الصواب

خطا	صواب	تصنيفه	سطر
حضر الى	حضر الى	١١	١٠
يقامهم	يقامها	٨	٢٤
لثبت	لثبت	٣٨	١
بما طله	بما طله	٥٠	٤
ذوي القنار	ذري القنار	٧٦	٥
والمشاق	والشفاق	٧٦	٢١
وكلاهما	وكلاهما	١٠٦	١٢
أن لا يعطوه	أن يعطوه	١٢٠	١
منها	منها	١٢٠	٣١
وسار معا	وسار معا	١٢٨	١١
السلطان	السلطان	١٥٨	٢٥
حظر	حظ	١٧٥	١١
أفتحت	افتحت	١٩٤	٩
واللشدید	والتشديه	٢٠٢	١٨
السطر الاول من صحيفة ٢١٣	مكرر مع السطر الاخير من صحيفة ٢١٢		
المذكرات	المذكرات	٢٢٧	٦

الجزء الثاني من اتحاف
ملوك الزمان

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقالة الخامسة

من اتحاف ملوك الزمان تاريخ الايمبراطور شرلكان
ولما رأى اهل اوربا ما كان يقاسيه البابا اذ كان من سبي المعاملة امتلائت
قلوبهم فزعا ورعبا وتعجبوا كل العجب من الايمبراطور شرلكان حيث
تجاسر على فعل ذلك في حق سيد انباء النصرانية وخليفة الصقوة المسيحية
وقبض عليه واخذته اسيرا وضيّق عليه في الاسر مع انه بموجب عهده من انباء
النصرانية بل وبموجب منصبه ومقامه كان ينبغي له أن يدافع عن الكنيسة
ويذب عنها من اراد هتك حرمانها فظهر لجميع الافرنج ان هذه الافعال من قبيل
الكفر والالحاد فلا بد من الانتقام من فاعلها وانه يجب على جميع انباء النصرانية
أن يتصالحوا ويتعاهدوا لينتقموا من الايمبراطور لاسيا وكان كل من هنرى
ملك انكلترا والملك فرنسيس قد سلّقه الفزع من فيحاح الايمبراطور
في بلاد ايطاليا فتعاهدا تمعا وحصل بينهما التثام اكد قبل اخذ مدينة
رومة وعزم على ردع الايمبراطور وقع نضحه الطماعة فانفضا على شن الغارة
بمملكة البلاد الواطية ليشاغلاه ويلهياه عن النظر لبلاد ايطاليا وانضم

مطلب
نصب اهل اوربا سكاكة
على الايمبراطور
1 من شهر غور

سنة ١٥٢٧

الى تلك الاسباب سبب آخر وهو انهما قصدا اقتضا البابا من يد الإمبراطور
وهو مقصد سياسي فيه اطمحانه لهما على نيل مرامهما زيادة على كونه يكسبهما
الشرف والفخار بالنسبة للديانة وللمن رأى انهما لا يمكنهما تغيير هذا الغرض
الا اذا قطعوا النظر عن الاغارة على البلاد الواطية بوجها جيوشهما الى بلاد
إيطاليا حيث ظهر لهما انه لا يمكنهما اقتضا رومة ولا ذلك البابا كليمان
من رتبة الاسرار الامع بذل كل الجهد وصرف جميع الهمة وكان الملك فرنسيس
اذ التقدا اخذ يدرك ان شدة تدقيقه في المقاصد السياسية التي عزم عليها في شأن
بلاد إيطاليا قد اخضت به الى كل ورطة وخطب كان كثرة اهما له وتساوله
قد أدت الى أن تقوى عليه خصمه الإمبراطور شريكان بامور كان يسمل
على الملك فرنسيس أن يكون عدله فيها فقتناه على ذلك اراده فرنسيس
أن يبذل وسعه حتى يجمع نفسه معرّة الخطا التي لحقت به بسبب تلك القفعال
هذا وكان الملك هنري يرى انه يلزم معاهدته وانضمامه الى ملك فرنسا
ليمنح الإمبراطور عهد أن يصير بيده ملك بلاد إيطاليا ويتصرف فيها كيف
يشاء لانه ان تلك على هذه البلاد تقوى شوكته وتعظم صوته ولا يجد في ملوكه
الافرنج معارضة ولا مناقضا لاوامره فيلزمهم بما شاء لاسيا وكان الملك
فرنسيس قد استمال اليه قلب الوزير ولسي ببطايا جليله وهذا اجزيلة
فصار هذا الوزير يحرّض سبيده الملك هنري بكل ما يقرّضه من
الإمبراطور ويوجب البغضاء والشقاق بينهما وزيادة على ذلك كان ثم سبب آخر
قوى عمن ذلك للملك هنري وهذا السبب كان يخصه وذلك انه في أثناء ذلك
الزمن كان يريد أن يطلق زوجته كاترينة اميرة اراغون غير انه لما كان
الطلاق غير مشروع في دين النصرانية رأى الملك انه في هذا الغرض لابد له
من حكم البابا الذي هو امام هذا الدين فاراد أن يهنئ معه جيلا ويعينه على
الخروج من الايرلساعده في الغرض المذكور وهو طلاق زوجته
ولما كان كل من الملك هنري وملك فرنسا له اسباب تدعوه الى معارضة
الإمبراطور والمدافعة عن البابا لم تطل مدة المذاكرة بينهما في هذا الشأن فتوصل

مطابق
العصبة المتعقدة على
الإمبراطور

سنة ١٥٢٧

٨ من شهر اب

الملك هنري لويزيه ولسى بت هذا الامر مع الملك فرنسيس واط الملك فرنسيس
 غم يوكل عن نفسه احدا في هذا الغرض بل نذا كرفيه يتنفسه مع الوزير ولسى
 بمدينة اميان ولما وصل الوزير ولسى الى هذه المدينة تلقى فيها مع غاية
 الترحيب والاکرام وقومل بالتجبل والاحترام وعومل معاملة الملوك وانحط
 الرأى بينهما على امورا ولها زواج الدوق دورليان ابن الملك فرنسيس
 بالاميرة مارية بنت الملك هنري ووقع الاتفاق بينهما على ان ايطاليا
 تكون ميدان الحرب وتعين مقدار العساكر وفعوها ومقدار المبالغ التي
 يعطيا كل من الملكين واتفقا على أن تعرض على الامبراطور الشروط اللازمة
 فان بادرقبولها والادعى الى الحرب بدون مهلة ولا تراخ وكان من طابع الملك
 هنري التجبل بتفضيز ما يشترع فيه او يعزم عليه فبادر بالدخول في هذه
 المعاهدة الجديدة حتى انه لتأيد قوله وتأكده سأل عما كان يذهب به ملوك
 لكثرة قبله في شان ناهج مملكة فرنسا ليكون ذلك برهانا جليا على محبة
 وصداقته للملك فرنسيس فلما جعل في نظيره ذلك حسين التفت اليكوتدفع
 كل سنة له ولعقبه

مطلب
 صيرورة اهل فلورنسة
 حرة مستقلين بانفسهم

ومع ذلك كان البابا لم يرل اسيرا مسجوناً تحت يد الامير الرسون في غاية الضنك
 والضيق بسبب تشديد هذا الامر عليه وانما كان باقيا اسيرا الى ذلك الوقت لانه
 كان لا يمكنه أن يوفى بالشروط التي انحط عليها الرأى في المشاركة وكان اهل
 فلورنسة يجمعون دأناً وقضوا على خبر انهم زام البابا واخذ مدينة رومة عصوا
 وطردوا الكردينال كورتون من بلادهم وكان يحكم المدينة بالتياسية
 عن البابا وكثيرا وانشأت انتفاض العائلة المديسية (عائلة منها البابا
 كليمان) وكسروا التمثال المرسوم عليه شخص البابا ليون وكذلك تمثال
 البابا كليمان وانظروا الحرية والاستقلال واعادوا الي مملكتهم الحكومة
 الاهلية التي كانت فيما سابقاتها واد اهل البنادقة أن يكون لهم حظ من
 سلب البابا فاخذوا قلعة راوينة وبعض قلاع اخرى من القلاع القسيسية
 متعلين بانهم يريدون حفظها تحت ايديهم على سبيل الوديعة وظن دوق اوربان

وَذُوْقَ قَرَايَةِ أَنَّهُ لَا رَجُوعَ لِلْمَلِكِ الْبَابَا بِعَدِّ هَذِهِ الْمَصَائِبِ وَالْأَهْوَالِ فَانْخَفَى
كُلُّ مَنْهَا بِجَرَأَتِهِمْ دَوْلَهُ وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِ

مطلب
عدم نشاط
الامبراطور

وَأَرَادَ الْأَمِيرُ لَا نَوَايَ كَذَلِكَ أَنْ يَسْتَعِيدَ فَائِدَةً عَظِيمَةً مِنْ هَذِهِ الْوَاقِعَةِ الَّتِي
بِضَاحِ سَيِّدِ الْأَمِيرِ طُورٍ وَظَفَرِهِ فِيهَا قَرَأَتْ تَبَوُّكَتْهُ وَصُولُهُ بَيْنَ مَمَالِكِ
الْأَفَرَجِ وَلِهَذَا الْقَصْدُ تَوَجَّهَ إِلَى رُومَةٍ مَعَ الْأَمِيرِ مُونَكَادَ وَالْمَلْتَزِمِ
دَوْغُواسْتِ فَحَبَّبَ الْعَسَاكِرَ لَتِي أَسْكَبَهُمْ جَعَهَا سِنَ مَمْلَكَةِ نَابَلِي وَكَانَ وَصُولُ
هَذِهِ الْعَسَاكِرِ إِلَى رُومَةٍ أَزْدِيَادٍ فِي مَصَائِبِ سَكَانِهَا وَذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْعَسَاكِرَ
لَمَّا دَخَلُوا تِلْكَ الْمَدِينَةَ وَرَأَوْا أَنَّ الْعَسَاكِرَ لَذِينَ كَانُوا فِيهَا مِنْ قَبْلِهِمْ قَدْ رَغِمُوا
مَغْنَمًا كَبِيرًا فَامْتَبَعُوا بِهِمُ الْغَبِيرَةَ فَفَعَلُوا مَعَ السَّكَّانِ أُمُورًا فَاحِشَةً مِنَ الظُّلْمِ
وَالنَّهْبِ وَحَبَلُوا مِنْهُمْ مَا كَانَ قَدِيمًا مِنْ نَهْبِ السُّلْطَانِ الْأَسْبَاطِيوَلِيَّةِ
وَالْأَلْمَانِيَّةِ

وَكَانَ لَا يُوجَدُ آنَ ذَٰلِكَ فِي بِلَادِ إِيطَالِيَا جَيْشٌ يُمْكِنُهُ مَقَاوِمَةُ عَسَاكِرِ
الْأَمِيرِ طُورٍ بِجَمِيعِ لُؤَارِ هَؤُلَاءِ الْعَسَاكِرِ النَّغْلِبِ عَلَى مَدِينَةِ بُولُونِيَا وَغَيْرِهَا
مِنَ الْمَدَائِنِ الَّتِي لَمْ تَكُنْ بَائِدِيهِمْ مِنْ بِلَادِ الْبَابَا لِكِفَاهِمُ فِي اخْتِذَاهَا الْخُصُوفُ حَوْلَ
أَسْوَارِهَا وَلَمْ يَلْزِمْلَهُمْ حَرْبٌ وَلَا ضَرْبٌ إِلَّا أَنَّهُمْ فِي عَهْدِ الدُّوقِ دِي بُولِيُون كَانُوا
قَدِ تَعَوَّدُوا عَلَى عَدَمِ الطَّاعَةِ وَالْانْقِيَادِ لَضَبْطِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَرَبَطُهَا وَكَانُوا بِمَدَّةِ
أَقَامَتِهِمْ فِي رُومَةٍ قَدِ اشْتَرَبَتْ لَذَاتِ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ رَئِيسًا يَنْعِمُهُمْ
عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي كَانُوا يَرْتَكِبُونَهَا فَصَارُوا أَعْدَاءَ لَلضَبْطِ وَالرَّبْطِ وَانْخَدَعُوا
الْعَسْكَرِيَّةَ وَلَمَّا دَعَا إِلَى تَرْكِ رُومَةٍ وَالتَّوَجُّهِ إِلَى الْمَدَائِنِ الْآخَرَى لِقَصْدِ
اخْتِذَاهَا وَالنَّغْلِبِ عَلَيْهَا أَبُو الْخُرُوجِ مِنْهَا مَنْ غَيْرُ أَنْ تَدْفَعَ لَهُمْ مَا هَبَّتْهُمُ الْمُنَآخِرَةُ
لَهُمْ وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مَتَعَسِرٌ وَظَهَرُوا أَيْضًا لَهُمْ قَدْ انْجَبُوا أَمِيرَ دَوْرَجِيَّةِ
وَأَقَامُوهُ سَرِ عَسْكَرِيٍّ عَلَى جِيوشِهِمْ وَأَنَّهُمْ لَا يَطِيعُونَ غَيْرَهُ أَمْرًا فَخَفِيَ رَأْيُ الْأَمِيرِ
لَا نَوَايَ أَنَّهُ لَا يَأْمَنُ عَلَى نَفْسِهِ مَا دَامَ مَعَ هَؤُلَاءِ الْعَسَاكِرِ الْعَاصِينَ الَّذِينَ كَانُوا
يَكْرَهُونَهُ وَيَحْتَقِرُونَ مَنْصِبَهُ عَادًا فِي مَمْلَكَةِ نَابَلِي وَبَعْدَ ذَلِكَ بِمَدَّةٍ قَلِيلَةٍ تَبَعَهُ
الْأَمِيرُ مُونَكَادَ وَالْمَلْتَزِمُ دَوْغُواسْتِ لِهَذَا السَّبَبِ وَحَيْثُ أَنَّ الْأَمِيرَ

ودورجه لم يثبت له من نصيب السرعسكر يغفل الجيش الا باختيار البساط
الذين يطغوا وبغوا بسبب شجاعتهم وعدم ضبطهم وربطهم كأنه يرى خاطرم
ويخشى يأثمهم أكثر من مزاياهم لاوامره وبناء على ذلك لم يفر الايمراطور
بأفاده من الفوائد التي كان يؤملها بسبب تغلبه على رومة بل لحقه غم شديد
حيث رأى ان هذا الجيش العظيم الذي لم يتيسر له جمع مثله قبل ذلك قد تراكمت
عليه اسباب الكسل وعدم النشاط وقتور الهمة حتى لم يجد مكان حث رجاله
وتشجيع قلوبهم بوجه من الوجوه

وبهذه الاسباب اتسع الوقت مع ملك فرنسا ومع البنادقين حتى واجهوا
امرهم وتعاهدوا وانفقوا على اتقاذ البابا والذبح عن حقوق مملكة إيطاليا
وانضمت اليهم جمهورية فلورنسة لعدم حزمها وكان اهل إيطاليا يعترفون
للامير لوزيك بالفضل والعارف وينصفون في الحكم عليها أكثر من انصاف
فرنسيس له فاختره سرعسكر على جيوش العصبة لكنه لم يقبل هذا المنصب
الابعد التوقف الكلي والاشترار خوف من أن يصير فيما بعد عرضة للوم اوقع
في الحيرة والعجز بسبب اهمال الملك فرنسيس او خبت طوية اخصائه
المقرنين له كما حصل له قبل ذلك * ثم انه بعد توليته ساراجي بلاد إيطاليا
ومعه اعظم عساكر مملكة فرنسا واحسنها وامامك فرنسا فانه
قبل أن يدعو الايمراطور الى الحرب دفع مبلغا جسيما ليستعان به على
مصاريف تلك الغزوة وسلك السرعسكر لوزيك في مبدأ الامر مسلك الحزم
والثبات وحصل له الظفر والنجاح وذلك انه باعانة الامير اندره دوريه الذي
كان فريذال العصر في البحرية تغلب على جمهورية جنويرة واعاد فيها
حربا قالا له حزب مهيغيغوس وابث فيها حكم فرنساوية وحاصره مدينة
الاسكندرية البطليانية وادخلها تحت الطاعة بعد ايام قلائد وادخل
تحت الطاعة ايضا جميع البلاد التي امام نهر تيزان واخذ عنوة مدينة پاوية
التي كانت في الواقعة السابقة قد مكنت نهنا طويلا وهي تقاوم جيوش
فرنسيس ولم تغلب عليها دخلها العباكر فرنساوية ونهبوها مع قسوة

ملوك
خول جيش فرنساوية
دايطاليا

سنة ١٥٢٧

افذادت بما كان راسخا في اذهانهم من الاخطار والاهوال والمشاق التي
كابدوها حين انهم انهم في الواقعة الاولى تحت اسوار هذه المدينة ولتوجه
لوتريك الى مدينة ميلان وحاصرها سلمت اليه قيادها لان الامير اتوان
دوليوه الذي كان يحفظها لم يكن معه من العساكر المحافظين الا عدد قليل وكان
لا يمكنه تحصيل الذخائر اللازمة لهم ولا يمكنه امساكهم وحبسهم عن العصيان
الا بحزمه وسياسته وحسن تدبيره لكن لم يجاسر لوتريك على هذا الامر
الذي لو شرع فيه وتممه لعاد عليه بالشرف والفخر وعاد على العصبة بالنساف
الجسيم والقوائد العظيمة وسبب عدم عزمه على ذلك هو ان الملك فرنسيس
كان يعلم ان المتعاهدين معه يغارون منه اذا اخذ بعض اراض من بلاد
إيطاليا وان مقصدهم من المعاهدة معه هو اضعاف قوة الامبراطور فخشي
انه ان سعى واعاد الامير سفورس الى حكم دوقية ميلان فترهمة
المتعاهدين معه ولا يعينونه حتى الاعانة في الاغارة على مملكة نابلي فلاجل
ذلك صدر منه امر الى الامير لوتريك أن لا يصعد من الفتوح في بلاد
لومبردية لاسيما وكان البابا يلع عليه في الاستغاثه به وكان اهل فلورنسة
يدعونه الى حمايتهم والمدافعة عن بلادهم فتعلل بذلك وتوجه الى رومة
ولم يلتفت الى تضرع الامير سفورس ولا الحاح اهل البنادقة الذين
كانوا يدعونه الى حصار مدينة ميلان

ثم ان الاسير لوتريك توجه مع الجيش الى رومة وكان يسير مع التودة
والتأني فانسح الوقت مع الامبراطور حتى امكنه أن يتذكر في شأن ما ينبغي له
فعله في حق البابا الذي كان اسيراً تحت يده بقلعة سنتايج ومع ان الامبراطور كان
يظهر التدين حصل منه في عدة فرص ما يدل على انه لم يكن له اعتناء بالدين
وانه كان يظهر خلاف ما يظن خصوصاً في فرصة اسير البابا فقد اظهر الرغبة
التامة في نقل البابا الى بلاد اسبانيا ليقال انه قد اسر في ديوانه ملكين
هما اعظم ملوك أوروبا يعني الملك فرنسيس والبابا لكنه خفي أن يرزاد
عليه غضب ملوك الأفرنج ويغضه دعاياه اذا هو فعل مثل ذلك مع امام دين

طلب

اللاق البابا وتخليه
مر الامبراطور

١٥٢٧ :

١ من شهر سباط

النصرية فاستصوب أن لا يحضره يبلاد اسبانيا هذا وكان المتعاهدون المتعصبون عليه قد دفعوا يبلادا كثيرة من ايطاليا ولفروا في وقائع حجة فرأى انه يجب عليه اطلاق اليايا من الاسرا ووضعه بمحل آخر غير قلعة سنجان لكن كان هناك اسباب حلت على ايشارا الامر الاول وهو تخليه سيده منها انه كان محتاجا لكل الاحتياج الى الدراهم لجميع جيشه الذي تشتت منه وبصرفه له الماهيات المتأخرة وكان قبل ذلك قد جمع مشورة وكلاء مملكة قسطنطينية بمدينة والادوليد في اوائل السنة ليعرض عليهم امره وحالة مصالحه فاعلمهم انه يلزمه أن يستعد بامور جسيمة وقوى عظيمة حتى يتمكن أن يقاوم اعداءه الذين تعصبوا عليه لغيرتهم من تباعده ولفروه ووالجهم أن يتدبر بالمبالغ الجسيمة اللازمة له لتخفيف هذا المقصد العظيم غير أن ارباب تلك المشورة أبوا أن يضروا شيئا من المعارم على الملة حيث كان قبل ذلك قد أخذ منها بالمبالغ جسيمة وصمموا على ابلتهم مع ما بذله من الجهد من الترهيب والترهيب في حملهم على اجابته فرأى حيث قد لم يبق له وشيلة في تحصيل الدراهم لتزيمته سوى كونه يأخذ من اليايا كايان على طريق الفداء مبغيا يصرف منه ماهيات عساكره حيث كان يعلم انه لا يمكن اخراجهم من مدينة رومة قبل أن يدفع لهم المتأخر من استحقاقهم

هذا وقد كان اليايا يبذل غاية جهده ليخلص من ربة الاسر حتى عرف بقلقه ودماعته كيف يستميل الكردي نال كولون ويزيل من قلبه الحقد والعداوة لاسيما وكان هذا الكردي نال يحب أن يعيد اليايا الى منصبه ليرى اهالي اوروبا انه ذو المنزلة العظيم حيث انه بعد أن اذله ووضعه اعلى درجته ورفع له واستمال اليايا ايضا قلب الأمير مورون بزخرف القول والمواعيد وكان لهذا الأمير افعال عجيبه في امور غريبة تدل على حقيقة طبعه وكنه حاله اتم الدلالة فانه عرف كيف يسترجع ما كان له من الصولة ونفوذ الكلمة عنه ووزراء الامير اطور واخراجه وكان الكردي نال كولون بمكان من المكر واخذ بعة فينفوذ كلمة مورون ومخادعة كولون زالت العوائق والموانع

نقطة ١٥٢٧

التي كان يعطل بها رسل الامبراطور وما رتب اليها وقت في اقرب وقت
مشاركة اطلاق البيا من الاسر على شروط ملائمة للعالة التي كان عليها البيا
وتشذوان كانت في الواقع ونفس الامر صعبة وحاصلها ان البيا ازم بدفع مائة
الف ايكونه صرف على الجيش والتم أن يدفع مثلي هذا المبلغ بعد خمسة عشر
يوما وأن يدفع مائة وخمسين الف ايكونه بعد ثلاثة اشهر والزم ايضا بأن يدفع باه
من الاكفصا عدا لا يكون له مدخل في حزب المتعصبين على الامبراطور
ولا يساعدهم في القتال مع عساكر الامبراطور بيلاد لتبردا ولا يملكه
نايلي وتعهده بأن يتبرع للامبراطور بعشر الارادات القيسية التي تحصل
من بلاد اسبانيا واذن له بغزوة صليبية (الغزوات الصليبية كانت تطلق على
القتال لاختياف المقدس تطلق ايضا على قتال انوارم الذين خرجوا عن دين
الكنيسة ومن يجعل من اهل تلك الغزوات بعد سعيها عند النصراري دينا
واخرى) ودفع البيا الى الامبراطور رهائن ليستوثق بها حتى يفعل بمقتضى
ما ذكر في المشاركة واعطاء زيادة على ذلك عدة مدائن لتبقى تحت يده حتى يبنى
بالشروط التي حصل الاتفاق عليها

وبعد أن باع البابا للمناصب والوظائف القيسية وفعل ما يبين اصول الكنيسة
وقهر اثنين دين النصرانية ودفع المبالغ الاول عينا يوما لاطلاقه وتخليته سبيله
الا انه في مدة سجنه التي بلغت ستة اشهر كان قد سئم نفسه واشتأزت وصار
يخشى نواب الدهر وغوائله كما هو دأب من تحل به التكبات يخاف أن يتوقف
جماعة الامبراطور ثانيا في اطلاقه وتخليته سبيله حتى انه في الليلة التي قبل اليوم
المعين لاطلاقه تنكر في صفة بيعه وخرج من القلعة ولم يعرف احد وانما تمكنه
ذلك لان الامير آلرسون كان لا يدق عليه من عقد المشاركة ثم سار حتى
وصل قبيل الفجر الى مدينة اورويطو ولم يكن معه الا رجل من ضباطه
فلما نزل بهذه المدينة بعث كتابا الى الامير لوترين يثنى عليه فيه الشاء الجليل
وفيه انه هو السبب في خلاصه من رقة الاسر واطلاقه من السجن

مطلب

ما طلبه الامبراطور من
الملك فرنسيس والملك هنري

وفي اثناء تلك المدة ذهب رسل ملك فرنسا وملك انكلترا الى

اسبانيا ليعرضوا على الاميراطور ما انخط عليه الرأى فى المشاركة المنعقدة بين الملك فرنسيس وولسى وذرملك انكلترا وكان الاميراطور لا يريد أن يعادى هذين الملكين ويضطر نفسه فى الحرب معهما فان ذلك يقضى بقاءه وخزائنه الى الضيف والنفاد فظهر منه انه يخرج الى التسهل فى بعض الامور من الشروط الصعبة المذكورة فى المشاركة المنعقدة بمدينة مدريد وكان الى ذلك الوقت يدق فى طلبها كل التدقيق ولا يرضى أن تساهل فى شئ منها فعرض انه يرضى بقبول المبلغ الذى كان عرضه عليه اول الملك فرنسيس (وهو مليونان من الايكو) فى نظير نزوله عن دوقية بورغونيا ورضى ايضا أن يتخلى سبيل ولديه المسجونين عنده بشرط أن يخرج جيشه من بلاد ايطاليا ويرد الى الاميراطور جنويرة وغيرها من البلاد التى تغلب عليها فى ارض ايطاليا واما الامير سفورس فشدد الاميراطور فى انه لابد من عقد مشورة فى مساعدة قضاة ليحكموا عليه بما يستحقه فى نظير خيائته هذا ما طلبه الاميراطور فلما عرض ذلك على الملك هنرى وكان مما يخص حليفه ملك فرنسا بعنه اليه وانظر جوابه ولو كان الملك فرنسيس يريد الصلح واجتناب ما يحترق الى تلعب لاده وتعب رعيته لما وقف فى قبول هذه الامور لقربها جذا عما كان يطلبه بنفسه قبل ذلك لكن كانت مقاصده قد تغيرت بالكلية وذلك انه لما رأى ان الملك هنرى قد تعاهد معه وصار حليفه وراى أن سرعسكره الامير لوتريك قد تنجح فى ايطاليا وفتح منها بلادا كثيرة وأن جيشه يفوق جيش الاميراطور ايقن بالبحاح وانه يأخذ مملكته نائلي فتعلل بامورهم يقول ما عرضه الاميراطور بل طلب منه أن يرد الى الامير سفورس سائر دوله بدون مقابل ولا شرط مظهر أن ذلك من باب الشفقة والرافقة بالامير المذكور ومع انه قبل ذلك كان لا يخطر بباله مثل هذا الامر وطلب منه ايضا أن يتخلى سبيل ولديه قبل أن يخرج جيوشه من ايطاليا وبلاد جنويرة فاثلاثان الوفاق بكلام الاميراطور عما يزين الكياسة والتبصر فغضب الاميراطور من هذه اللطاليل الصعبة المشوبة بالتحذير والتوبيخ وندم

سنة ۱۵۲۷

۲۲ شهر کانون الثاني

سنة ۱۵۴۸

مطلب

دعاء الایمپراطور الى الحرب

على كونه ناسهل في الشروط الاولى وانه لا يتوصل عن ادنى شيء من الامور المذكورة اخيرا وكان لا يظن احد ان الملك هنري فرنسيس على طلب مثل هذه الامور لكنه اقترح عليها وبعث رساله مع رسل الملك فرنسيس الى الایمپراطور ليعرضوا عليه ما اطلب ملكهم فابى الایمپراطور ان قبلها وانصر فوامن عنده على ذلك

وكان مع هؤلاء الرسل رسولان آخران احدهما من طرف الملك هنري والاخر من طرف ملك فرنسا وكانا قد ارسلوا دعاء الایمپراطور الى الحرب اذا هو لم يرض بالشروط المبعوثه اليه مع هؤلاء الرسل وكانا قد مكثا عشرين عن الایمپراطور حتى يرياهل يرضى الایمپراطور بالشروط المعروضه عليه ام لا فلما طهر لهما ان الایمپراطور قد ابى ان قبل تلك الشروط حثوا الى ذواته في اليوم الثاني بعد انصراف الرسل المبعوثين بالشروط وطلبا منه الحرب كل عن لسان سيده فلقاها الایمپراطور مع الهيبه والحالة التي تليق بمقامه وخاطب كلا منهما بخصوصه على وجه يدل على ما في ضميره لكل من الملكين فاجاب رسول الملك هنري مع ثبات وعزم مشوب ببعض علامات تدل على الاعتبار والاحترام واغظ القول حين اجاب رسول ملك فرنسا واصره ان يخبر سيده فرنسيس بان الایمپراطور من الان فصاعدا لا يعتبره في شيء بل يعده ممن لا يؤمؤل عليهم ولا يوفق بكلامهم ويخبره عن لسانه انه عار عن شرف العرض والقضايا التي يمتاز بها الامراء والاشراف فلما وصل الرسول الى الملك فرنسيس واخبره بقول الایمپراطور وكان عنده شتم وتعاطم اترفه ذلك غاية التأنير وعزم على ان يقاتل الایمپراطور مقاتله شخصية بمعنى انه يريد ان يصف نفسه في الميدان لينتقم منه في نظيره و القديح فيه فبعث رسوله فورا الى الایمپراطور وارسل معه بطاقة يدعوه فيها الى المبارزة معه في الميدان وطلب منه ان يعين زمن القتال ومكانه وانه يختار ما شاء من انواع الاسلحة ولم يكن الایمپراطور ودوده في النشاط والشجاعة فقبل هذا الامر بدون توقف ولكن حصل بينهما مراسلات ومكاتبات في شأن هذه المقاتلة وكانت تلك المكاتبات مشحونة باللوم والتوبيخ

مطلب

دعاء الملك فرنسيس

الایمپراطور الى المقاتلة

لشخصية عوى مبارزة

لقرنين في الميدان

المشعر بالمسبة واساءة الأدب من الجانبين فتسمى هذا الامر وهو في الحقيقة لا يمتثل فيهما اذ هما اعظم ملوك ذلك العصر وانما هو من شأن الابطال المأثور ذلك عنهم في الحكايات

ولما حصل هذا الامر من ملوكنا اعظم ملوك ذلك العصر فتصت به اذهان الناس ونشأ عنه تغير عظيم في اخلاق بلاد اوربوا وقد قدمنا في الانحاف ان عادة الدويل (الدويل اصله باللغة اللاطينية دويلوم ومعناه القتال بين اميرين ثم توسع فيه حتى صار يطلق على كل حرب شخصية يحصل بين اثنين اياما كان نسبهما او مقامهما ومعنى دو اثنان) كانت قد مكنت زماما طويلا فتوسعها الشرائع والقوانين في سائر بلاد الافرنج حتى كانت معدودة شطرا للقوانين الملل الافرنجية وربما يحكم بها القضاة المدنية في بعض الاحوال من حيث كونها واسطة في قطع النزاع في الدعاوى المدنية والجنايات لكن لما كان القتال الشخصي اذ ذلك معتبرا كانه احسان يظهر فيه الله سبحانه وتعالى العدل والانصاف ويخلص الحقوق لاربابها كانت الشرائع والقوانين لا توجبها الا في اتم المصالح والدعاوى العامة وكانت تبين الكيفية التي يكون بها هذا القتال وحيث كانت تلك العادة جارية في الحكم اتقدى بها الناس واسمعوها في مشاجراتهم الخصوصية الشخصية فبعد ان كان الدويل لا يعمل الا بامر من الحاكم صار من وقتئذ يعمل بدون امره وتوسع في استعماله حتى صار يجري في صور لم تكن مقررة في القوانين فلما حصل بين الاميراطور شركان والملك فرنسيس انهما ارادا القتال الشخصي معا والبروز في الميدان تقوت هذه العادة كل التقوية وكثر استعمالها فكان اذا حصل ادنى اساءة في عرض امير من البيكزاد الار رأى ان له الحق في الانتقام من خصمه فيدعوه الى الميدان ليخلص منه خصم قسأ عن ذلك تسامح مضره بحيث كان الناس يومئذ مع شجاعتهم وكمبر قوسهم ذوى خشونة وشراسة اخلاق فكانت تكثر اساتمتهم وحقدهم لبعضهم فوهت اعظم اهالى اوربوا في الميدان فكم هلك في هذا القتال اناس يعظم قمعهم للوطن ولقد دمرت اوقات كان بها

عادة تلك المقاتلة
الدويل بهذه الحادثة

قصة الدويل

سنة ١٥٢٨

للقتل الشخصي اهل واشنع من الحروب المدينة والفتن الداخلية فانظر الى حكم العادة وكثرة تقوى احكامها واقبها على الاحكام الشرعية واليهودية حيث ان هذه قزرت عقوبات صعبة واستعملت وسائل دينية في ابطال هذا الامر الذي لم يكن معروفا عند الاقدمين ولا يستحسنه العقل والذوق السليم ومع ذلك فلم يمكن ابطاله ولا قطع عرقه ولكنه ينبغي ان نعترف ان ذلك الامر مع شناعته ترتب عليه الا تهذيب الاخلاق وتحسينها واحترام الناس لبعضهم حتى صارت معاملات الناس ومعاملاتهم جارية على وجه لطيف مستحسن لم يسبق نظيره عند اعظم الملل السالفة واكثرها تمددا ورفاهية واحسنها اخلاقا

ولنرجع الى موضوعنا نقول انه في مدة ما كان الاميراطور والملك فرنسيس يريد ان انهاء دعواهما بالقتال الشخصي كان الامير لوتريك مستترا على الحرب في ايطاليا مع عساكر الاميراطور وكان جيش لوتريك قد ازداد عدده حتى بلغ خمسة وثلاثين الفا فسار به الى مملكة نابلي فلما دنا منها حصل لعساكر الاميراطور فزع ورعب زاده الحاح رئيسهم امير اورنجيه وحشه لهم على الخروج من مدينة رومة فتوقفوا ثم خرجوا منها بعد ان مكثوا فيها عشرة اشهر وهم يظلمونها ويرتكبون فيها ما لا مزيد عليه من انواع المقاسد والمظالم لكن لم يبق من هؤلاء العساكر الايمبراطورية الذين دخلوا رومة في بهاء ورونق عظيم الانضمام وهلك الباقي في ابطالاعون والامراض التي حدثت فيهم من طول مدة الدعة والبطالة وانما كهم على الازات والشهوات مدة اقامتهم بها وقد بذل الامير لوتريك غاية جهده ليشتمكن من الهجوم على عساكر الاميراطور وهم متوجهون الى ارض نابلي ولو نجح في ذلك لانتفى الحرب لوقته الا ان رؤسائه هؤلاء العساكر خزهم وتبظظهم افسدوا عليه ما دبره في هذا الشأن حتى فوغل العساكر المذكورون الى نابلي ولم يهلك منهم الا القليل وكان من عادة اهالي مملكة نابلي ان يسلموا العزب الاقوى الغالب وكانوا يودون الخلاص من حكم اهل اسبانيا

مطلب
خروج عساكر الاميراطور
من مدينة رومة

١٥٢٨

شهر سباط

أر الفونسانية
بنة نابلي .

وايمراطورهم قصابوا جيش القرنساويته مع القرح وكانوا يلقونهم مع البشاشة
ايغلزوا من بلادهم حتى لم يبق لعساكر الايمراطور من المدائن الحصينة والقلاع
سوى مدينة غليطة ومدينة نابلي فأما الاولى فلم يبق بايديهم الا انها
كانت حصينة متينة الاسوار وكان السبب في حفظ مدينة نابلي هو حضور
عساكر الايمراطور بها ووافقتهم عنها ومع ذلك تقدم الامير لوزريك
بالجيش القرنساوي الى نابلي وضرب معسكره تحت اهورها لكنه رأى
انه لا يمكن الاستيلاء عليه لكثرة العساكر والمهاطين بها فاقصر على حصارها
حصاراً طويلاً وان كان يعلم ان طريقة الحصار بطيئة غير انه رأى هادون المصوم
خطر وبعد ان رتب الحصار وسد اكاف المدينة وارجاءها كتب الى
الملك فرنسيس يعلمه بان عساكر الايمراطور سيضطرون عن قريب الى
التسليم لشدة القحط والجحاعة لانه قد قطع عنهم الوارد وسد عليهم جميع الابواب
وقد حصلت حينئذ حادثة تقوى بها هذا الامل عند حزب فرنسيس وهي
أن عساكر الايمراطور شنوا الغارة ليلتغلبوا على البحر فخرجوا خائبين
وذلك أن سفن الامير اندره دورية التي كان حكمدارها ابن اخيه الامير
فيليبين كانت تحترق داخل الميناء فارد الامير مونكاد وكان قد خاف الامير
لانواي على حكومة نابلي أن يتغلب على البحر فجهز مقداراً من السفن
يزيد على سفن الامير اندره دورية ونزل فيها هو والمتمم غواست واعظم
الضباط والعساكر الاسبانية وجمعهم على سفن الامير دورية قبل أن تلحقها
سفن القرنساوية وسفن جهورية البنادقة ولكن كان الامير دورية
يفوق اعداءه في فن البحرية والحركات العسكرية فانتصر على عساكر
اسبانيا مع شجاعتهم وكثرة عددهم وعددهم وقتل الامير مونكاد حاكم
نابلي وتلف معظم سفنه وأسر المتمم غواست وعدة من اكابر الضباط
الاسبانية فوضعهم الانيه فيليبين في السفن التي اخذها من الاعداء
وارسلهم الى عمه اندره دورية علامة على نصره على الاعداء
ونظروهم بهم

ومع هذا التبحر الذي تقوى به امل الامير لوريك حتى حصول التصريح عن
قريب حصان علة حوث اخرى افسدت عليه امله وذلك ان البابا كليمان
وان اعترف غير مرة ان الملك فرنسيس هو الذي انقذه من الاسر وبالغ
في الاساءة التي حصلت له من طرف الامبراطور ~~فكان~~ لا يسلك في اموره على
حسب ما كان يعترف به ويظهر من صدق المحبة للملك فرنسيس واغرب
من ذلك انه تنافى في بغضه للامبراطور وصار لا يصح عن الانتقام منه لنفسه
في نظير اساءته له وكذلك انه كان من عادته ان لا يأمن صروف الدهر وغره
بل يحترس منهما امكن في اموره فلما حلت به المصائب ووقع اسير في قبضة
الامبراطور وخلص من ذلك زاد احتراسه من نيكات الدهر فكان كلما فكّر
فيما حصل له ازداد خوله وكثر تردده فينبأ ~~فكان~~ يلاهي الملك فرنسيس
بالمواعيد المزخرفة كان يتفاوض سرّا مع الامبراطور ~~شريكان~~ لاسيما وكان
البابا المذكور يريد ان يثبت لعائلته الحكم الذي كان له في بلاد فلورنسة
قبل ان تخرج عن طاعته وتصبح جمهورية مستقلة وكان يعلم ان الملك فرنسيس
لا يساعده على ذلك حيث انه تعاود مع هذه الجمهورية معاودة كبيرة
وان الامبراطور هو الذي يتقعه في مثل هذا الامر فكان ميله الى الامبراطور
الذي هو عود ما كثر من ميله الى الملك فرنسيس مع انه كان سببا في خلاصه
من الاسر فلذا لم يساعده الامير لوريك ادى مساعدة هذا وكان اهل
البداقة يغارون من نجاح جيش الفرنسيين فاشتغلوا بأخذ بعض مدائن
بحرية من بلاد نابلي ~~فكانت~~ مطمح تطرهم ولم يلتفتوا الى اعانة جيش
الفرنساوية على اخذ مملكة نابلي فآثروا مصلحة انفسهم على المصلحة
العامّة

واما ملك انكلترة فلم يمكنه ايضا ان يغجز الغرض الذي كان عزم عليه لاجل
مشاغله الامبراطور وانشاعه في الحيرة وهذا الغرض هو الهجوم على مملكة
البلاد الواطية وكانت من محال للامبراطور وكان السبب الذي منعه عن
تجيزه هو ان رعاياه كانوا ايرضون بهذا الحرب لكونهم رأوا انه لا يعود عليهم

سنة ١٥٢٨

بالمنفعة بل يترتب عليه تعطيل تجارتهم وكسادها فلما شاهد منهم ذلك أخذ
يعلمهم بما يمكن به غضبهم وينج من حصول قننة بينهم حتى اضطر الى عقد
هدنة مئة ثمانية اشهر بينه وبين ملكة البلاد الواطية وقد حصل ايضا من
الملك فرنسيس اهل مال وتراخ كما هي عادته فلم يرسل الى الامير لوتريك
المبالغ اللازمة لمصاريف الجيش ولوازمه

طلب
ام الامير اندر دورية
الفرنساوية ودخوله
حرب الامبراطور

فتبكت الاسباب قوت همة العساكر الفرنسية وهمة الامير لوتريك
وحصلت حادثة اخرى سدت عليهم جميع الابواب واوقعتهم في اليأس والقنوط
وهي عصيان الامير اندر دورية وذلك أن الامير المذكور كان جمهوريا
وكانت تربيته من صغره في الحرية فكان مع حبه للاستقلال لكل
الجمهوريات متعلقا بالاخلاى الحميدة من طيب السريرة وخلوص الطوية
وغير ذلك من الصفات الحمودة التي يمتاز بها البصرية وكان طبعه بأبى المداينة
والتلق الذين لا بد منهم ما لم اراد أن يكون له حظوة في دواوين الملوك وكان يعرف
مقدار نفسه وجلالة شأنه فكان يبدى رأيه في كل امر يحسب بما يستحسنه عقله
ويتظلم بمن يضمره فلا يخشى بأسا وكان وزراء الفرنسية غير متعودين
على مثل هذا الشعم فعزموا على اهلاك هذا الامير حيث كان لا يحسن
معاملتهم ويسلك معهم مسلكا يرونه مخلا بشروط الادب والاحترام وكان
فرنسيس يعلم أن هذا الامير ينفعه كل النفع وكان يعتمد فيه كرم الاخلاق ومع
ذلك لم يرل اخصاؤه وارباب ديوانه يقدمون فيه ويسالغون في ذمه ويصفونه
بالكبر وسوء الخلق وانه يؤثر مصلحة نفسه على مصلحة فرنسا فزال حسن ظن
فرنسيس فيه بالتدريج وصار لا يتق به ومن وقتئذ حصل للامير اندر دورية
اساءة وعظالم لا تطيقه النفوس فكانت ماهيته لا تدفع له اقلا بأول كالسابق
بل كان في الغالب لا يسمع قوله ولا يقبل رأيه في المصالح البصرية وارادوا
أن يأخذوا من ابن اخيه الامير فيليبين جميع من أسره في الحرب البصري
الذي حصل بينه وبين سفن الامبراطور في ميناء نابلي وبينما كان الامير
اندر دورية متفخرا من هذه الامور غابة الفخبر اذ حصلت حادثة اخرى عيل

سنة ١٥٢٨

بها صبره وهي أن الفرنساوية تآخذوا ويحصنون مدينة سابون ويتفقون
 ميناها وتقالوا اليهم من التجارة بعض فروع كانت مخصوصة بمدينة جنويرة
 التي هي موطن هذا الامير وتظهر منهم انهم يريدون جعل مدينة سابون
 المذكورة زاهية بالتجارة والثروة كمدينة جنويرة وكان اهل جنويرة
 يغيضون تلك المدينة ولا يحبون أن تشركهم في التجارة فلم يستطع ذلك
 واخذته الحمية فغلي وطنه فتشكى من هذا الامر وهدد الفرنساوية بانهم ان
 لم يرجعوا عن هذا المقصد حل بهم الضرر وندموا كل الندم وكان خواص
فرنسيس يغيضون هذا الامير فلما حصل منه ذلك اخبروا به الملك بعد
 أن بالغوا فيه واضافوا اليه امورا رديئة من عندياتهم فاصدين تغبر الملك عنه
 فغضب فرنسيس كل الغضب وبعث امر الى الامير ال (قبطان باشا)
باربيزو أن يتوجه بحصة الدونغا الفرنساوية الى جنويرة ويقبض
 على الامير آندره دورية ويستولي على مامعه من السفن وكان يلزم
 للمحافظة مهما أمكن على اخفاء هذا الامر الصادر عن غير حزم وتبصر لكن
 لم يعن باخفائه فلم يلبث الامير آندره دورية من قبل فآخذ سقته ورساها
 في محمل آمن بحيث لا يخشى من اعدائه مادام فيه وكان الملتزم غواست
 وقتئذ اسير اعنده فلما رأى هذا الملتزم غم هذا الامير اخذ يقره من الفرنساوية
 ويذكره ما يرغبه في الانضمام الى حزب الامير بطريرك فلما رأى أن الغضب والحقل
 قد عظمته غاية التمكن انتهزت تلك الفرصة وحمله على أن يبعث ضابطا من ضباطه
 الى الامير بطريرك ليتس منه الدخول في خدمته بموجب شروط بعضها مع ذلك
 الضابط وكان الامير بطريرك يعلم أن دخول هذا الامير في خدمته مما يمينه اتم
 الاعانة على اعدائه فبادر بقبول الشروط المعروضة عليه من طرفه وادخله
 في حربه فمجرد اتمام هذا الامر ارسل الامير دورية الى الملك فرنسيس
 يشانه وخط عن صفته بنديرة الفرنساوية وابذلها بنديرة الامير بطريرك ورفع
 الشراع وسار جهة مدينة نابلي قصد خلاصها واقتادها لا قصد حصار
 ميناها كالسابق

فمجد وصوله الى مدينة نابلي قصت طرق البحر وصارت تلبى للمدينة في رضاء
من البعض بعد أن كانت في اشتد الكروب من القسط والجلب وبأما القرنساوية
فانهم بعد أن تركهم الامير راندره دوريه ضاعت منهم سلطنة البحر وبعد مدة
قليلة قد زادهم وذاخرهم أكلوا الى اسوء حال وكان الامير دورنجه قد تولى
الرياسة على جيش الایمراطور بعد موت النائب الذي كان حاكما على بلاد نابلي
فسلك هذا الامير ما صار به اهلا لهذا المنصب العظيم وحسب ان عزه راعا على
العساكر محبوبا لديهم لانهم اتصروا معه مرارا عديدة ونجحوا كل النجاح
فكانوا يطيعونه ويتلقون اوامره بالقبول وخصوص التية فكان دائما وابدا
ينقض على الاعداء بعساكره ويتعهم حتى اذا قهرهم العذاب الاليم وكنت قواهم
وتلاشى عزهم * ومن سوء حظ القرنساوية نزلت بجيشهم الاغراض
التي تكثر عادة تلك البلاد في فصل الصيف وكان القرنساوية قد أسروا جلده
من عساكر الایمراطور فجمع حيا الطاعون لانهم كانوا بمدينة رومة واتوا به
معهم الى نابلي فلما دخل هؤلاء الاسارى في معسكر القرنساوية ظهر
فيه الطاعون فمعا قليل هلك عساكر القرنساوية ولم يسلم من العدوى الا مقدار
قليل من الضباط والعساكر خلم يبق في الجيش الا دون اربعة آلاف تقدر على حمل
السلاح ولا شأن هذا المقدار لا يكتفى في المدافعة عن المعسكر فحاصره عساكر
الایمراطور من بقى من جيش القرنساوية وضيقوا عليهم كل التضييق حتى
نحل بهم مثل ما كان حل بعساكر الایمراطور فكثرت بينهم الامير لوتريك
مدة طويلة وهو يمارض تلك العوارض والمصاب ثم اصيب بالطاعون وكان
قد عظم عليه الامر واشتد به العكرب فهلك وهو يتأوه من اهمال الملك
فرئيس وخيانة حلفائه بمتعاهديه حيث ترتب عليهما قد ابطال
القرنساوية ونجحوا بهم وكان لا يجد بعده من يصلح للرياسة على الجيش لان جميع
الضباط من الجفالات كانوا مرضى فانبط بها الملتزم دوساوس ولم يكن
عندهم المعارف ما يكتفى في تدبير هذا المنصب المهم الجسيم فاختلف نظامه
ومرالى مدينة اوربسة هو من بقى من الجيش وكانوا شذمة قليلة قد لحقهم

سنة ١٥٢٨

من التعبد والنصب ما الامر يد عليه فبعد ذلك اتاه الامير دوربجة الحصار على مدينة اوريته فمما قيل اضطر دوسالوس الى التسليم ووقعت المشارطة على أن يبقى اسير عند مرعسكر الايمبراطور ويتولى له سائر مواد ومهمات وأن يجرد الفرنسيون عن الاسلحة ويرسلوا الى المملكة فرانساً بدون سلاح ولا رايات وتعتصم سريته من عساكر الايمبراطور لأجل خضوعهم حتى يصلوا الى ضواحي تلك المملكة فهذه المشارطة المورثة للمعزة كانت شجاعة بقا الجيش الفرنسي وبعزم الايمبراطور وحزم رؤسائه وحسن سلوكهم رجع اليهم كان عليه من القوة وقوة الكلمة والشوكة في بلاد إيطاليا وقد اعقب تدمير هذا الجيش في محاصرة نابلي ضياع جنورة وكان الامير دوربة يطمع في اقتياد وطنه من حكم الاجانب حيث ان ذلك هو الحامل له على التخلي عن حزب الملك فرنسيس والدخول في حزب الايمبراطور ولم يكن لاحد له فرصة اعظم من ذلك في تبهم هذا المشروع الممدوح وكان اهل مدينة جنورة قد هاجروا منها لوجود الطاعون بها وكان يحافظونهم من الفرنسيين قد لحقهم الخبز والسامة حيث كانت لا تدفع لهم ما هياتهم وكانوا قد تساقص عددهم بسبب الامراض الوبائية ولم يأتهم امداد جديد يعينهم ويشد عضدهم ولما بعث الامير دوربة رسلا الى تلك المدينة رأوا من بقي من اهلها قد ستموا من حكم الفرنسيين وحكم اهل اسبانيا حتى صاروا يودون أن ينقذهم احد من ذلك ووعدوا بأنه ان تصدى هذا الامير لاتقاذهم بادروا بملاقاته ومساعدته في جميع مشروعاته فلما بلغ ذلك الامير دوربة وايقن أن مقتضيات الاحوال تساعد في تجهيز هذا الغرض توجه بسفنه في نهر جنورة فلما دنا منها تباهت عنها السفن الفرنسية واخرج سريته من عساكره الى البر فاجأت المدينة ليلا وتخلت على باب من ابوابها وكان حكام دارها اذ ذاك الامير تريولس الفرنسي فآوى الى القلعة مع محافظيها وكانوا في عدد قليل وغلقوا ابوابها فاستولى الامير دوربة على المدينة بدون قتال وكان الامير تريولس وهو في القلعة لا يجد ما يلزم له

مطلب

رجوع جنورة الى

حزبها

١٢ من شهر ايلول

سنة ١٠٤٨

من الذخائر والازاد فاضطر بعد قليل الى التسليم ولما كان جاه القطعة من الامار التي
تدعى اهل جنويرة باستعبادهم ورفقهم علي عمر الايام بادروا بازالتها
وجعلوا عليها اسلحتها

ولا يخفى أن الامير دورية كان يمكنه بدون عائق ان يصيرها كما مطلقا
في جنويرة يتصرف فيها كيف يشاء حيث اقتضاه من ايدي الاجانب
فانه كانت له شهرة عظيمة وكان له احباب كثيرون وكان له موقع عظيم في قلوب
ابناء وطنه لهذا الواقعة وكان الامير اطور ظهيره فكل ذلك يسهل عليه الاخذ
بزمام الحكومة ويحسنه اليه لكن لشرف نفسه وعلو همته لم يلتفت الى سسلية
نفسه ولم يبعث عن الحكم بل اتر على ذلك فخر اعادة الحرية الى وطنه ولاشك
ان هذا اعظم نهي طمعت فيه النفوس البشرية وقد جمع هذا الامير الاهالي
في ساحة قصره وذكركلهم ان ما داخلهم من الفرح والسرور من رؤية اهل وطنه
احرا كما كانوا هو اعظم مكافأة له في تطهير خدمته وتعبه وأن لقب ابن البلد الذي
عند من لقب الملك والحاكم وانه لا يريد أن يحكم ابناء وطنه ولا يتعالى عليهم
بل يتركمهم يرتبون حكمهم بجهوريتهم كيف شاؤوا وكانوا يسعون كلامه وادعهم
تساقط من ذلك عجا وطربا فاقنصوا من بينهم اثني عشر رجلا يرتبوا صورة
الحكومة وتأسي اهل جنويرة بملوكهم هذا الامير وتحلوا بفضائله
ويخلقوا باخلاقه حتى نسوا ما كان بينهم من التفاحم والشقاق الذي مكث مدة
طويلة يمزق دولتهم كل ممزق واحتسوا باحتراسات حازمة حتى لا يعود هذا
الشقاق الى دولتهم نائبا ثم رتبوا صور الحكومة على وجه غريب فكانت
حكومة جنويرة على هذه الصورة من ذال العصر الى وقتنا هذا من غير
أن يحصل لها تغيير ولا تبدل بل يجر الامير دورية طويلا وكان محترما مهابا
محبلا محبوبا عند ابناء وطنه منذ حياته ولم ير له على الهمة شريف النفس ظم
يطلب لنفسه قط امتياز اذا تباينت اذ به عن غيره ومع ذلك كانت له الكلمة النافذة
والحل والعقد في المشاور والجمعيات بتلك الجمهورية التي له الفضل عليها حيث
اجاد لها خفاها القديم واحياها وقد كانت من الرميم ولاشك أن الصولة

مطلب
لولة الامير دورية الذي
ل على انه كان خليعا
غير ان شريف النفس

التي كان يحتلها كانت احب اليه مما كان يثبت له لوتولى الحكومة على
الجمهورية لان مولته كانت مؤسسة على اعتراف الاهالى له بالشكر ومحبتهم له
بخلاف ما لو كان ملكا عليهم فان مولته تكون مؤسسة على خوفهم منه وذلك
خطر لا تحمد عاقبته غالبا ومن ثم ترى اسمه محترما عند اهل جنويرة الى
الآن ففي عباداتهم العامة ومبائهم آثارا للتعلي ذلك كما ان تالكيف مؤرخهم
ترى فيها اسمه غلي بلشرف الالقاب وانقرها كيف لا وهو ملقب فيها بأبي
وطنه ومعيد سرته

سنة ١٥٢٩

مطلب
الحرب في دوقية ميلان

ولما كان الملك فرنسيس يريد أن يسترجع شهرة عساكره بعد ضياعها
بسبب المصائب التي حلت بهم والمزيمه التي حصلت لهم غير مرة اغار ثانيا
على دوقية ميلان ولكن جعل سر عسكر جيشه القوتة ساقبول وكان
على ما فيه من الحسارة خاليا عن التجارب فلم يكن فيه صلاحية لمقاومة
الامير انطون دوليو رئيس العساكر الايمبراطورية وكان امهر ضباط
الايمبراطور وانجهم وكان يعرف في الحرب حق المعرفة فامكنه مع قليل من
العساكر أن يطرد الفرنسيين ويضد عليهم ما كانوا يدبرونه فانه وان كان
هرما لا ينزل من العربة انما توجه الاله فاق الفرنسيون نشاطا ومهارة
وقريحة فقاهاهم يوما وهزمهم وقبض على سر عسكرهم الامير سانبول
واستأصلهم في دوقية ميلان قتلا كما فعل الامير دورنجية بالجنين
الفرنساوي أمام مدينة نابلي

مطلب
المداولات التي حصد
بين ملك فرنسا
والايمبراطور

ومع استمرار الحرب بين الفرنسيين كان يلوح على كل منهما انه يريد الصلح فكانت
المداولات مستمرة بينهما في هذا المعنى وذلك أن ملك فرنسا رأى أن خزائنه
قد نفذت وعساكره قد هلكت فلا يمكنه اطلاق اولاده من الاسر فزعمه أن يسلك
مسلك الملاطفة وأن يرضى خاطر الايمبراطور حتى يوزج بامرأته ويخلص اولاده
من الاسر هذا وكان البابا كليمان يطمع انه اذا عقد مشاورة مع الايمبراطور
يمكنه أن يسترجع ماضاع منه في هذه الحرب واما الايمبراطور فانه وان كان
هو الظاهر الغالب الا انه كان ينجح الى الصلح لاسباب قوية وذلك أن السلطان

سليمان كان قد تغلب على بلاد البحر وانشك أن ينقض بجيوش المشرق على بلاد الاوسترسيا وزيادة على ذلك كان دين لوتبر كل يوم في ازدياد واتشار في سلزبلاد ألمانيا وكان الامراء الذين ينصرون هذا الدين وبعض دونه قد عقدوا مع بعضهم عصبة يخشى منها تعكير الايمبراطورية وايقاع الفتن بها وكان اهل اسبانيا يلهمون الايمبراطور على هذه الحروب ويتظلمون منها حيث كان معظم مشاقها عليهم لاسبابا كانت قد عظمت واتسعت دائرتها فرأى الايمبراطور ابراهه لا يكتفي في مصاريفها وانما كان نصره على عدوه لو فور خطه ومهارة ضباطه ورؤساء عساكره وهذا مجرد لا يكتفي في استتار نصرة عساكره الذين كانوا في الغالب لا يجدون ما يلزم لهم على حساب العدو الذين كانوا يلزل عندهم ما يقوى همهم ويسوق لهم الهجوم على اعدائهم هذا ولا يخفى أن الملوك الذين كانوا متعصبين على الايمبراطور لم يستطيعوا اخفاء مقاصدهم واغراضهم بخلاف الايمبراطور فلم يلزم اعداءه بشروط صعبة حتى لا يتوهموا هجره عن استمراره على القتال واما البابا فكان لا يريد أن يتغلب من معاهده قبل أن يتعاهدا ويعقد مشاركة مع الايمبراطور فكان يحاولهم ويخادعهم من جهة ومن جهة اخرى كان يتشارط مع الايمبراطور سرًا ولما كان الملك فرنسيس يخشى أن يسبقه معاهدوه وحلفاؤه الى الصلح مع الايمبراطور سلك في هذا الامر سلكا يحل بالمرودة والانسانية وشاغل معاهده حتى لا يفتقوا على ما دبره في هذا الشأن

ففيما كان كل فريق يرغب في الصلح ولا يتجاسر على طلبه ولا على السعي في تحصيله شرعت امرأتان في ايقاع هذا الامر الذي كان يرغب فيه سائر ملوك الانرمانج احدهما ميرغريطة اميرة الاوسترسيا الوارثة اقليم سبوة عن زوجها وهي تبار الايمبراطور والثانية الاميرة لويرون ام الملك فرنسيس فاتفقتا على أن يتقابلا في مدينة كبريه لاجل المفاوضة في هذا الشأن وسكنتا في بيتين متلاصقين وقتعت بينهما فرجة واجتمعتا على وجه المحبة والالفة بدون التزام ما فيه كلمة وجعلتا يدا كران ولم يكن معهما

سنة ١٥٢٩

ثالث وكانت كل اميرة منهم تعرف احوال ديوان مملكتها ومصالحتها حتى المعرفة وكانت كل منهم ملتقى بمصاحبتها فمما قيل انخط الرأي بينهما على امور شتى وكلا يتم بهذا كراتهما صلح تام مستكمل لجميع الشروط والادوات وفي اثناء ذلك كان رسل المملوك المتعاهدين ينتظرون مع القلق ما يصدر من هاتين الاميرتين في شأن بلاد اوربيا

ومع ان هاتين الاميرتين كانتا تيجلان بعقد صلح عام حصل ان البابا سبقهما بعقد مشاركة مع الامبراطور سراً في مدينة برسلونة وذلك ان الامبراطور لما توجه الى بلاد المانيا قصد ان ينزل بايطاليا ليفسر بها الامن ولاطمئنان قبل وصوله الى المانيا لتسكين القن والتفاهم فرأى انه يلزم له ان يعقد مع دولة من دول ايطاليا معاهدة يعول عليها ويستند اليها وكان البابا لم يرزل يبحث عن المعاهدة معه فاستصوب الامبراطور ذلك وآثر المعاهدة معه على غيرها لاسيما وكان يود ان تلوح له فرصة يصلح بها ما كان فعله من الاساءة في حق البابا الذي هو رئيس النصارى وامام دينهم ويمحو قديم خطيئته بمحدث صنع جميل فعامل البابا بحسن المعاملة وسلم له في امور شتى كان لا يتأتى له الطمع فيها ولو بعد نصرات عديدة فكان من جملة المواد التي اشتملت عليها المشاركة ان تعهد الامبراطور بأن يرزق الى البابا ساير الاراضي القيسية وأن يرزق بابانيا في فلورنسة حكم العائلة الميديسية وهي عائلة البابا كجان كما تقدم وأن يرزق بنته من الزناة للامير اسكندر رئيس العائلة المذكورة وأن يرخص للبابا أن يفعل كيف يشاء مع الامير سفورس ويتصرف في حكومة دوقية ميلان كما يجب ويختار وتعمد البابا أن يعطى للامبراطور حكومة مملكة نابلي ولا يدفع الامبراطور له خراجاً وانما يتعهد له أن يسأله بيزنطة ليايض لتستمر السيادة على تلك المملكة وصدمته فرمان بالعفو عن كل من كان لهم دخل في نهب مدينة رومة والهجوم عليها وأذن للامبراطور واخيه فردينند أن يأخذ اربع مافي دولهما من ايرادات الكنيسة

مطلب
انفقاء مشروط
خصوصية بين
والامبراطور في ٢٠
شهر حزيران

لصلح المنعقد بمدينة كبرى
بين الامبراطور والملك
فرنسيس في شبرأت

ولما شاع خبر هذه المشاركة وقع التجهيل في المداولات والمذاكرات التي كانت
حاصلة بمدينة كبرى بين الاميرة مرغريطة والاميرة لوردة حيث
ان هاتين الاميرتين يجمردن معهما بالمشاركة المذكورة انهما مشارطتهما
وكانت المشاركة المنعقدة بمدينة مدريد اصلا للمشاركة المنعقدة بين هاتين
الاميرتين وكان القصد منها تخفيف الشروط الصعبة المذكورة في المشاركة
الاولى يعني مشاركة مدريد المذكورة والبنود الاعطية من مشارطتهما
هي ان الامبراطور لا يطلب الا رد ودوقية برغونيا بل يقيم الى وقت آخر
ولا يسترك حقوقه ودعواه في شأنها وان الملك فرنسيس يدفع مليونين
من الايكو لقضاء اولاده وقبل اطلاقهم وتخليه سبيلهم رد الملك فرنسيس
الى الامبراطور سائر المدائن الباقية له في دوقية ميلان ويطلق له ايضا
عن حكومة الفلنك واقليم ارنوازة ويترك دعواه في شأن نابلي
و ميلان و جنويرة وسائر المدائن الاخرى الموضوعة خلف جبال
الپه ويجمردن ابراء المشاركة بتزويج بالاميرة الينورة تحت الامبراطور
كما هو مقتضى الاتفاق السابق

كون هذه المشاركة فيها
شريف ونفخار للامبراطور

ولما كان الملك فرنسيس في قلق عظيم لاجل خلاص اولاده من الاسر رضى
بهذه المشاركة فترك جميع ما كان الجاه اقلا الى الحرب مع الامبراطور مدة
تسع سنوات وهو حرب طويل لم يكن يعهد مثله في بلاد اوروبا قبل
ان تظهر بها الجيوش المنتظمة وضرب المغارم الخارجة عن حد العادة
فصارت بلاد ايطاليا بموجب المشاركة المذكورة تحت يد الامبراطور
يتصرف فيها كيف شاء واتخذ املاكه التي في مملكة البلاد الواطية من عار
التبعية لمملكة فرانسوا دأن غلب الامبراطور خصمه وظهر عليه
في الحرب ازمته عند عقد البيع بما شاء من الشروط الزام السيد لعبده والمتبوع
لتابعه ولا غرابة في ذلك اذا نظر الانسان الى سلوك كل من الملك فرنسيس
والامبراطور شر لكان وقت تدبير امورهما فان شر لكان كان يدبر مصادره
مع الحزم والتبصر ويتبعها مع العزم والتصميم حتى تأتى في التمييز على احسن

سنة ١٥٢٩

حالة وكان ذلك اوفق بطبعه كما كانت الضرورة والمقتضيات اخذ الشجعلة
 مما لا بد منه وكان دائما يراعى مقتضيات الاحوال والحوادث حق الرعاية
 فلم تفته فرصة مما يترب عليه نفعه الا انتهرها بخلاف فرنسيس فان عزمه
 عند الشروع في المصايد اقوى من عزمه عند اراءة التخييز بكثير فكان عند
 العزم على المشروعات الحسبية يقدم عليها مع حية لا بارى * وحدة لا تجارى *
 الا انه لا يدوم على ذلك بل لدى ارادة التخييز تفرقه * وتضعف حية عزمه
 وحجته * وبالجملة فكان غالبيا يضع ما يبدؤه من القرم السافعة المهمة اما
 لا يشتغاله بالعب واليهو او لغش خاسته وخدا عهم اياه هذا ما كان من امر
 الحكيم من حيث تباينهما في صفاتهما الذاتية وكذلك تباين رؤساء عاكرهما
 في الفضائل والمعارف لم يكن تأثيره دون ذلك في نجاح حرب الايمراطور
 وخذلان حزب فرنسيس فان رؤساء عساكر الايمراطور كانوا اجمع
 شجاعتهم لا يعدلون عن سنن السياسة والحزم وكانوا ارباب قرائع جيدة
 وعقول صائبة مستنيرة بمصايح التجارب وفطنة نافية تدرك مقاصد الاعداء
 وما تربهم وبالجملة فكانوا مستكملين لجميع الصفات الجليلة التي يعتاز بها رؤساء
 العساكرين الابطال ويثبت بها النصر والظفر بخلاف الرؤساء الفرنسيين
 فلم يكن عندهم شيء من تلك الصفات الحميدة بل كان اغلهم جامعا لضدها واذا
 قطعت النظر عن معارف السرعة كسر لوتريك وان لم يساعده الدهر على
 مشروعاته لا ترى في رؤساء الفرنسيين من يقتضري كونه يبلغ في المعارف
 درجة الامير بسكر والامير ليوه والامير دوغواست والامير
دورنجه وغيرهم من الرؤساء الذين ابرزهم الايمراطور شرلكان لقوامته
 الفرنسيون وقتالهم وكان لمملكة فرانسا من يحكمه بمعارفه وحسن سلوكه
 أن يعادل رؤساء الايمراطور وهو الدوق دييوريون والامير مورون
 والامير دورية ما لانهم تركوا لمملكة فرانسا التي هي وطنهم وانفضوا الى
 حزب الايمراطور وكان السبب في حرمان فرانسا منهم هو افعال الملك
فرنسيس او خبط طوية اخصائه وظلمهم وقد علم مما سبق أن المصائب التي

سنة ١٥٢٩

حلت بملكة فرنسا مدة الحرب كلفت صادرة عن حقه هؤلاء الثلاثة
ويأسهم حيث فعل معهم من الاسامة ما اوجب غضبهم فوجلتهم على الغنى عن

حزب فرنسا والدخول في حزب الايمبراطور

ثم ان الشروط التي ازم بها الملك فرنسيس في شارطة كبرى وان كانت
صعبة عليه الا انها لم تورثه من انقضى والعرة ما ورثه غيرها مما ذكر معها
في تلك المشارطة وذلك انه قد شهرته وصار ملوك داورويا لا يأتمنونه

ولا يشقون به حيث تخلى عن معاهدته وجعل امرهم بيد خصمه وسبب ذلك
انه لم يعرض لما فيه مصطلحتهم خشية ان يلزمه ما ورثه في نظيره ما يطلبه لهم

بل تركهم جميعا تحت ارادة الايمبراطور يتصرف فيهم كيف يشاء فقلب نفسه
العار بقلبه عن اهل البنادقة واهل فلورنسة ودوق فرازة

وبعض بارونات من فالبي كانوا قد انضموا الى جيشه ودخلوا في حربه
فلما حصل منه ذلك انشكوا جميعا من جنبه وغدره بهم كل التشكي حتى انه

لما لحقه من انقضى اسحب مدة عن الرسل الذين اتوا اليه من طرفهم ثلاثا يسمع
منهم ما يصيبه من اللوم والتوبيخ الذي يستحقه واما الايمبراطور فقدر اراى مصالح

من انضموا الى حربه جميعا حتى انه انبت حقوق رعاياه الفلنكيين الذين كان لهم
يبلاد فرنسا املاك حقيقيه ثابتة او مدعاة وكان من جملة بنود المشارطة

حشد مخصوص وهو انه يجب على ملك فرنسا ان يرد الى عائلة الدوق
دي بوربون الاعتبار والشرف الذي كانت تتمتع به سابقا وان يرد الى ورثته

سائر اراضيها التي ضبط عليها وضمت الى جانب الميرى وكان فيما بينه آخرو هو انه
يجب على فرنسيس ان يعطى البيكرزادات الفرنساوية الذين كانوا جمعية

دي بوربون مدة ثقبه ما يحسن خاطرهم * فهذا السلوك الحميد الحسن
الذي ازداد بهجة بمصولة مدته من الملك فرنسيس امتوجب شر لكان

اعتبارا لافرج له بقدر ما حصل له من الفخار والسودد بنظره ونصرته
ولكن فرنسيس لم يعامل هنري ملك انكلترة كغيره من معاهدته
بل كان لا يقر شيئا في مشارطة كبرى الا ويخبره به ومن حظه ان هذا الملك

مطلب

كون هذا المشارطة مزينة
بعرض الملك فرنسيس

مطلب

امتثال الملك هنري ورثته
بالمشاركة

سنة ١٥٢٩

كان وقتئذ في حالة بحيث لا يسهل الايستحسان ما يقع عليه ملك فرنسا واعانته
على ما يشرع فيه وذلك ان هنري كان يتبرج من البابا أن يأذن له بطلاق امرأته
كاترينة اميرة أراغون لاسباب دعتة الى ذلك وهي أن هذه الاميرة كانت
زوجة اخيه من قبله وكان اذ ذاك ذا ديانة غشبية فيكون زواجه بها بعد اخيه
مخالفا للشرعية وزيادة على ذلك كان لا يحبها لانها كانت اكبر منه سنا وكانت
اكبر سنها قد فاعلت منها بهجة الشباب ومحاسن العبا وكان يود أن يكون له
اولاد ذكر ولا سيما وكان الوزير ولسي يريد ايقاع القتل والشقاق بين سيده
الملك هنري والامبراطور وحيث كان الامبراطور ابن اخت الاميرة كاترينة
ظن ولسي المذكور أن طلاق هنري لها يوجب الشقاق بينه وبين الامبراطور
فصار يحسن له هذا المقصد وهو طلاق تلك الاميرة وهنالك غضب آخر بما
كان اقوى الجميع وهو أن الملك هنري كان قد شغل بحب الاميرة
اندربولان وكانت مشهورة بالحسن والجمال صغيرة السن ذات معارف
وعوارف فلما رأى انه لا يمكنه أن يحظى بحاسن تلك الاميرة الا اذا تزوج بها
صمم على زواجها وترقيتها الى اوج السلطنة وكثيرا ما حصل من البابا
انهم حكموا بالطلاق بموجب اسباب اوهى واضعف من تلك الاسباب التي
كان يستند اليها الملك هنري * فعرض هذا الامر اول مرة على البابا
كايان وكان مسجونا وقتئذ بقلعة متناجج وكان لا يؤمل الخلاص من هذا
السجن الا بواسطة ملك انكلترة او ملك فرنسا اللذين كانا متعاهدين
معه فاطهر الميل الى اعانة هنري على طلاق زوجته فلما اخلص من السجن
اظهر خلاف ذلك لانهم لما كانت حالة الامبراطور كان يدافع عنها اتم المدافعة
لجعل هنري يرهب البابا تارة بالابعاد والتخويف وكان بالطبع هيوا
خوفا وتارة برغبة بالوعد والتسويق فافهمه به سيرة قدر عائلته وقدر في
بوعده بعد ذلك بمدة قليلة فلهذه الاسباب نسي البابا كايان مصالح الملك
هنري ولم ير الا تنفيذ اغراض الامبراطور حتى ترتب على ذلك تعرض مصالحة
إلدين الروماني لا لخطار والدمار حيث فعل ما يوجب انفصال ملك انكلترة

سنة ١٥٢٩

عن حزب كنيسة رومة وخروجه عن تبعيتها فكث البابا حولين كاملين وهو يشاغل هنرى وبلاهيه بالجهادات والتدقيقات التي كان ديوان رومة يتقها ويحسن استعمالها اذا اراد تطويل قضية او افادها وعدم تخفيفها وبعد ان سلك سبيل الخداع والسياسة العويصة المشكلة التي تعسر حلها وتجميعها على مؤرخي الانكليز الذين تصدوا لهذا الغرض سلب القضية الذين كان قد اقامهم الحكم في هذه الدعوى ما كان اعطاء لهم من التفويض في حلها والقضاء فيها وجعل ذلك منوطا بديوان رومة فعلم الملك هنرى أن الامر قد صار منوطا بالبابا نفسه ولا يتم الطلاق الا بحكمه وحيث كان البابا اذا ذل متصدا بالايماطور كل الاتحاد لانه كان فعل معه مما يجب المودة والمحبة ما يزيد عن الحد يس الملك هنرى وابقن انه لا يحكم الا بما عليه عليه الايماطورا وأن حكمه لا يكون الا عن لسان الايماطور ولكن كان يرى ان عدوله عن هذا الغرض بعد اشتهاره به مما يري بمرضه فصح على سلوك طرق اخرى في تخفيفه على اى وجه كان لاسيما وكان مشغوقا بحب الاميرة اندوبولان فرأى انه لا بد له من التصب الى الملك فرنسيس واستعطافه حتى يتمكن أن يقاوم بطش الايماطور وصولته فلذا لم يله على كونه تخلى في مشاركة كبريه عن كفاؤاته ما هدين معه بل اهدى له مبلغا جسيما على سبيل المحبة والصدقة ليستعين به على فداء اولاده وانقذهم من يد الايماطور

وقد نزل الايماطور ييلاد ايطاليا في محفل عظيم من امراء اسبانيا ومعه طائفة كبيرة من العساكر والجنود وكان قد قوض امر حكومة اسبانيا مدة غيبته الى الايماطور رحمه ابرائيل وكان لطول مكثه في تلك المملكة قد تمكن من معرفة طباع البوسانيول وعرف كيف يحكمهم باصول وقوانين ملائمة لعقولهم وطباعهم بل كان يسلك في بعض الاحيان طرعا ملوفا للعامة وكان يجالس الناس حتى احبته الملة الاسبانيولية بتامهما سو قبل ارتحاله الى البلاد ايطاليا بأيام فعل امر اغرير يابيل على انه كان يود

مطلب
نزل الايماطور في
ايطاليا ١٢ من شهر آب

تجنب الله اليه ويسعى فيايسرها وهو انه كان قد دخل في محفل عظيم بمدينة
برسلونة وكان اهلها لا يدرون هل الا ليق أن يتقوه بقلب الإمبراطور واهل قلب
القوسنة دوبرسلونة فآثر شرلكان القلب الثاني منظر لأن هذا القلب
القديم أكثر شرفا له من التاج الإمبراطوري فحصل له بذلك مزيد السرور
وتلقوه مع غاية الفرح والابتهاج وبإيعته مشورة نوكلاء اعظم برسلونة على
الاتياد والطاعة لابنه فيليبس بوصف كونه وارث قوتية برسلونة
وبإيعه بمثل ذلك سائر ممالك اسبانيا

وكان يقول الإمبراطور ييلاد ايطاليا مع ابيه الفاتحين واقضار الفالبيين
واستمال الظافرين فكان رسل ملوك هذه البلاد يذهبون وراءه اينما توجه
و ينتظرون ما يقضى به عليهم واول بلدة نزلها من بلاد ايطاليا هي جنورة
فتلقى فيها مع الفرح التام والتهليل العام حيث كان حامى حتى حترتها واتحف
الامير دورية بعدة علامات من علامات الشرف وانم على جمهورية
جنورة بمزاياه وخصوصيات جديدة وبعد ذلك توجه الى مدينة بولونيا
ليقابل البابا فدخل هذه المدينة باحتفال عام يليق بمقام الإمبراطور ومع هذه
الابهة اظهر التواضع والخضوع للكنيسة كأحاديثها وذل أنه وان كان
منه عشرون الفايكنه بهم أن يغلب على بلاد ايطاليا خزا مجدا أمام البابا
وقبل اقدامه مع أنه قبل ذلك با شهر فلا تل كان اسيرا عنده وكان اهل ايطاليا
لما حصل لهم من الاساءة والاذى من عساكره يتصورون أنه مثل ملوك
اليون و القوطيين المتبررين حيث انهم لم يضروا ييلادهم أكثر مما اضروا
يه عساكره فحصل لهم غاية التمتع حين رأوه لطيفا مألوفاً ذا نباشة ونظرف
لطيف الاطوار حسن التخلق متواضعا للكنيسة ومحبا قضاء على حفظ دعائم الدين
وشعائره وازداد تعجبهم حين اصطحبهم الامراء ودونهم وانظروا في هذا الشأن من
العدالة والانصاف والملاطفة وعدم الغرض ما لم يكن يؤمل فيه حيث كانت
تلك الدول اذ ذاك أسيرة بطشه ولوشاه تقتل بها

وحين سافر شرلكان من بلاد اسبانيا لم يكن في يته أن يفعل هذه الاشياء

في • تشرين الثاني

مطلب

لاطفة الإمبراطور

اسبانيا

سنة ١٥٢٩

١٥ من شهر ايلول

١٦ من شهر تشرين الاول

المحببة التي لا تنفأ الا عن كل نفس منزوعة عن الطمع بل كان يظهر منه انه مضم على انتقام كل فائدة والتقاط كل غمرة تيسر له بسبب ما ثبت له في ايطاليا من الظفر والتصرة ولكن ظهر له عدة مقتضيات حملته على العدول عما كان معجما عليه وذلك ان السلطان سليمان كان قد انتقل من بلاد البحار الى بلاد الاستراليا ووضع الحصار على مدينة سيج ومعها جيش يبلغ عدده مائة وخمسين الفا رأى الاميراطور انه يجب عليه ان يجمع قواه وعساكره حتى يقدر على مقاومة جيوش الاسلام التي كانت كسيل العرم لا يمكن رده ولا تحويه ثم ان السلطان سليمان لم يمانه وزيره وشجاعة الانسانيين وحزم الامير فرد يند كانت تلجته الضرورة الى رفع الحصار والعدول عن مشروعه على وجه رزى بنهرته وبضر بمصالحه ومع ذلك كان حضور الاميراطور ببلاد ألمانيا مما لا بد منه لاجل ازالة التعكيرات التي كانت حاصلة فيها بسبب المجادلات والمنازعات الدينية * وكان اهل فلورنسة لم يرضوا باعادة دو ميديسيس حسيبا تعهد به الاميراطور في مشاركة برسلونه فتأهبوا لان يدافعوا عن حريتهم بالسلاح وكان قد جهز مواد كثيرة لسفره وبذل فيها مصاريف زائدة عن حد القادة وكانت مصالحه اذذاك جسيمة وايرانه قليلة فاضطر الى تضيق دائرة مشروعاته الواسعة التي كان يجازم عليها وترتب لطلب مصالح محققة مجزوم بها اذ لم يدر مفسد لا يمكن اجتياها وان كانت بعيدة فلهذه الاسباب رأى الاميراطور انه يجب عليه اظهار الملاطفة وعدم الطمع وقد احسن تدبير هذا الامر فاذن للامير ستورس ان يحضر بين يديه وعقاعنه واغضى عما فرط منه وجعله كما على دوقية ميلان ووجهه بنيت اخته اعني بنت ملك دانتيمارقة ورضي بأن ترد الى دوقية قرارة بين الاراضي التي كانت سلبت منه وانتهى المنازعات التي كانت حاصلة بين هذا الدوق والبابا وسلك في ذلك سبيل العدل والانصاف وان لم يسر البابا بذلك واصطلح ايضا مع اهل البنادقة على أن يردوا سائر ما نقلوا عليه في الحرب الاخير من مملكة نابلي وبلاد البلبا وفي مقابلة هذه

سنة ١٥٢٩

الأنعامات الجبلية طلب مبالغ جسيمة من سائر الدول التي تشارط معها
حيث قد دفعت تلك المبالغ بدون توقف ولا مهلة فامكنه بذلك أن يسافر إلى
بلاد ألمانيا مع الأبهة والاحتفال اللائق بمقامه

سنة ١٥٣٠

مطلب

تنصيب عائلة ميديس
ثانياً في فلورنسة

وبهذه المشاركات تم الصلح لبلاد إيطاليا بعد حرب طويلة كان معظم
مناقشة عليها واتسرت تلك المشاركات في احتفال عام بمدينة بولونيا في أوله
يوم من سنة ١٥٣٠ م دخل بها على كافة الناس الفرح والسرور وشكروا فضل
الإمبراطور وأثروا عليه الثناء الجميل في تطير كرمه وحمله حيث انهم عليهم بالصلح
الذي كان أقصى مرامهم ونجاة بغيته منذ مدة مديدة ما عدا أهل فلورنسة
فانهم لم يقصروا في اغيبتهم في تلك الممرات لانهم لغيتهم على حريتهم فكانوا
لا يتصرفون في العواقب فصمموا على مناقشة الإمبراطور في تنصيب عائلة
ميديس ثانياً في بلادهم فوجه الإمبراطور جيشه اليهم ووضع الحصار
امام قوتهم فقتل منهم احرابهم وحفاظهم وصاروا لا ينتظرون اعادة من احد
ومع ذلك مكثوا عدة أشهر وهم يدافعون عن انفسهم ويقاومون اعداءهم حتى
المقاومة ثم سلوا على شروط املوا بها بقاء بعض آثار من حريتهم ولكن كان
الإمبراطور نصيراً للبابا ونظيراً لعائلته التي هي عائلة ميديس فغيب
آمالهم ومحاصروا حكوكتهم القديمة وقلد اسكندر ميديس بالشوكة
المطلقة التي كانت نائمة لعائلته الى ذلك الوقت في بلاد فلورنسة

وقتل في المحاصرة مئة عسكر الإمبراطور وهوا مئة دورنجة وكان اسمه
فيليبيرد وشالون وموته انتقلت املاكه والقصابه الى اخته فلور دوشالون
التي تزوجها الأمير ريتة قوته ناسو وانت منه باولاد تملوا لقب امير
دورنجة الى عائلته فصار لهذا القرب من ذلك الوقت شهرة عظيمة

مطلب

حالة المصالح الا

والدينية في بلاد الما

في ٢٢ و ٢٤

اشباط

وبعد اشهار الصلح في بولونيا وتلقب الإمبراطور في حفل علم عظيم ملكا
على اللندرية. والإمبراطور الرومانيين لم يبق دافع للإمبراطور يحمله على المكث
ببلاد إيطاليا فغزم على السفر الى بلاد ألمانيا لان حضوره بها كان
لازم اضروا وذلك أن النصارى القائلين بيقين وإحزاب المذهب الجديد (مذهب

لوتير) كانوا يلحون عليه كل الاحاح ويدعونه الى الحضور لديهم وكان قد امكن
 لاجراي للمذهب الجديد أن ينشره ويوسعوا دائرته مدة غيبة اليمبراطور
 ونزاعه مع البابا وحر به مع ملكة فرنسا لانهم كانوا في تلك المدة الطويلة
 لا يجدون من يعارضهم ولا يعكر عليهم حتى ان اغلب الامراء الذين اتبعوا
 مذهب لوتير لم يكتفوا بأدخال العباد والديانة الجديدة في بلادهم بل هجروا
 رسوم الكنيسة الرومانية وابلوها بالكلية ونسج على منوالهم عقدة من المبادئ
 الحرة حتى شوهه أن نصف الجمعية الجرمانية قد انفصل بالكلية عن
 الكنيسة وفي البلاد التي لم تخرج عن طاعة الكنيسة كانت شوكة البابا
 قد ضعفت وتناقصت وضاع احترامه من قلوب اهلها وذلك اما لكونهم اقتدوا
 بما حصل من غيرهم في الدول المجاورة قتلهم اولان الدين الجديد كان قد نشأ
 في بلادهم سرًا واخذ يهدم اساس الدين القديم خفية * ومع أن اليمبراطور
 كان فرحاً بتلك الحوادث لانها كانت تشغل البابا وتوقعه في الارتباك المدة
 متاجرته وحر به معه رأى أن عاقبتها قسراً بالشوكة اليمبراطورية وذلك
 انه لضعفه صلفه من اليمبراطورية كان قد نجس على اتباعهم بالانقياسات على
 حقوقهم ومن اياهم حتى ان شريكاً مدة حربه الطويل الصعب لم يأت له
 من بلاد المانيا امداد يعتمد عليه ولم يجد في المنصب اليمبراطوري الا مجرد
 ادعاءات قديمة والقاب لا جدوى لها الا الالوية والغرور فرأى انه ان لم ينبت
 لنفسه بعض الزبايا والخصوصيات التي سلبت سابقاً من التاج اليمبراطوري
 لضعف اربابه من اليمبراطورة السابقين وبقي ملقباً برئيس اليمبراطورية من غير
 أن تكون له الصولة اللازمة لهذا المنصب العظيم اوقعه هذا المنصب
 في مقاصد عظيمة ومشروعات جسيمة لا يستطيع تمييزها * ورأى أن اشد
 الاشياء لزوماً حتى يدرك هذه الغرض هو أن يبادر بإزالة تلك المذاهب الجديدة
 لانه ربما ترتب عليها بين امراء اليمبراطورية عصبية مهولة تقوية الاسباب
 بحيث لا يمكن تقضها ورأى أيضاً أن أكثر الاشياء صلاحية لتنفيذ هذا
 الغرض هو أن يدافع عن الدين القديم لانه هو حامي حياهه بالطبع وذلك بكسب

شوكته الداخلية ما يرجوه من العظم والقوة

فبناء على ذلك امر بمجيء مشروعه في الصلح مع البابا أن تعقد مشورة الفريضة
الاميراطورية في مدينة سيرة لتتاج كرفي امر الدين وما كان عليه
اذ ذلك وكانت مشورة الديانة التي انعقدت سنة ١٥٢٩ قد اباحت
مذهب لوتير فغضب من ذلك سائر النصارى وأن كان الحزم والاحتراس حيث كانت
في شأن هذا المذهب واحزابه مما يستلزم مزيد الحزم والاحتراس حيث كانت
القول اذ ذلك في اضطراب عظيم بسبب المجادلات الدينية التي كانت موجودة
منذ اثني عشرة سنة وهي لا تخمد نيرانها ولا تفر لاحد من الفريقين المتجادلين
همة في شأنها فكانت وقتئذ قد بلغت غاية الشدة والحجوة وكان الناس قد عظمت
جسارتهم وتعودوا على اتباع البدع بسبب ما شاهدوه من الفجاح في عدة
مشروعات تجددت في عصرهم فكانت الاهالي قد ابتلّت العبادة القديمة
وبدلتها بعبادة جديدة وازداد بغضهم للعبادة القديمة بسبب محبتهم للعبادة
التي تمسكوا بها وكان من داب لوتير أنه لا ينجح من مقاومة اعدائه ولا من طول
عنادهم بل كان يستسهل كل صعب ليفوز بالمرام ولا يزال يصيح العدو وبسهم
الانتقام لا تقبله همة ولا تعرفه الموانع وان كانت حجة وكان معظم
اصحابه مثله حمية وعزما بل كان بعضهم يفضل معرفة حوزما فلم يكونوا يودونه
في الاقتدار على ادامة الجدل بل قاموا بهوال هذا المجال وكان عدة
من اللايك بل وبعض الامراء لمباشرتهم لهذه المجادلات قد تعودوا
على المناقشة في براهين الفريقين حتى كان يرجع الاختلاف اليهم في الحكم
فوقروا بذلك على حقائق المسائل المختلف فيها وامكهم أن يناقشوها
ويتعقبوها واحسنوا الجولان في ميدان المشكلات للسكولاستيكية
والمعضلات التيولوجيكية ولا شك أنه مع وجود تلك المقتضيات لوحكت
الديانة في شأن مذهب لوتير واحزابه بغير ما سبق لنفر الناس من بعضهم
وقامت بينهم فتنة ربما اضرمت نيران حرب ديني يلاذ الملايا فمن ثم اقتصر
الارشود وغيره من رسل الاميراطور على أن طلبوا من مشورة الديانة

سنة ١٥٣٠

مطلب

مشورة الديانة المتعقد

بمدينة سيرة في ١٥

شهر اذار سنة ٥٢٩

سنة ١٥٣٠

أن تأمر دول الإمبراطورية التي كانت في ذلك الوقت تعمل بمقتضى الأمر
بمخالفة لوتير الصادر من مشورة الديانة المنعقدة في مدينة ورمس
سنة ١٥٢٤ بالاستمرار على العمل بمقتضى هذا الأمر وأن تأمر الدول
الأخرى بأنهم الآن فصاعدا لا يتحدث شيئا في الدين ولا يهين القديس
بإى الصلاة قبل انعقاد مشورة قسيسية عامة للمذاكرة في هذا الشأن فبعد
منابعات كثيرة اقترح جمهور الديانة هذا الأمر وحكموا بإجرائه
فناقض في هذا الأمر منتخب ~~سكس~~ وملتزم برندبورغ وحاكم
هيسه ودوقات لونبورغ وأمير انهالت ورسل المدن الحرة والإمبراطورية
وكانت أربع عشرة (وهي مدينة استراسبورغ ومدينة فورمبرخ
ومدينة ألم ومدينة فونستنس ومدينة رولنجان ومدينة
وندسهم * ومينوتجان * ولاندو * وكلمتان * وهلبرون * واسنه * ومدينة
ويسبورغ * ووردنجان * وستغاله *) وأظهر وأجبعوا مخالفة وصمموا
عليها قائلين أن هذا الأمر محض اعتساف خارج عن العدل والإنصاف
واعتزلوا غيرهم فسموا بالبروتستانتية أى المعتزلة وقد اشتهرت هذه التسمية فيما بعد
وصارت من شعار الشرف حين صار هذا اللفظ يطلق على كل من انفصل
عن دين الكنيسة الرومانية وأتبع غير مذهبها ولم يقتصر المعتزلة على ذلك
بل بعثوا رسلهم إلى بلاد إيطاليا ليرفعوا أشكوهم إلى الإمبراطور
فلم يحسن ملاقاتهم وأظهر لهم من عدم الاعتناء ما كدر خواطرمهم وقرت به
هممهم حيث كان مع البابا وقتئذ على غاية من الاتحاد والاتشام فكان
لا يبحث الاعايم تيميل البابا إليه حتى يعينه في مصالحه وقد وقعت بينهما
المذاكرات فامتهم ما بمدينة بولونيا بإيطاليا في شأن ما يكون به معالجة
الاعتزال واستقصا هذا الداء العضال من بلاد المانيا * ومن المعلوم
أن البابات كانوا يحشون بأى الجمعيات القسيسية العامة فلذا كانوا يتخون
عنها مهما أمكن ويحاذرون انعقادها وكان البابا كليمان خوفا ضعيفا
بالطبع فكان أشدهم خشية منها فيعجز دما عما لطلب انعقادها ارتعدت

مقلوب

ناقضة اتباع لوتير لهذا
الأمر في ١٩ من شهر
نيسان

على عهد الملك
وهو عهد الملك
دورن

مطلب

للمذكرة التي حصلت بين
الامبراطور والبابا

فرائضه وامتناناً فزعا وعباداً يبيد للامبراطور جميع ما تسوله له نفسه
في منعه عن الاقدام على هذا القرض فوصفه تلك الجمعيات بانها ليست
الامتنان العصب والفتن وانها وحشية لا يمتنع احد ان يسومها وانها متجاوزة
الحق في الكبر والعقوبات بلها المتجنون بعضهم غاية الالتئام فيضئ منها
على شوكة الملوك ولها ذات بطى في امورها فلا تسعف بدواء هذا الداء الذي
يلزم الاسراع بمعالجته وقال له ان التجربة قد افادتنا ان الحلم لا ينز المبتدعين
بل يقوى قلوبهم فيلزم ان يسلك معهم مسلك الجهل والجبر حتى يسلم الدين
من الخطر الذي هو عرضة له وان يشدد في اجراء حكم الحرمان والطرد الصادر
من البابا ليون العاشر واجراء الامر الصادر من مشورة الديتة
المنعقدة بمدينة ورمس وقال ان ذلك من واجبات الامبراطور فيحق عليه
ان يوجه صولته النافذة لقمع العاصين الذين هتكوا حرمة الشوكة القيسية
والشوكة الملكية ولكن كانت ما رآب الامبراطور غير ما رآب البابا فكان يرى
بان الداء قد غشى عن وصار عرضاً لا فلم يستحسن الا كونه يسلك مسلك الرفق
واللين في رد المعتزلة عن استداعهم وعصائدهم المخالفة للدين ورأى ان انعقاد
مشورة قيسية عامة من الوسائط الصالحة لبلوغ مراده غير انه وعد البابا
بانه ان لم ينفع سلوك طريق الرفق والملاطفة يسلك مسلك القسر والجبر ويقمع
بشديد بطشه وبأسه كل عدوانى غير الدين القائلين

مطلب

حضور الامبراطور
مشورة الديتة المنعقدة
بمدينة اوكسبورغ في
من شهر اذار سنة ٣٠
١٥ من شهر حزيران

ثم سافر الامبراطور من ايطاليا الى بلاد المانيا مصراً على ذلك بعد
ان عين مدينة اوكسبورغ لانعقاد مشورة الديتة وفي اثنا سفره تحقق
من آراء اهل المانيا في شأن المسائل الخلافية بين المعتزلة وكنيسة رومة
قطهر له ان عقائد المعتزلة قد انطبع في عقول الناس وتمكنت من قلوبهم بحيث
لا يسوغ له باى وجه كان ان يسلك معهم مسلك الجبر والقوة لا بعد سلوك
طرق اللين والملاطفة حتى يأس ثم دخل مدينة اوكسبورغ في احتفال
عظيم وابية عجيبة فوجد بها مشورة الديتة منعقدة وهي اهمية اربابها
وجلالة قدرهم وكثرتهم في ابهة ورونت يعادل اهمية المصالح التي هي منعقدة

للعذا كره في شأنها وكان لهم مقصد آخر يقصد هاهو وز يادته ورفق احتفال
 الايمبراطور حيث انه بعد غيبته مدة مستطيلة عن بلاد المانيا رجع اليها
 يرغل في ثياب السعادة والنعيم والسيادة ورجع بما قيل ان حضورا لايمبراطور لديهم
 انزل السكينة في قلوب المؤمنين حتى صاروا مستعدين للصالح وابطال النزاع
 فلم يأذن منتخب سكس الى لوتير أن يصحبه في الحضور الى تلك المشورة
 خوفا من غضب الايمبراطور اذ ارآه لانه كان محكوما عليه بالخيرمان من طرف
 البابا وكان سببا في القتل والشقاق الذي كان حاصلا اذ ذلك في الايمبراطورية
 وغيرها وقد حصل ايضا ان سائر الامراء المعترلة اجابة لامر الايمبراطور منعوا
 علماء اللاهوت أن يعطوا الملا باساع الدين الجديد مادام الايمبراطور بمدينة
 اوكسبورغ وول هذا السبب اتخفوا من بينهم الشهير ميلختون وانا طوه
 بأن يحترصوا عقائدهم الدينية على وجه حسن ويفرغها في قالب مستحسن
 حسب الامكان حتى لا تغيب القائلين اي المتسكين بدين الكنيسة الرومانية
 وشرطوا عليه أن لا يكتف الحق وانما خصوه بذلك لانه مع فوادة عليهم في العلم
 كان احسنهم خلقا واكثرهم سكينه حتى انه في تأليفه الجديدة كان لا يتعدى
 حدود الادب فتكمل بهذا الغرض الملايم لطبعه ووفى به حق التوفية فخر
 تلك الصورة المسماة بعقائد اوكسبورغ لانها عرضت على مشورة
 الديانة بهذه المدينة وقرئت امام اربابها فانبط بعض علماء اللاهوت
 القائلين بالبحث فيها فوقعت المناقشة بين الفريقين واشتد الجدل بينهم
 وبين ميلختون وبعض علماء من اصحابه وبعد المناقشات الطويلة
 والمجادلات رضى ميلختون أن يذهب بهض مواد من هذه الصورة وأن
 يتساهل في بعض مسائل اخرى واولها كلها بتاويل لا تغيب القائلين
 وبذل الايمبراطور جميع جهده في الاصلاح بين الفريقين ومع ذلك ظهر
 أن الاسباب الموجبة للقتل والشقاق بين الدينين ما زالت قوية اكيدة بحيث
 لا يرجي تأليف بين قلوب الحزبين

فلما رأى الايمبراطور أنه لا يمكنه اخام علماء اللاهوت وجه خطابه الى الامراء

سنة ١٥٣٠

الذين كانوا يدافعون عنهم وكان هؤلاء الامراء يرغبون في اصلاح بين
الفرقيين خصوصاً الجبل رضاء الإمبراطور حيث كان ذلك مرغوبه ومع ذلك
وجد الإمبراطور أن هؤلاء الامراء المتكئون من عقائدهم وهذا بهم كالعلاء
فلا يمكن قهرهم عنها وكانت العقول اذذاك في شأن الدين مضطربة اضطراباً
بحيث لا يستطيع تصوّره في ذلك العصر وذلك لان شغف الناس بمعرفة
الحقيقة وبالحرية تتعاقص ولم يبق على صورته الاولى فكانت الحجة اذذاك
عظيمة جداً بحيث كانت تظهر على المصالح السياسية التي هي عادة مطمح نظر
الامراء والملوك كيف لا ومنقب سكرس وحاكم هيب وغيرهما من
رؤساء المعتزلة اواجبوا أن يتركوا قصد متاع الحياة الدنيا ما هو عندهم عين
الحقيقة والصواب ويعتدونه من حقوق الملك الوهاب واظهروا في ذلك همه
عجيبة جذيرة بأن تكون اسوة يقتدى بها الجميع مع تربي الإمبراطور لكل
واحد منهم على حدته واستمالتهم بالمواعيد وترغيبهم بمصالح سياسية كانوا
يرغبون في نيلها كل الرغبة

فلما وجد الإمبراطور أنه لا سبيل إلى استعطاف المعتزلة أو إيقاع الشقاق بينهم
بالرفق واللين رأى أنه لم يبق لذلك وسيلة الا أن يسلك معهم مسلك البأس والقوة
ليمانع عن دين الكنيسة الرومانية وبعض مذاهبها هذا وكان كميصة
نائب البابا لم يرل يبرهن للإمبراطور على أن غير القوة لا ينفع مع هؤلاء الرافضة
المعاندين فحفزت مشورة الدينة إلى الحاحه وابعاده وصدر منها فرمان
بقتطه أغلب مذاهب المعتزلة والتي عن محاماة من يعظ بها ويدعو الناس
إليها وبأزام الناس بالتمسك بالدين القديم والتخلي عن الدين المبتدع وكل
من خالف ذلك عوقب بعقوبات شديدة مبينة هنالك وكان يجب على كل انسان
من ارباب المشاور والمناصب أن يذلل نفسه وماله ليعين على اجراء ما في هذا
الفرمان وتنفيذه وكل من لا يعمل بمقتضاه يحكم عليه بأنه لا يصلح لتصب
القضاء او المشورة الإمبراطورية التي كانت اذذاك اعلى دواوين الإمبراطورية
الامانية وذكر في هذا فرمان أن البابا بعد ستة أشهر يجمع مشورة قسيسية

مطلب

الفرمان الصعب الصادر

في حق المعتزلة

١٩ من شهر تشرين

الثاني

عامة لتثبت امر المشاجرة في الدين

فأدرك المعتزلة من هذا القوم ان الصعب القزع وانطوف وتدور فائمة لاسا متهم
واضرارهم اشتد لضرروا يقولون ان الاميراطور قد صمم على تدبيرهم فلما صارت
احزاب المعتزلة عرضة للايهوال والاختطار قوت همة العالم ميلختون
لاسيما وكان ضعيف العزم بالطبع ولا شئت قوته واضمعلت عزيمته حتى كان
منزوعهم صار ميؤسامة لا يرجى له نجاح ولا فلاح واخذ يأسف ويندم
الآن لوتير مده انقادمشورة الديانة كان لم يرل بعضد حزبه ويقوى
عزمه بعدة تا كيف اذاعها بين الناس ولم يحصل له ادنى فرع من صدور القوم
السابق قوتى تا بساعزم ميلختون وبعض افراد آخرين من اصحابه كانوا
ايضا قد قوت همهم وارعدت فرائصهم * وحرض الامر اعلى أن لا يملوا
مذاهب المعتزلة التي هي عين الحقيقة والصواب اذ لا يليق ذلك بهم بعد أن مكثوا
مدة وهم يدافعون عنها مع الثبات والعزم الجدير بالمدح والثناء فانزعوا عنه فمهم
تاثير اعظما وغلب ذلك على ما بلغهم في اثناء هذه المدة من أن الامراء القائلين
قد تعصبوا وتجزوا مع بعضهم لبعضوا الدين القديم وأن الاميراطور من جلة
ارباب هذه العصابة فرأوا أنه يجب عليهم أن يحتسوا كل الاحتراس ليكونوا
في أمن من اخصامهم ورأوا أن كلام من منهم ونجاح قضيتهم موقوف على
التسامح واتحادهم مع بعضهم ولما كانوا يخشون بأس عصابة القائلين
وكاؤا مصممين على ما استحسنوا سلوكه في هذا المعنى اجتمعوا بمدينة سمالكال
وعقدوا بها عصابة لمداغة من يتعدى عليهم وصارت جميع الممالك
المعتزلة في الاميراطورية بموجب هذه العصابة حزبا واحدا واتحدت مع بعضهم
كل الاتحاد وعزموا على أن يكتبوا الى ملكي فرانسوا وكثرة ليستعينوا
بهما ويدعوهما الى تعصيد عصبته الجديدة

وقد حصلت حادثة لانتفض الدين في شئ فتعللوا بها في الاستعانة بالملوك
الاجانب وتلك الحادثة هي أن الاميراطور شرلكان لما كان طمعه يزيد
بزيادة عظمه وشوخته اراي أن يجعل الساج الاميراطوري وراثيا في عاتقة

سنة ١٥٣٠

مطلب

عصبة المعتزلة المتعقدة

بمدينة سمالكال

٢١ من شهر كانون الاول

مطلب

عرض الاميراطور أن

يجعل اخاه ملكا على

الرومانين

سنة ١٥٣٠

فسعى في جعل اخيه فريدند ملكا على الرومانيين وكان مقتضيات
الاحوال انذاك المسماة على تخصيص هذا الغرض وذلك أن النصر والحق كان
حليف اسلمته فانه في الصلح الاخير سارته صولة عظيمة على سائر بلاد الافرنج
حتى لم يبق له فيها من يقاومه او يعطل نجاح اسلمته فكانت له هبة عظيمة
عند الامراء المتخفين بسبب نجاحه ونصرته وازداد شوكرته وصولته فكانوا
لا يستطيعون الاقدام على مخالفة هذا الملك الذي كان الحماسه للشيء الزاماه
على أنه كان يندى اسما با مقبولة اعانتة على بلوغ مراده فكان يفيد أن مصالح
هالكه الاخرى توجب غيته في اغلب الاوقات عن بلاد المانييا وأنه يجب
أن يكون فيها على الدوام ملك ذو حزم وتدبير ليزيل ما بها من الاختلال
الناتج عن المشاجرات الدينية ويكون بمكان من الشجاعة وعنده من العساكر
ما نصيره الامبراطورية آمنة من الدولة العثمانية التي هي قريبة منها ويحتمل
من اغارة جيوشها عليها في كل وقت حيث لا تدخل في ملكة الاوتظفر بها
وتختربها وكان اخوه فريدند جامعا لتلك الصفات لا يفوقه فيها غيره
وكان لطول مكثه ببلاد المانييا قد وقف على حقيقة احوالها وقدر
من طباع اهلها واخلاقهم وكان قد عاين منشأ المشاجرات الدينية وزاويلها
من مبداها فكان اعلم من غير مبدائها وادرى بأسهل الطرق في علاجها وبأجله
فكانت دوله متصلة بضواحي الدولة العثمانية فهو الاخرى بمدافعة جيوش
تلك الدولة عن بلاد المانييا فاجعل ملكا على الرومانيين واقت مصلحته
ما يجب عليه من معارضة جيوش الاسلام اذا ارادوا الاغارة على عمالك
النصارى

سنة ١٥٣١

مطلب

معارضة المعتزة في ج

ملك على الرومانيين

ولكن المعتزة لم يقبلوا هذه الاسباب لانهم عرفوا بالتجربة أنه لم يساعدهم على
نشر مذاهبهم الا المعتزة التي مضت بعد موت الامبراطور مكسيميان وطول
غيبة شرلكان عن الامبراطورية والتراخي في تدبير مصالحها بسبب
هذين الامرين فكان لهم مصلحة عظيمة في الفترة ويخشون أن يؤتى عليهم ملك
عقب الملك الاول بلا تراخ وادركوا مطامع نيولكان في هذا المعنى وعرفوا

سنة ١٥٣١

من شهر كانون الثاني

مطلب

ناب فردينند ووليتيه

مطلب

مداولات المعتزلة مع

ملكه فرنسا

١ من شهر شباط

ان قصده هو ان يجعل الساج الايمراطورى وراثيا في عائلته وان يصير له
في الايمراطوريه شوكه مطلقة لم تثبت لغيره من ايمراطرة لانياسيا مع السهولة
فصمموا على ان يعارضوا كل المعارضة في تولية فرديند حتى يقتدى بهم
ابناء وطنهم ولا يرضون بهذا الامر الذي يضر بمجرتهم فابى الامر منتقب
شكس ان يحضر مشورة المنقذين التي عقدتها الايمراطور بمدينة كولونيا
بل ارسل ابنه البكرى واصرء ان يناقض في انتخاب فرديند ويبدى
ان ذلك مخالف للقوانين والرسوم والبنود المذكورة في فرمان الذهب حيث
انه يودى الى ازالة حرية الايمراطورية ولكن كان الايمراطور قد استمال ببيعة
المنقذين وان كان ذلك مع المشقة والصعوبة التامة فترعبا وابعدم حضور
منتقب سكس ولم يلتفتوا الى مناقضة ابنه بل جعلوا فرديند ملكا
على الرومانيين ولبس الساج بعد ذلك بيام في مدينة اكسلاشيلا

وكان المعتزلة قد اجتمعوا ثانيا بمدينة سمالكال فبلغهم خبر هذا الانتخاب
وبلغهم ايضا ان الديوان الايمراطورى شرع في تدبير امور سياسية في شأن
اصولهم وعقائدهم الزائفة فرأوا انه يلزمهم تجديد عهد عصمتهم الاولى
وتأكيد ها وان يبعثوا رسلهم الى ملكى فراسا وانكلفت ليكونا
في مخيمهم وكان الملك فرنسيس قد قام به غيرة عظيمة من الشهرة التي
اكتسبها الايمراطور بعده الذي تباهى به في الاصلاح بين دول
ايطاليا كما تقدم وحصل له ايضا غبطة عظيمة حين بلغه تولية اخيه ملكا
على الرومانيين وازداد تقديره وقلقه من نجاح الايمراطور في هذا الامر الذي به
يدوم حكمه ببلاد المانيا وبغض بطشه وبأسه لكنه رأى من عدم الصواب
ان يوقع ملته في حرب تجديد مع ضعف قواها في الحروب السابقة فتورهمتها
في وقائع عديدة لاسيما ان شرع في الحرب قبل ان تجمع قواها وتنسى ما حصل
لها من النكسرة وما حل بها من المصائب والاهوال ومن جهة اخرى كان
لايمبركة تفض مشاركة الصلح التي كان قد طلبها بنفسه من الايمراطور
روأى انه بذلك يكون عرضة للمقوطين اعين الناس ويضيع احترامه واعتباره

سنة ١٥٣١

في بلاد اودوبا وبشتهربانه لاشرف له ولاعرض وانما انشرح صدره
حين رأى في بلاد اودوبا احزابا قوية ذات شوكة ومولة تعصب على خصمه
شرلكان فكان يصغي لمن ينشئ على اليه من امراء المعتزلة ولم يظهر منه
ما يكون به تأييد مفاهيم الجليدة ومع ذلك كان يضرم ستران الفتن
السياسية ليتمكن بينهم وبين الاميراطور اسباب التناقض والشقاق فارسل لهذا
الغرض الى بلاد المانيا الشهير غليوم دويلى وكان من امهر ارباب
المداولات والمديرين في مملكة فرانس فذهب الى دواوين الامراء المغتاطين
من الاميراطور وداهنهم حتى ازداد غيظهم من شرلكان وعقد معهم
معاهدة باسم سيده الملك فرنسيس ومكنت هذه المعاهدة خفية لم يترقب
عليها ثمة في ذلك الوقت الا انها كانت سببا في الارتباط والاتحاد الذي حصل
بين ملك فرانس وهؤلاء الامراء وكان في الغالب خطرا على الاميراطور
حيث علم به امراء المانيا المغتاطون الجبهة التي يجدون بها نصيرا قويا
للمشوكاة والبطش يستغيثون به من الاميراطور عند الضرورة والحاجة
وكان ملك انكلترة في غيظ عظيم من الاميراطور شرلكان لانه كان يعلم
أن البابا انما اخراجهكم بطلاق زوجته ومكت مدة طويلة وهو يداهنه ثم رده
بالكلية وعارضه في صحة الطلاق لكون الاميراطور اغراء على ذلك فكان
مستعدا لان بعض تلك العصبية التي كان من الممكن أن تصير في العواقب
مهولة على الاميراطور غير أن طلاق زوجته كان اجل مقاصده يومئذ فكان
ملتقيا اليه فاطعنا نظره جماعده وزيادة على ذلك كان مشغولا بالازالة ما كان
للپابا في مملكة انكلترة من قوا الكلمة فلم يكن في وسعه أن يلتفت الى
الامور الاجنبية اى الى المصالح التي تكون خارج مملكته فاقصر على
وعدا امراء المانيا جموعا عديدا وانما امدا الامراء المتعاهدين بمدينة سمالكالده
بمبلغ يسير من الاموال

ولكن كان الاميراطور يرى أن الوقت حيثئذ غير صالح لان يسلك فيه مسلك السكينة
والعنفوان في فتح المعتزلة وودعهم عن الاعتزال والمؤخر وجههم عن دين الكنيسة

مطلب

مداولة المعتزلة مع ملك
انكلترة

مطلب

اهنة شرلكان للمعا

سنة ١٥٣١

وكان يرى أن مراعاته للبابا قضايلته عن سبيل الصواب والزشاه ووقعته
فيما لا يلزم السياسة ومقتضيات الاحوال اذئال وان مصالحته تقتضي
أن يوافق بين بلاد المانيا حتى تكون جمعية واحدة فتزداد قواها ويقوى
عزمها لأن موقع فيما الشقاق والتضام ويضعفها بالفتن والحروب المدينة
وكان المعتزلة اذئال قد كثروا وازدادت حبيتهم وصار يخشى باسمهم
لا سيما بعد المعاهدة التي عقدوها مع بعضهم في مدينة شمال الكالد بسبب
خوفهم وقرعهم من الامر الصعب الذي صدر في شأنهم من مشورة المدينة
المنعقدة بمدينة اوكسبورغ هذا ولازدياد شوكتهم وكثرة عدد احرابهم
تقوت قلوبهم ولم يكتفوا بما حكم به ديوان الايمبراطور في شأنهم حتى انهم
لما ظهرت لهم الامانة من طرف الدول الاجنبية تاهبوا الان يمتكوا حرمه
الايمبراطور ان لم يرجع عن ابدانهم وكان صلح الايمبراطور مع مملكة فرانسا غير
متين وكان الايمبراطور لا يقول على محبة البابا لانه بالطبع خامل قليل العزم
وله مصالح خصوصية لا يعدل عنها النفع غيره وكان يعلم ايضا أن السلطان
سليمان كان مشغولا بتجهيز جيش عظيم يدخل به بلاد التيما ليزيل به
الفترة التي لحقت به بانهم زامه في حربه الاخير كما سبق فكل هذه الاسباب لاسيما
السبب الاخير منها حملت الايمبراطور على أن يصطليح مع الامراء المغتاطين
اذ يدون ذلك لا يمكنه تمييز مقاصده في المستقبل ولا يكون في الحال امنا على
نفسه فشرع في المداولة مع الامير منتخب سكس وازواجه وكان هؤلاء الامراء
يغارون من بعضهم كما كانوا مغتاطين من الايمبراطور كثوامة طويلة
وهم سناكرون في هذا المعنى المتعلق بامر الدين كما هو العادة في مثل ذلك
لان امور الدين لا يمكن التساهل فيها كالاغراض السياسية ولكن بعد التوقف
الكلي والتراجع التام انتهت المداولة وحصل الاتفاق بمدينة نورامبرغ على
شروط الصلح واقترت على رؤس الاشهاد بمشورة المدينة المنعقدة بمدينة
راتسبون وهذه الشروط هي أن يبقى الأمن العام في بلاد المانيا حتى
تتجمع مشورة قسبسية عامة تسمى الايمبراطور في عقد هاويجهل لذلك ستة اشهر

مطلب

لشروط المنعقدة بين
الايمبراطور والامراء
المعتزلة في ٢٣ من شهر
نموز (٣ شهر آب)

وأن لا يجهل في لاحد ضرر في شأن الدين وأن توقف الاحكام التي تصدر من ديوان الإمبراطور في شأن المعتزلة وأن جميع الاحكام التي تصدرت قبل ذلك تكون ايضا موقوفة بدون اجراء حتى تنقذ تلك المشورة هذا من جهة الإمبراطور واما المعتزلة فالتموا أن يعينوه بمخفى وسعهم على طرد جيوش الاسلام * فانظر كيف امكن المعتزلة بثباتهم والتناهم في تعضيد دعواهم ومهازتهم في نور هذا الإمبراطور بمقتضيات الاحوال أن يالوا شروطا كادت تكون اباحة لدينهم حيث تساهل لهم الإمبراطور في امور كثيرة وهم لم يتساهلوا في شيء حتى انه لم يقبض سر على أن يلبس منهم اقرار تولية اخيه ملكا على الرومانيين مع أن هذا الامر كان اهم الامور عنده اذ ذلك ومن وقتض صار معتزلة المانيا اولى اعتبار عظيم وصار لهم كلمة نافذة كائنهم وبقاى سياسى خطر معتبر مع أنهم قبل ذلك لم يكونوا الا طائفة معتزلة لا اعتبار لها

وبعد ذلك بقليل بلغ الإمبراطور شرلكان أن السلطان سليمان دخل بلاد الجمار مع جيش جرار يبلغ ثلاثمائة الف رجل فجهل بانها هذا كرات مشورة الديانة التي كانت اذ ذلك منعقدة بمدينة رانسبونة وبين فيما مقادير العساكر والنقود التي يجب على كل امير أن يقوم بها لاجل المدافعة عن الإمبراطورية وقد بذل المعتزلة في هذا الامر غاية وسعهم مكافأة للإمبراطور ونوفية بشكره والثناء عليه فامدوه بعساكر اكثر مما فرضه عليهم ونأسى بهم القائلون ليقبضون فاجتمع تحت اسوار مدينة ويانة جيش عظيم كان من اكبر وانجح الجيوش التي اجتمعت ببلاد المانيا الى ذلك الوقت فانضم اليه طائفة عظيمة من قدماء العساكر الاسبانية والابطالية يقودهم الملتزم هونغواست وانضم اليه ايضا مائة طوائف من انبيالة الثقيلة بمجموعة من مملكة البلاد الواطية وانضم اليه ايضا عساكر اخرى جمعها الملك فرديناند اخو الإمبراطور من اقليم جه واقليم الاسترويسيا وخبرهما من اقاليم بلاده فبلغ عدد هذا الجيش ثمانين الف رجل من المشاة

سنة ١٥٣٢

مطلب

الجهاد في بلاد الجمار

سنة ١٥٣٢

هرابول وشهرن شرين
الاول

المنتظمة وثلاثين الف من القوسان ومقداراً آخر جسيماً من العساكر الغير المنتظمة وكان هذا الجيش العظيم جديراً بأن يجعل عليه رئيس من اعظم ملوك التصاري فلذلك اراد الاميراطور أن يكون هو الرئيس عليه ومكثت بلاد أوروبا حشوقة غاية التشوق الى معرفة عاقبة هذا الحرب بين هذين الملكين اللذين هما اعظم ملوك عصرهما ولكن لما كان طالع كل منهما سيئاً وكما يمكن من الشوك والصولة سلكتا مسلك الاحتراس من بعضهما وصار كل منهما يخشى الآخر حتى ان هذه الغزوة بعد التجهيزات العظيمة والاستعدادات الجسيمة لم يحصل فيها واقعة تذكر وذلك أن السلطان سليمان لما رأى انه لا يمكنه النظر بالاميراطور حيث كان دائماً متيقظاً محترساً رجع الى القسطنطينية في اواخر فصل الخريف ومما ينبغي التنبيه عليه هو أنه في ذلك العصر وان كان كل من الايمان عسكرياً وكل ملك قائداً لم يقدر الاميراطور عساكره الا هذه المرة وان كان قبلها قد حارب حروباً طويلة وانصر نصرات جليلة ومع ذلك فكفاه غمراً كونه تصدى له مقاومة السلطان سليمان وحازا السود والفضاء بضاحه في هذا المشروع الخطر

في ١٦ من شهر اب

وفي اوائل هذه الغزوة مات منتصب سكرتير نخلقه ابنه الأمير خنفر يدين وبعدموته لم يحصل ضعف للذهب لوتير بل اتسعت دائرته وحصل له التقدم والتحسين وذلك أن ابنه لم يكن دونه في الميل الى هذا المذهب والتسلك به فانه لما خلقه حل محله بين المعتزلة وصار رئيس عساكرهم وكان في عنفوان شبابه فجعل يدافع مع جسارة الشبان وحميتهم عن هذا الدين الجديد الذي كان آباؤه من قبله قد عضدوه وشيدوا دعائمه بما اورثته لهم التجربة من الحزم والتبصر

مطلب

بالاميراطور البانيا
ندرجوه الى بلاد
بانيا

وكان الاميراطور متشوقاً الى رؤية اسبانيا فبمجرد رجوع جيوش الاسلام الى القسطنطينية سافر اليها وجعل طريقه بلاد ايطاليا لانه كان يود مقابلة البابا فتقابل في مدينة بولونيا واظهر البعضهما من الاحترام والمحبة ما كانا ابدياه في المقابلة الاولى غير أنهما لم يكونا اذئذ لياقتهما ببعضهما

سنة ٥٣٢ هـ

مطلب
ما حصل من المداولات
في شأن انعقاد مشورة
قيسية عامة

كما كان عليه في المرة الأولى بهذه المدينة وذلك أن البابا كليمان كان غاضباً
عما سلكه الإمبراطور في المشورة التي انعقدت بمدينة أوكسبورخ فإنه
لمارض بقصد مشورة قيسية عامة لأصاع بذلك ما كان له عند البابا
من المحبة بسبب القرمان الصعب الذي كان صدر منه أولاً في حق المعتزلة وبم
سبب آخر أغضب البابا أكثر من ذلك وغو أن مشورة الديانة المنعقدة
بمدينة ترانسبونيه رخصت للمعتزلة في مذاهبهم وأن الإمبراطور التزم لهم
بأنه سيطلب من قريب عقد مشورة قيسية عامة ومع ذلك فلما كان
الإمبراطور متيقناً أن المشورة القيسية تكون عظيمة الجدوى وكان يود
اشتغاف قلوب أهل ألمانيا واستأثرتهم إليه الخ على البابا في مدينة بولونيا أن
يخبر ما كان قد طلبه منه وبعت إليه رسلاً في هذا الشأن وطلب منه أن يسعى فوراً
في جمع مشورة قيسية فخلق البابا حيرة من هذا الطلب حيث كان لا يمكنه وقد
بوجه حسن ولا اجابته من غير أن يضرب نفسه بفعل أولاً يذل جهده في تحويل
الإمبراطور عن هذا القصد فلما رأى أنه لا يحول عن ذلك أخذ يسلك معه مسلك
التحصيل وانطداع ليقصد عليه هذا الغرض أو يتراخى فيه حتى يتسع معه الوقت
ويجمع امره فتعلل بأنه ينبغي أولاً المذاكرة مع الفرق المتشاحنة في شأن تعيين
محل انعقاد المشورة وصورتها وتعيين من له الحق في حضورها ودرجاتهم
في الآراء وبناء على ذلك أقام نائباً عن نفسه وأرسله مع رسول من طرف
الإمبراطور إلى الأمير منتخب سكس لأنه كان حينئذ رئيس المعتزلة فنشأ
في شأن كل من هذه الأمور المذكورة منازعات ومجادلات شديدة فكان المعتزلة
يريدون أن يكون انعقاد المشورة ببلاد ألمانيا وكان البابا يريد أن انعقد
ببلاد إيطاليا وكانوا يريدون أن يكون نص الكتاب المقدس هو الأساس في إنهاء
كل قضية تختلف فيها وحل مشكلها وكان هو يريد أن يقول على كلام القسوس
وأخبار الكنيسة كما يقول على عبارات الكتاب المقدس وكانوا يريدون أن تكون
المشورة القيسية مطلقة في إبداء الرأي بحيث يكون لكل من حضرها من
علماء اللاهوت المبعوثين من سائر الكنائس حق في إبداء رأيه بدون منافع

بنة ١٥٣٢

وكان هو يريد أن تكون تلك المشورة على صورة بحيث تكون مفتحة قبضته
يتصرف فيها كيف يشاء. وتم امر آخر كان المعتزلة يرغبون فيه أكثر من غيره
وهو أنهم ~~مكافؤ~~ يذكرون أن من عدم الصواب أن يلتزموا بالاذعان لاحكام
المشورة القيسية قبل أن يعرفوا معنى هذه الاحكام ومن صدرت عنهم
وكيفية العمل بها وكان البابا يقول انه لا ثمرة لعقد المشورة القيسية ان لم يلتزم
المعتزلة باتباع ما يصدر عنها من الاحكام لاسيما وهم الذين طلبوا انعقادها
فخرست عدة وسائل للإصلاح بين الفريقين في هذا الغرض وطالت مدة
المذاكرات والمداولات على وفق مرام كليمان حيث كان قصده بذلك كله
أن يعزق انعقاد تلك المشورة من غير أن يجلب لنفسه اللوم بتصديه وحده
الى المعارضة في انعقاد هذه المشورة التي كان جميع الافرنج يرون أن فائدتها
جليلة وأنه لا بد منها المصلحة الكنيسة الرومانية

وكان للإمبراطور غرض آخر أهم عنده من عقد المشورة القيسية وهو إبقاء
الامن والاطمئنان في بلاد إيطاليا وذلك انه كان يعلم أن الملك فرنسيس
كان لم يرل متوقفا لفرصة تلوح له فيستعين بها في اخذ اراضي التي اخذت منه
في بلاد إيطاليا وأنه لم يتركها الا بحزم منه قرأى الإمبراطور أنه يجب عليه
أن يحترس كل الاحتراس ويجمع جيشا يكتفي في مقاومة عدوه عند الضرورة
وحيث كانت خزائنه قد قذفت في مصاريف الحرب الطويل الذي كان فعله قبل
ذلك لم يمكنه أن يحصل المبالغ اللازمة لمصاريف هذا الجيش الذي عزم
على جمعه فأراد أن يجعلها على معاهدته وحلفائه وأن يكلفهم بجلب الأمن
في دوله وبلادهم فعرض على دول إيطاليا أن تعقد مع بعضها عصبة تدب
عن إيطاليا من يتعدى عليها وأن تجتمع لهذا الغرض جيشا تكون
مصاريفه موزعة عليها ويكون سر عسكره الأمير أنطون دوليوة فقبل
ذلك البابا كليمان لكن كان له فيه ما أرب أخرى حيث اراد بذلك
انعقاد بلاد إيطاليا من العساكر الالمانية والاسبانية التي كانت
فيما نذ من طويل تؤذي لمعاليها وتنهك كل الاهانة فكانت هذه البلاد

نظري
في كون الإمبراطور كان
له غرض آخر يتعدى
المذاكرة وهو إبقاء
الامن والاطمئنان
في بلاد إيطاليا

بسيمم باقية تحت حكم الامبراطور . فاجب الامبراطور الى ما طلب وانعقدت
العصبة ودخل فيها ما تردول ايطاليا ماعدا جمهورية البنادقة فممن
المبلغ الذي يخص كلا من ارباب العصبة لمصاريف هذا الجيش . وكان
الامبراطور لنفاذ امواله اذ ذلك لا يمكنه ان يبقى العساكر الالمانية والاسبانية
المذكورة لانها كانت مستخدمة عنده بالاجرة فرضى باخراجها من بلاد
ايطاليا لئلا سيما وكان لعل هذه البلاد يغضونها ويريدون خروجها من اراضيهم
فسرح الامبراطور بعضها ووزع البعض الاخر في جزيرة صقلية وبلاد
اسبانيا ثم ركب البحر على سفن الامير دوريه ووصل الى مدينة
برشلونة

مطلب

ما كان يقصده ملك
فرنسا في شأن
الامبراطور

ومع هذه الوسائط التي احترس بها الامبراطور لتأكيد الصلح في بلاد المانيا
وابقاء مارتبه في شأن بلاد ايطاليا كان لم يرل موسوسا غير آمن ونفسه غير
مطمئنة فكان يحسني من ملك فرنسا ان يقد عليه ما دبره بالحرب او بالقتل
والدسائس وذلك لانه كان يعلم ان فرنسيس لم يرض بمشارطة كبريه الا لياسه
وشدة كربه حيث كانت نضرته وترزى بعرضه حتى انه عند اقرارها كان مصمما
على عدم العمل بمقتضاها متى زالت الدواعي الملهية له على العمل بها وما يدل
على ذلك انه اشهد سراً على انكاره لعدة بنود منها لاسيما البند المشتل على تركه
للعوام في شأن دوقية ميلان فانه كان يرى ان هذا الامر من باب الظلم
والاجحاف وأنه تقص في حق من يخلفه في التاج الملوكي فهو لاغ لا يعتد به
وقد حصل حين تقييد اقرار المشارطة في برلمان مدينة باريس ان بعض
علماء الاحكام صنع كما صنع فرنسيس في شأن تلك المشارطة وبالطرح فكانت
احوال فرنسيس تقضي بانه قد اعتقد انه بهذه الحيلة التي لاتبليق بمقام الملوك
حيث انها تؤدي الى عدم وفوق الناس ببعضهم وفتح ما يقع بينهم من العقود
تخلص مما التزم به بحيث صار لا لوم عليه في عدم الوفاء به فانه بمجرد تجميع مشارطة
كبريه جعل ينتظر فرصة تلوح له فيبادر بنقض هذه المشارطة فلهذا كان
يسعى جهده في التودد الى ملك انكلترا وكان يذ في عساكره ويحكم

سنة ١٥٣٢

مطلب

مداولة ملك فرنسا
مع البابا لاضرار
الامبراطور

ضبطهم وربطهم وكان يذل ومعه في ايقاع الشقاق والتفاقم بين امراء المانيا
والامبراطور

وكان للملك فرنسيس رغبة تامة في فسخ الالتئام الاكيد الذي كان بين
الامبراطور والبابا كليان حتى حصل له غاية القرح حين ظهر له من البابا
ما يدل على اشتزاز نفسه من الامبراطور واعتقد ان الالتئام بينهما لا يدوم

فقد كان البابا يحقد على الامبراطور في تطير كونه اعان ردوق فرانس ونصره
عليه فاخذ فرنسيس يحرض البابا ويوقع في نفسه ان ما فعله الامبراطور من
اعانة هذا الردوق عليه اتما هو من باب الظلم الفاحش وافهمه انه مستعد للتحول
في حربه والمدافعة عنه يبطئه القوي بدون علة ولا غرض وكان البابا قد سمع
نفسه من الحاح الامبراطور عليه بعقد المشورة التعيسية المتقدم ذكرها فعرف
فرنسيس ان يجتد دعوائن يؤخر بها انعقاد تلك المشورة وبذل جهده في منع

المتعاهدين معه من امراء المانيا عن الالتحام والتدقيق في هذا الشأن
ولما كان من مقتضيات اعتبار الامبراطور ومحبتة عند البابا هو ان الامبراطور
كان قد ادعى على مقام عائلته وهي عائلة ميديسيس وادفع شأنها سان
الملك فرنسيس هذا المسلك وعرض على البابا انه يريد تزويج ابنة الثاني
وهو الامير هنري ردوق اورليان بالاميرة كاترينة بنت الامير

لورنط دو ميديسيس وهو ابن عم البابا كليان فلما وقف الامبراطور على
خبر هذا الزواج لم يصدق ان هذا الكلام صادر من فرنسيس على سبيل الجدة
والحقيقة حيث ان هذا الزواج فيه تدريس عائلة فرانس الملوكية لان كاترينة
المذكورة كلن ابأوها قبل ذلك بقليل من جلة اتحاد الالهاتي وكانوا من تجار
فلورنسة بل اعتقد ان قصده بذلك اتما هو مجرد مداهنة البابا ومخادعته ولكن
رأى انه يلزم مدارك هذا الامر لانه يغتر البابا ويقع منه موقعا عظيما فوعده البابا
بانه يفسخ النكاح المنعقد لردوق ميلان على بنت اخته من ملك داتيرقة
ويعقد لهذا الردوق النكاح على الاميرة كاترينة المذكورة ولكن انظر
مرسل ملك فرنسا ان سجد لهم قد قوض لهم عقد النكاح على هذه الاميرة

سنة ١٥٢٣

لابنه الامير هنري دوق اورليان نخاب ماذيره الايمبراطور واما البابا
كليمان فخرج كل الفرح من هذه المصاهرة التي تتشرف بها عائلة ميديس
ويرزاد روثقها ويعلو شأنها حتى انه وغداً يعطى كاترينة في صداقتها
عدة اراض واسعة من بلاد ايطاليا بل ظهر منه الميل الى تعصيد ملك
فرانسا في دعواه في شأن عدة ايلات من تلك البلاد ورضي أن يتقابل مع هذا
الملك كما تقابل مع الايمبراطور

مطلب
مقابلة البابا مع
الملك فرنسيس

وقد بذل الايمبراطور شرلكان جهده في منع هذه المقابلة حيث كانت
هذه ضيقات الاحوال اذ كان يتم على أن عاقبتها تضرته وكان قبل ذلك
قد ذهب بنفسه الى البابا مرتين فلققه غم شديد حين رأى من البابا امر اغريبيا
وهو مفرقه بجرا في فصل كثير المشاق يصعب السفر فيه لاجل مقابلة الملك
فرنسيس في ملكته لانه كان يود أن يعمل بعقد النكاح المتقدم لاعتراؤه بذلك
وزالت عنه دواعي الكبر التي كان يمكن أن تمنعه من فعل مثل ذلك في صورة
لآخرى مقابلة بمدينة مرسييا في محفل عجيب واطهر كل منهما صاحبه
مزيدا الاحترام والتجصيل التام وانقصد النكاح للامير هنري دوق اورليان
على الاميرة كاترينة بعد مشاق كثيرة وقد اضر هذا الزواج فيما بعد بملكته
فرانسا لان هذه الاميرة كانت بمكان من السياسة والطمع كما انه من مبداء الامم
دنسها وازرى بعائلته ملوكها ثم ان البابا والملك فرنسيس اتفقا على عدة
امور تخص دوق اورليان فتخلي له ابوه الملك فرنسيس عن حقوقه
في بلاد ايطاليا ولكن كان ذلك كله سراجاً لا يقف الايمبراطور على جلبه
خبره فيخرج بالغضب ولذلك حصل الاتفاق بينهما شافهة ولم تحترز بينهما
مشارطة صريحة بل سطر في ورقة النكاح أن الاميرة كاترينة تخلت عن
حقوقها ودعواها في بلاد ايطاليا ما عدا دوقية اورمان

سنة ١٥٢٤

مطلب
ما سلكه البابا في شأن
تطبيق ملك انكترية
لريجنه

وفي مدة ما كانت المداولة حاصلة بين البابا كليمان والملك فرنسيس
وكان البابا يجهد مع هذا الملك روابط المحبة التي اوقعت الوسومة في صدر
الايمبراطور شرلكان كان هذا الايمبراطور يبذل جهده فيما يكون به تطبيق

سنة ١٥٣٤

ملك انكلترة ليرجعه وظهر منه أنه يود تخير هذا الغرض ملك انكلترة
حتى كانه من اعزاجه واصدق اصحابه ولا جرم في ذلك حيث ان المداينة
والمحادعة من طبع اليمبراطور وكان الملك هنري قبل ذلك نحو ست سنون
يجتفي طلب هذا الطلاق والبابا يماطله ويذاينه بالمواعيد الباطلة ولا يبت له
شيأا وربما يتعجب من كون هذا الملك مع حية طبعه وسرعة غيظه مكث تلك
المنة الطويلة وهو يتحمل مطل البابا وافعاله التي توجب الحسامة ولكن لا داعي
لهذا التعجب متى عرفت انه قد عجل صبره وضاق صدره حتى خاطب في هذا
الناسن محكمة اخرى غير ديوان رومة فحكم المطران فرايمر بضلع
النكاح الواقع بينه وبين الملكة كاترينة وأن البت التي ولا تها منه لا تلحق به
شرعا باينا حكمه بذلك على ما استوثق به من العلماء والاحبار والرايين
الذين عرضت عليهم هذه المسئلة واقر نكاحه للاميرة ادوبولان التي كان
يحبها ومن وقتئذ صار الملك هنري لا تلحق بالبابا ولا يظهر له المحبة والمودة
واخذ في اهماله وعدم الاعتناء به بل صار يحذره كل التهديد مخفي عنه هم
بالانصاف والدين المعتزلة وان كان قبل ذلك يدافع عن الكنيسة بما في وسعه وكان
اذن قد خرج عن دين الكنيسة واتبع مذهب المعتزلة عدة اقاليم وممالك فغشى
للبابا أن تقتدي بملك انكلترة بهذه الممالك وتتبع مذهب المعتزلة وكانت
مصلحته تقتضي أن يحترس كل الاحتراس حتى يسلم من عاقبة هذه المصيبة
فاضطر الى ارضاء خاطر الملك هنري لكي لا يعدل عن سنن الكنيسة لاسيما
وكان الملك فرنسيس يلج على هذا البابا أن يستعطف هنري المذكور
ويظهر له المرحمة بقلبه ويترب عليه رضا خاطره حتى لا يخرج عن حربه
ولكن كان في الكرديانات من يود اليمبراطور مودة صادقة فلم يدعوا
البابا بفعل مع هنري ما يضره ويرضى خاطره بل صرفوه عن هذا المشروع
المبنى على الحزم والاصابة الى مشروع آخر مبنى على خلاف ذلك اضرت
عواقبه بكنيسة رومة حيث الزموا بابرار فرمان يطلان حكم فرايمر
وصحة نكاح هنري للاميرة كاترينة وحرمان هذا الملك اي طرده عن

٢٣ من شهر اذار

سنة ٥٣٤

مطلب
ابطال حكم البابا
من مملكة أنكلترا

الكنيسة اذ لم يتك بعد اجل مسي زوجته الجديدة وهي اندوبولان ويرجع الى زوجته كاترينة فغضب هنري من هذا القومان ونقض ما كان بينه وبين ديوان رومة من العلائق والروابط وغضب لغضبه وعيابه وساعده وشدوا عضده فصدر من ديوان البرلمان الانكليزي امر بابطال احكام البابا واوامره في مملكة أنكلترا وصدر منه امر آخر يجعل الملك هنري رئيس الكنيسة الانكليزية وتقليده بكل ما حرم منه البابا في هذه المملكة فجبرد ما ضاع احترام البابا ودين الكنيسة من قلوب الاهالي انهدم في اسرع وقت تجتمع ما تفن في تشييده القسوس حتى كان يظهر آله على اساس متين ولكن لحق هنري واوامه الباطلة استزعلي حاية دين الكنيسة الرومانية وبذل في ذلك من الجهد ما كان يبذله في ازالة شوكة البابا من مملكته وابطال احكامه المدنية منها فكان نارة يؤذي القساويليين واخرى يؤذي المعتزلة فاما المعتزلة فكان يؤذيهم لكونهم رفضوا مذهب الكنيسة الرومانية واما القساويليون فكان يؤذيهم لانهم كانوا يتبعون احكامها المدنية الغير الدينية ولكن بمجرد ما ساع للرعيا سلوك طريق جديد بادروا اليه وتوهموا فيه ولم يستحسنوا ان يتفوا عند الحد الذي يعينهم لهم الملك هنري وذلك انهم لما تأسوا به في الخروج عن بعض شعائر تلك الكنيسة صاروا يترقبون مع القلق فرصة ينهزونها في التخلص بالكلية من ربة اسر الكنيسة الرومانية حتى ان بلاد انكلترا انفصلت فيما بعد بمجرد ظهور الفرصة عن كنيسة رومة في امور الدين كما انفصلت عن احكامها المدنية والسياسية

مطلب
موت البابا كليمان
السابع

٤٥ من شهر ايلول

ولم يجعل البابا كليمان بابرار الفرمان المتقدم في شأن ملك انكلترا لكان من الجائز ان تسلم كنيسة رومة من تلك الهواقب الشنيعة وبعد صدوره هذا الفرمان بمدة قليلة اصيب كليمان بجهاء السل فاخذت بنته في الضعف شيئا فشيئا حتى مات ونقضت حكومته الطويلة التي كانت لكثرة المصائب التي حلت بالكنيسة في مدتها قبح حكومة بين حكومات البابات الذين تولوا على ديوان رومة منذ عدة قرون فبعد موته انعقدت مشورة

الكردي نالات لاتنخاب بابا جديد فلم يحصل وقت في هذا الشأن بل اجمعوا في اول يوم من اجتماعهم على تولية الكردينال اسكندر غرنيز رئيس الديوان المقدس أي ديوان الكردينالات وكان اقدم الكردينالات وعند تقليده بهذا المنصب سموه بولص الثالث فحصل للامة الرومانية كل القرح بتولية هذا الكردينال لانه كان من ابناء وطنهم فخرجوا رجوع تاج البابا الى رجل من الامة الرومانية بعد أن مكث أكثر من قرن يتداوله الاجانب وتفاكر العارفون من توليته بحسن الادارة لانه كان يحكم من التجارب حيث شهد حكومة اربعة من البابات وانظهر في منصب الكرديناليسة ما يدل على كثرة حزمه وقاعته مع أن ذلك الوقت كان وقت فتن واضطراب يستدعي السياسة والمداينة

وربما كان موت كليمان سببا في بقاء الصلح يلاذ اوروبا فانه وإن نص التاريخ على أنه تعصب مع الملك فرنسيس على الايمراطور الا انه لاشك انه لو هجمت الجيوش الفرنسية على اراضي الايمراطور في بلاد ايطاليا لكان هذا البابا يساعد هاتم المساعدة لانه لطعمه كان يفرح حين يرى أنه قد خرج من عائلته ملكا كان احدهما يحكم فلورنسة والثاني يحكم دوقية ميلان فلما تولى بعده بولص الثالث وكان من حرب الايمراطور وانصاره اضطر الملك فرنسيس الى ابقاء الحرب لوقت آخر ورجع عما كان عزم عليه من الشروع في قتال الايمراطور

ويتما كان الملك فرنسيس يترب فرصة يتم زها في الحرب مع الايمراطور وان كان قد هزم في الحروب المتقدمة ولحقه منها الضرر هو ورعاياه اذ حصل في بلاد المانيا حادثة غريبة وذلك أن الدين الجديد كان نشأ عنه كثير من الفوائد الجلية نشأ عنه امور اخرى مفسدة ومثل هذا لازم لزوما دائما لافعال البشر فحي اشتغل العقل البشري بمقاصد جسية وما رب مهمة خرج عادة عن اطوارها وتجاوزت حيمته الحدود فيضل عن الصراط المستقيم ويقع في سبل الزنغ ويضيع رشده ومثل تلك الآفات تتراكم عادة على عقول البشر متى جالت في بهيمون

سنة ١٥٣٤

مطلب

انتخاب البابا بولص الثالث

٢٠ من تشرين الاول

مطلب

عصيان طاقعة

الانابايتست في

بلاد المانيا

الانابايتست طاقعة

من المعتزلة ترى أن

التعميد لا يكون الا

في سن التمييز بالعمية

دون الرش

الدين ونما صمد في لجمه الطامة لاسباب في مثل ذالہ العصر الذي كان قد خرج فيه
الناس عن الدين القديم ولم يتمكنوا من اصول الدين الجديد الذي تمسكوا به
حتى يدركوا حقيقة ما اوجبه عليهم فبناء على ذلك كانت جساتهم في الاقدام
على الدين الجديد دائمافي التقوى والازدياد ولم تنقص محبتهم مما كانت عليه
عند رفض الدين القديم وحيث ان العقل اذ ذاك لم يكن تمكن من اصول
الدين الجديد حتى يتغذها دليلا يهتدى به الى الصواب كان لا يستطیع ما فيه
من التضييق عليه فوردت عليه واردات غير جيدة ومن ثم كان فساد الاصول
المحمودة والاخلاق المدوحه وشاهد ذلك ما حصل في مبدأ نشر الدين
النصراني فكنتم ترى كثيرا من الناس يتركون دينهم القديم ويتسكون بدين
النصرانية قيل أن يتمكنوا من معرفة اصوله فيصعدت فيهم اعتقادات باطلة
واوهام عا طلة مخالفة لدعائم التقوى وشعار الفضيلة ثم اضعفت هذه البدع
شيئا فشيئا حتى صارت في زوايا النسيان وصارت تخفى ضباباتها بتشاراضوا
شعوس الاصول الدينية الصحيحة في آفاق العقول البشرية * وقد حصل
مثل ذلك في دين لوتير حيث انه بعد ظهوره بقليل نشر بعض اصحابه الجهلهم
او لجساتهم اصولا مضرة ليست الا من قبيل الاوهام الكاسدة والبدع
القاسدة وجعلوا أنهم من الدين وكان الناس اذ ذل لمع جهلهم لهم رغبة تامة
في الدين الجديد وكان هذا الدين مطمح نظرهم فذلک هو السبب في حدوث
الاهوام القاسدة التي نشرها المعتزلي مونتير في سنة ۱۵۲۵ وحظيت
بالقبول بين الفلاحين نعم ان هذه الفتنه التي آتاهم لم تطل مدتها ولكن اختفى
عدو من اصحابه في بعض البلاد وبذلوا جهدهم في نشر آرائهم وانزعوا وهامهم
وبدعهم

وكانت الاقاليم العليا من المانيا قد فترت وبسا حالها بسبب حماقة
هؤلاء الجهلة ومارت كبره من القفال القبيحة فشدد عليهم الحكام واساوا
معاملتهم فعاقبوا منهم البعض وقوا البعض والجاوا بالايذاء جاعفيا الى
لهم اجرة الى بلاد اخرى فامكنهم بذلك أن يزولوا ما به كان قد نشره هؤلاء الجهال

معد

منشأ هذه الطائفة

وبيان آرائها وعقائدها

سنة ١٥٣٤

من الاوهام الباطلة ولما لم يحصل مثل هذا التشديد عليهم في ملكة البلاد
الواكفة وفي اقليم وستاليا لانه لم يكن هناك من يدر له مضار هو اقرب
مذاهيمهم دخلوا بمدة مدائن ونشر واخيا اصولهم وقواعد مذاهيمهم وكان اعظم
هذه الاصول هو التعميد على وجه مخصوص وهو أن لا تعمد الاولاد الا في سن
التمييز وأن لا يكون التعميد بالرش بل بالغمس وبناء على ذلك حكموا ببطلان
ماسوق من التعميد قبل سن التمييز وصاروا يعمدون كل من يدخل في حوزهم
ومن ثم سميت طائفتهم بطائفة الانابانيست اي المعمدين بالغمس في ماء
المعمودية والظاهر أنهم بنوا ذلك على ما كان يفعل في التعميد على عهد
الحواريين ومثل هذا الامر لا يؤثر في انتظام العالم شياً لكن كانت لهم عقائد
اخرى خطيرة مضرة فكانوا يقولون ان وظيفة الحكام لا يحتاج اليها التصاري
الذين يأخذون بصريح عبارات الانجيل ويعملون بما يستنبطونه منها من
الاحكام وانما هي وظيفة متنوعة شرعاً لما فيها من الظلم وتضييق دائرة العقل ومنعه
عن وظيفة من الجولان والنظر في الاشياء وكانوا يرون أنه يلزم الملك كل امتياز
بين الناس من حسب ونسب ورفعة قدر وثروة لان ذلك كله مخالف لما يقتضيه
الانجيل من التسوية بين افراد البشر وأنه يجب على جميع ابناء التصارية
أن يجعلوا اموالهم واملاكهم بينهم على سبيل الشيوخ وأن يعيشوا مع بعضهم
كعائلة واحدة لا امتياز بين اهلها وكانوا يرون تعدد الزوجات قائلين انه حيث
لم يكن في التاموس الطبيعي ولا في العهد الجديد مقدار النساء اللائي يجوزن للمرأة
نكاحهن فله أن يتزوج بمن شاء منهن واحدة او متعددة واسوته في ذلك الانبياء
المتقدمون وللامام المأخوذون فان الله عز وجل قد اباخ لهم ذلك

ثم انهم نشروا هذه الاصول وجعلوا يعضدونها مع الحجة الجاهلية فنشأ عنها
امور قبيحة اضررت بالعباد والبلاد * وادعى اثنان منهم التوبة وهما حنامتي
وكان خبازاً من مدينة هرليم و خسابوكولد او بوكولس وكان
خباطاً بمدينة لينه فاستوطنا بمدينة مونستير وهي من اعظم مدائن
الامبراطورية وهي وان كان لها اسقف الا ان الحبل والعقد فيها كان لاربابه

احكام من الرضا
وعلى
١٩

مطلب
استيطانهم في مدينة
مونستير

سنة ١٥٣٤

المشورة والقناصل من اهلها وكان هذان الكاذبان يامعين لما يلزم لنجاحهما
في مشروعهما من المعارف والجسارة العظيمة والظهور بظهور الاتقياء وادعاء
الوحي وفصاحة الخطاب في الاحتفالات العامة فهذه الوسائط كلها
صار لهما في اقرب وقت احزاب واتباع واشتهر امرهما وشاع فكان من اتباعهما
المعلم بغيرتهم وهو اول من وعظ بدين المعتزلة في مدينة مونستر والشهير
كنبيرد ونصح وكان من ذوى الحسب والنسب بين اهل هذه المدينة وكان له فيها
اعتبار عظيم فلما كثرت احزابهما تقوت قلوبهما وصار لهما مصولة وتقوى كل
للمعتزلة بنشران اصولهما الدينية على رؤس الاشهاد ويعلمونها الناس كافة
ولم يكتفيا بذلك بل صمما على الاستيلاء على المدينة والتقلد بحكومتها ليضعوا
ختم الحكومة على مذهبيهما ولكن لم يمكنهما في صبدأ الامر ان يظفرا بهذا
المقصود فطلبوا سراجة كبيرة من اتباعهما الذين بالبلاد المجاورة لتلك المدينة
واستولوا ليلا على ترساتها وديوان مشورتها وجعل حزبيهما يطوف
في الحاحية الا لاقوه والسيوف بايديهم وهم يصيحون نارة بقرولهم وبوا
وتعمدوا واخرى بقرولهم ارقعوا اليها الضالون الجاحدون قضرعهم ارباب
مشورة السنت والشمامسة والرهبان والاعيان وخيار السكان من
معتزلة وفاوليفية وتركوا المدينة لهؤلاء المجانين الذين كان اغلبهم اجنبيا عنهم
وخرجوا منها في اسوء حالة ففرق في المدينة من يستطيع معارضتهم فانشأوا
فيها حكومة جديدة تلايم عقولهم المختلة نعم وان اظهروا في مبداء امرهم
احترام الرسوم القديمة فاتخذوا الدباب مشورة السنت من بينهم وقلدوا
كنبيرد ونصح ورجلا آخر من حزبه بوظيفة القنصلية لان ذلك
كان ظاهريا فقط وقام حتى بآدارة المصالح وبذلك في احواله والطواره
مسلكا يوههم به انه نجي حتى وصار يأمر وينهى ويقتل فوراً من خالف امره
وجعل يحرض العامة على نهب الكنائس وتجريد ها عن زينتها ثم امرهم ان
يجرقوا من الكتب ما عدا كتاب العهد القديم والجديد فخلطوها عن القائدة مع
اشتمالها على اكاذيب المحدثين وضلالات الجاحدين وضبط على اموال من

مطلب
استيلائهم عليها

مطلب
حكومتهم الجديدة التي
احدقوها بتلك المدينة

سنة ١٥٣٤

منه
خلال الأسفار والوقت

هاجر من المدينة وباعها السكان البلاد التي بجوارها وأمر كل إنسان من سكان
المدينة أن يأخذ إليه مذهب وفخته وسائر ما عنده من الامتعة النفيسة القيمة
ووضع ذلك في خزنة عامة وربت ثمانمائة وانا طهم بصرف ما يلزم لكل فرد من
افراد الاهالي (وهذا معنى ما سبق من جعل الاموال على سبيل الشروع بين
الناس) وبعد أن رتب التساوي بين اهل جهوريته على هذا الوجه أمرهم
أن يأكلوا مع بعضهم على اخوة ينصبونها على رؤس الاشهاد في مساحات
العمومية بل عين لهم ما يأكلونه كل يوم من الاطعمة وبعد أن تم هذه
التغييرات على هذا الوجه التفت الى ما يكون به تحصين المدينة لتكون آمنة من
سطوة العدو وسلك في هذا الغرض مسلك الحزم والتبصر فحدد مخازن واسعة
واصلح الحصون القديمة وحدث حصونا جديدة واشتغل في ذلك جميع السكان
بالتناوب وربت من اتباعه جنودا منتظمة احكم ضبطهم وربطهم وجمع
في ذلك بين الحزم والحمية وبعث الى اتباعه بمملكة البلاد الواطية يدعوهم الى
الحضور الى مدينة مونستير التي كان يسميها جبل صهيون ~~في~~ الإشارة الى
جبل فلسطين عليه قلعة بيت المقدس ولا يخفى ما في ذلك من الاشارة الى اجتماع
فيها ثم يخرجوا جميعا لتسخير سائر الملل وادخالهم تحت طاعتهم وكان لا يدور
علم الراحة ابدا ولا يعمل في شيء مما يكون به حفظ مذهبهم وتوسيع دائرته وكان
يسلك مسلك التقشف والزهد ولا يستنكف عن الاشتغال بأي شيء ليعتني به
في ذلك اصحابه وقد ازدادت حبيبتهم وتقوى عزيمتهم بنصره لهم وادعاه النبوة
وزول الوحي عليه فصاروا يستسلمون كل صعب لاجل تأييد مذهبهم وتفضيده
ولكن كان اخف مونستير قد جمع جيشا عظيما وقدم به الى المدينة ليضع
عليها الحصار فلما دنا منها خرج عليه ~~مضى~~ من المدينة مع بعض عساكر اتقهم
وجعل على معسكره وقتل منه كثيرا ثم ~~كسر~~ راجعا الى المدينة يرقل في ثياب
الفخار ومعه اسلاب القتلى واعتز به النصر فخرج في اليوم الثاني يقدم اهل
المدينة ويتبعه ورحم وهو يقسم أنه لا بد أن يذهب مع افراد قليلة لحق جيش
الجاحدين ولو كثروا كما فعل كذعون بن يونس الاسرائيلي فانه مع ثلثمائة

مطلب
اشارة اسقف مونستير
عليهم

(سنة ١٥٣٤)

(شهر ايار)

مطلب

ازدياد شوكة حنا

دوليد بين طائفة

الانابايتية

رجل ظفر باهل مدين وكانوا مائة واربعين الف * فانتخب ثلاثين رجلا واقض
 بهم على معسكره لاعداء مع الحمية الشديدة فقتلوا عن آخرهم وقتل معهم
 نبيهم وبجونه وقع الرعب والفرع في قلوب اتباعه الآن حنا فوكلوا الخياط
 الذي تقدم ذكره سلك مسلك متى في الحيلة والخلاعة واطهار دعوى النبوة
 فاحيي قلوبهم حتى اقاموه مقام متى وجعلوه مطلق التصرف بينهم ولما
 لم يكن في الهتارة متعل متى انتصر على المدافعة عن مدينته ولم يخاطر
 بنفسه ويحجم على الاعداء بل جعل ينتظر الامداد الذي كان متى قبل موته
 قد بعث يطلبه من مملكة البلاد الواطية ومع ان هذا الكاذب لم يكن جسورا
 مثل متى كان اكثر منه اوها ما وبعدا واعظم منه حية جاهلية وكان يفوقه
 ايضا في الحرص والطمع وذلك انه بعد هلاك متى صار يضل الناس
 ويغترهم بدعوى الالهام والوحى وانذرهم بوقوع حادثة غريبة وبعد ان مهد
 عقولهم بهذه الكيفية خلع ملبوسه وصار يجرى في الحارات والازقة ويقول
 بل على صفة الملك صهيون قد قرب وانها وان كل ما شيد على الارض
 سيحط وكل ما انحط سيشيد وبناء على هذا التبا الذي يزعم انه بالالهام والوحى
 امر بهدم الكنائس لانها كانت اعلى مباني المدينة وعزل ارباب مشورة
 السنت الذين كان ولاهم متى قبله وخلع كنيرو ولتخ عن منصبه
 القسلبية الذي هو اعظم مناصب الجمهورية وحكم عليه بادى الوظائف
 واخسها حيث جعله جلاداهم يتوقف كنيرو ولتخ في قبول هذه الوظيفة
 بل اظهر القرح والسريرة بها وبالجملة فكانت قسوة هذا الرجل خارجة عن
 الحد حتى ان كنيرو ولتخ كان يدعى كل يوم لاجراء وظيفته الشيعة واقام
 بوكلوا محل ارباب مشورة السنت الذين عزلهم اثني عشر فاضيا
 ليقوموا بادارة المصالح تاسيا باسباط بنى اسرائيل وكان له في قومه من قوود
 الكلمة ما كان لوحي عليه السلام في قومه

ولكن لم يكف بوكلوا بهذه الشوكة العظيمة ولا بتلك الاغصان الفاخرة بل
 اراد ان يكون ملكا مطلق التصرف بين قومه بظفر هذا المرام حيث استمال

مطلب

توليتة ملكا بطرير

الانتخاب

(سنة ١٥٤٤)

٢٤ من شهر حزيران

رجلا وعلمه حتى اعتقدوا ببقوته ثم جمع هذا الرجل الالهائي وأبدي لهم أن الله سبحانه وتعالى قد قطع ارادته بجعل حنا بوكوله ملكا في صهيون وأنه يجلس على كرمي داود عليه السلام فعند ذلك خثر حنا ساجدا امتثالا لارادة الله عز وجل وحقق للناس أنه قد اوحى اليه بذلك فبادروا الى مبايعته وصاروا من وقتئذ يظهر بمظهر الملوك فاتخذ تاجا من الذهب وصار يلبس اغفر الملابس وكان دائما على احد جانبيه رجل يحمل الاثقال وعلى الآخر رجل شاهر سيفه وكان لا يظهر من الملا الاومعه جم فقير من الناس خفوه وسراسته وضرب النقود ورسم عليها صورته وجدد ضباطا لقصره وللمملكة وكان من جملة كنيده ولغ حيث جعله محاقط اعلى المدينة مكافأته على امتثاله حين قلد نوظفة الحلال وعلى توفيقه بهابدون اشتزاز ولاخلق

فلما بلغ بوكوله هذا المبلغ من الصولة واتسعت دائرة شوكته اخذ يرتكب امورا كان لا يرتكبها قبل ذلك او كان يفعلها سرا * وقد سخر في سائر الاعضاء انه الحمية المقرطة يصعبها العشق عادة وأن منشأ الامر من واحد فامر بوكوله عدة من علمائه ان يعطوا الالهائي ويرغبوهم في التزويج باكثر من واحدة بل ويضهم موهب أن هذا الامر لا بد منه وزعموا أن ذلك من المزايا التي خصها الله سبحانه وتعالى بمن اصطفاهم واجتباهاهم من خلقه فلما تعود الناس على سماع ذلك وفرحوا به ملايمته للطباع البشرية كان هو اول من بدأ بذلك فتزوج بثلاث نسوة في آن واحد منهن ارملة متى وكانت بهيمة الحسن والجمال ثم بلغ منه العشق بحب التنقل حتى صار عدد نساؤه اربع عشرة امرأة ولكن كان المقلب منهن بلقب الملكة هي ارملة متى وحدها فكانت تقسم معه تشريفاات المنصب الملوكي ثم نأسى به الناس في ذلك وجاوزوا الحد في الفساد حتى لم يبق رجل الا وعنده اكثر من واحدة وصاروا يعدون الاقتصار على الواحدة من اكبر الكبار لانه يخالف لما شرعه لهم فيهم من الحقبة النصرانية بل كان ثم اناس ممنوطون بالبحث في البيوت عن الابكار ويلزمونهن بالتزويج * وحيث ان

مطلب
فساد سلوكه

(سنة ١٥٣٠)

الطلاق لازم لئلا ياتوا لتعدد الزوجات صار مشروعا بينهم وصار من جملة
دواعي الفساد عندهم وافضت بهم الشهوات الى ارتكاب القواحش حيث
لم تحتها شريعتهم بمحدول يكن عندهم حياء يمنعهم من الافراط فيها وبالجملة
فقد شوهد يومئذ ان الفساد عضدته اصول الدين وأنه قد جمع بين القواحش
والزهد في تلك المدينة التي كانت موطنًا للاوهام والضلالان والبدع
والترهات

ولما رأى امراء المانيا أن هذا المبتدع الضال الخسيس الاصل قد دنس
مقاصبهم باقتياله على حقوق المنصب الملوكي حيث أقام نفسه ملكا في مدينة من
دولهم اشتد غيظهم منه وصمموا على اهلاكه لاسيما وكانت فواحش اتباعه
تدنس دين النصرانية فقرر منها جميع الناس في سائر الدول وضائق صدورهم
وكان لوتير من مبدء الامر لا يستحسن حجة هذه الطاقة فتأسف حين
رأى تقدمها اسفا عظيما وحرر في القدح في اوهاهم والتشجيع على عقائدهم
عبارات ففعلت مؤلفة لتقبل نقضا ولارادوا حرض فيها جميع امراء المانيا
على منع جنة هذه الطاقة المشؤمة على الناس الخطرة على الدين ~~وكان~~
الإمبراطور اذ ذاك مشغولا بامور بركة ومقاصد مبهمة فلم يتمكن أن يلتفت الى
هذا الغرض لاسيما وكان بارض بعيدة عن محل اقامته ولكن جمع ملك الرومانيين

سائر امراء الإمبراطورية واتفقت كلمتهم على امداد اسقف مونستر بالرجال
والاموال لانه لا قدرته على القيام بمصاريف العساكر اللازمة لحصار المدينة
على ما ينبغي وانما كان مقتصر على قطع الوارد عنهم من بعيد ولما صمم امراء
المانيا على ذلك جمعوا العساكر واناطوا برؤسهم ضابطا من القسباط اولي
الدراية والتجارب فوصل بهم هذا الرئيس الى مدينة مونستر في فصل
الربيع سنة ١٥٣٥ واراد أن يجعل بانها المحاصرة والهجوم على المدينة الا أنه
رأها حصينة مهيبة ووجد اهلها معينين بحفظها غاية الاعناء فلم يجاسر على
الهجوم عليها بالآخذها عنوة وكان قد مضى على اتباع طاقة الانابايتيست
أكثروا من خمسة عشر شهرا وهم في أشد التعب تلك المدينة من الاشتغال

مطلب

العصبة التي تعصبت
على طاقة الانابايتيست

مطلب

تصاوم مدينة مونستر

(سنة ١٥٣٥)

(سنة ١٥٣٥)

مطلب
قسط المحصورين
وجيئهم

في التصينات والاستحكامات والخدعة العسكرية وكان بوكولد لا يألو
جهدا في تحصيل ما يلزم لمؤنة أصحابه وقت محاصرة المدينة وكان يقرر عليهم
في صرف مرتباتهم ومع ذلك قل من عندهم الزاد حتى ايقنوا انه سيقع بهم القحط
والجماعة عن قريب واتى اليهم في اثناء ذلك عدة سرقات من اخوانهم بمملكة
البلاد الواطية بقصد اعانتهم فقبضوا يدوا عن آخرهم فلم يبق لهم وسيلة يرجون
بها النجاة لاسيما وكانت بلاد المانيا مستعدة لان تجتمع مع بعضها لتقطع
دابرهم ولكن كان للضال بوكولد موقع عظيم عند اصحابه وكانت جيئهم
قد تجاوزت الحد حتى انهم لم تفر لهم همة ولم يعدلوا عن عقائدهم واوهامهم
وكافوا منه يأخذون الاشياء قضية مسلطة وكان بوكولد واضرا به يحدونهم
بنزول الوحي عليهم ويقولون لهم ان الله القادر على كل شيء سينقذهم منهم عن
قريب وينصيحهم من كيد اعدائهم ولكن اشتد بهم الكرب والضنك حتى اخذ
بعضهم يشك في نبوة هؤلاء المبتدعين وصحة اخبارهم وجعل يتردد في التسليم
الى العدو فبجهد ما ظهرت سريرتهم وانضح امرهم عوقبوا بالقتل على
كفرهم وعدم اعتمادهم ونواكلهم على الله عز وجل واتفق أن امرأته من نساء
بوكولد تكلمت بكلمات تؤذن بشكها في نبوته فجمع هذا الكذاب الاشرسائر
نساءه وامر زوجته الكافرة أن تجثو على ركبتيها ثم ضرب عنقها بيده ولم تفرغ
النسوة من هذا الفعل الخشن بل امسكن بيده وجعلن يرتفن على شكل دائرة
حول جثة ترهبين ويظهرن الفرح والمسرة

مطلب
اخذ المدينة في اول
يوم من شهر تموز

وكان القحط لم يزل يشتد بين المحصورين حتى عظم كربهم وساء حالهم ولكن كانوا
يؤثرون مثل هذه المصائب التي يفرغ الانسان من مجرد حكايتها على كونهم
يقبلون قول الاسقف الذي كان يعرض عليهم التسليم في جميع الاوقات الآن
رجلا منهم هرب من المدينة اما لكونه افاق من نشوة الجية لجاهلية او لكونه
لم يستطع تحمل مشاق الجماعة والقحط وانضم الى جيش المخلصين للمدينة
ودل رئيسهم على جهة واهية الحصن واخبره أن المحصورين للمحقق من
التعب والنصب والجماعة وغيرها من المشاق غير معينين بحفظ هذه الجهة

سنة ١٥٣٥

٢٤ من شهر حزيران

مطلب

عقاب الملك واتباعه

مطلب

حال مذهب

الانابايتست

بعد ذلك

مرفوعة
دعوى

وعرض له أن يعث معه سرية ليلاليدلها على تلك الجهة قبيل قوله وبعث معه طائفة من اجدو العسة كرفصوا في مرامهم كما اخبر فانهم تسلقوا على الاسوار من غير أن يشعروهم احد واستولوا على باب من ابواب المدينة وادخلوا منه قبعة جيشهم وكان ذلك على حين غفلة من اهلها فوجدوا الانابايتست غير متحفظين ومع ذلك تنبوا في ميدان السوق ودافعوا عن انفسهم مع الحمية التي تقوم عادة بين قح في اليأس والقنوط ولكن كان الاعداء اكثر منهم عددا فاحاطوا بهم من سائر الجهات وقتلوا معظمهم واسروا الباقي وكان من جملة الاسرى كنيبردولنغ واما بوكولد فكبلا بالسلاسل والاعلال وصاروا يملونه من مدينة الى اخرى لينظره الخاص والعام حتى ذاق العذاب الاليم ومع ذلك يظهر عليه فتور وحمية ولا تذلل نفس ولم يتحول عن مذهبه بل مازال يعضده مع الحمية والاثبات التام ثم اعادوه الى مدينة مونستر التي هي منشأ استعلائه وحمل ضلالاته وقتلوه بعد أن اذاقوه من العذاب ما لا يزيد عليه فيجسد انشائه في الجسد وظهر صبر الرجال وعزم الابطال وهذا الرجل العجيب الذي اوقع الهيبة في قلوب اتباعه وحدث قسنة كان يحشى منها على التروع البشري لم يكن له من العمر الا ست وعشرون سنة او دون ذلك

وزالت ملكة الانابايتست بزوال ملكتهم الآن اصولهم كانت قد تمكنت في ملكة البلاد الواطية فلم ير لها مذهبهم الى الآن وهو المسي بمذهب المانويت ومن الغريب أن هذا المذهب بعد أن كان في مبداء امره مهولا وقولت منه قن واضطرابات حسنت اخلاق المتسكنين به وصاروا يميلون الى الصلح والراحة ويتقرون من مفك الدماء فهم الآن يرون الحرب والتصدي للخدم المدينة من الماسم الكبيرة ويفعلون ما يجب على كل انسان اصلحه اخوانه ووطنه فكأنهم باجتماعهم في الصنائع والمحال البر والرفقة بعباد الله التي هم عليها الآن يريدون جبر ما فرط من املافتهم الانابايتست مما يضر بالجمعية ومنهم من استوطن بانكثرة وحافظ فيها على رسوم آباءه وعوائد اخلافه في شأن التعميد من غير أن يكون ذلك مشوبا بما يحل راحة الجمعية من

سنة ١٠٣٥

مطلب
 اعمال عصبة شمال الكالد
 وبيان شوكتها

الحجة الجاهلية والغير الدينية
 ومع أن عصيان الأنايطيت كان مطمح نظر الناس كافة لم يشتغل به امراء
 المانيا حتى الاشتغال حتى يمنعهم عن الالتفات الى مصالحهم السياسية
 فقد ظهر في اثناء ذلك نتائج المعاهدة المنعقدة سرا بمدينة شمال الكالد بينهم
 وبين ملك فرنسا وذلك أن الدوق اولريق حاكم دوقية وريمبرغ كان
 قنطرده رعيته سنة ١٠١٩ بعد أن خرجوا عن طاعته لاجتماعهم فتغلبت
 عائلة الاوستريا على هذه الدوقية ثم لم طال مدة نصبه نسبت ذنوبه لانها
 انما كانت ناشئة عن عدم الحرية لأنه كان ظالما بالاطيع فرق جميع الناس
 لحاله لاسيما امير هيسه لانه كان من اقرب الناس اليه فاعانه اتم الاعانة وبذل
 وسعه في رد مالي تلك الدوقية التي ورثها عن ابيه وكان ملك الرومانيين يأبى ذلك
 ولا يسلم في هذا الاقليم العظيم الذي اكتسبته عائلته بدون مشقة ولا تعب وكان
 امير هيسه ضعيف الشوكه لا يمكنه اخذ الدوقية المذكورة بطريق القهر
 والغلبة فغاطب في شأتهام ملك فرنسا وكان هذا الملك يترقب في هيسه تعيينه
 على نوربطا عائلة الاوستريا فخرج حين عرضت عليه هذه القضية حيث
 ان الغرض منها تجريد تلك العائلة عن ارض كانت تكتسبها الشوكه في جزء
 من المانيا بعيد عن بقية دولها فتوى قلب امير هيسه وألح عليه أن يشهر
 السلاح وأتمه سرًا بمبلغ عظيم من الاموال فجمع هذا الامير جنودا وسلاحهم
 فورا الى دوقية وريمبرغ وهجم على طائفة عظيمة من عساكر الاوستريا
 كانت مأمورة بحراسة هذه الدوقية فابادها وشتت شملها وبادر جميع الرعايا
 بقبول الدوق اولريق لانه الاحق بها وفرحوا به ككل الفرح وسلموه
 زمام بلادهم ولم يزل حكمها في ذريته الى الآن ومن يومئذ دخل دين المعتزلة
 في تلك البلاد

خلق فردرند ملك الرومانيين من ذلك غيظ عظيم الا أنه لم يتجاسر على
 الاغارة على امير كانت بلاد المعتزلة من المانيا مستعدة لتأييده وتعضيده
 فاستصوب أن يعقد مشاركة في محفل عام يعترف فيها بحقوق اولريق في دوقية

سنة ١٥٣٥

ويرتفع ولما رأى نجاح امير هيمه في اعانه لهذا الدوق رأى أنه يلزمه أن يتجنب ما يوجب الشقاق بينه وبين عصبه سجال كالد فاخذ يتداول مع الامير منتخب سكس وكان رئيس هذه العصبه ورخص للمعتزلة في بعض امور دينية فامكنه بذلك أن يستميل هذا الامير وغيره من الامراء المتعاهدين حتى اقتروه على غلبه على الرومانيين ولكن لاجل منع مثل هذا الانتخاب الخائف للاصول فاجتهد وقع الاتفاق على انه من الآن فصاعدا لا يقد احد منصب الملوكية على الرومانيين الا باجماع المنتخبين ورضائهم واقتر الامبراطور هذا للاتفاق بعد ذلك بمدة طويلة

ولما رأى ديوان رومة أن ملك الرومانيين يراعى حزب المعتزلة ويرخص لهم في اشياء دينية ليستعمل بذلك قلوبهم اغتاط غيظا شديدا وكان البابا بولس الثالث غير مصمم كسلفه البابا كليمان على عدم الرضا بعقد مشورة قسيسية عامة بل وعد في اول مجلس انعقد بعد توليته منصب البابا أن يجمع تلك المشورة للقسيسية إلى أن كان جميع التصاري يودون انعقادها ولكن كان مغتاضا مثل كليمان من النسخ الواقع في الدين ببلاد المانيا فكان لا يقبل شيئا مما يعرض عليه في شأن تحسين مذهب الكنيسة وازالة مفاسد ديوان رومة ومظالمه وانما كان يرى أن البابا كليمان انما استوجب لوم الناس بعدم رضائه بعقد المشورة القسيسية العامة فامل هو أن يسلم من هذا اللوم اذا طلب انعقادها بنفسه خصوصا وكان يرى أنه لا بد أن يحصل توقف في تعيين زمان هذه الجمعية ومكانها وفي الذوات الذين يكون لهم الحق في حضورها وفي كيفية المذاكرة فيها وهذا كاف في خيبة آمال من كانوا يطلبون انعقادها وفي عدم توجه اللوم اليه اذا هو لم يرض بعقدها فبعث رسلا إلى سائر دواوين اوربا ليخبرهم بمرامه ويضهمهم أنه قد عين مدينة مانتوه لعقد الجمعية القسيسية فحصل ما كان يراه من التوقف من عدة وجوه وذلك أن ملك فرنسا لم يستحسن عقد هذه المدينة متعللا بأن كلام البابا والامبراطور تكون يكتنه اشتقاقا من كلمة غيرهما لان هذه المدينة في بلادهما وواقعه على ذلك ملك

مطلب
تعيين بولس الثالث
مدينة مانتوه لعقد
الجمعية القسيسية
العامة

سنة ١٥٥٥

١٢ شهر كانون الاول

انكسرت وزاد انه لا يقر تلك الجمعية اذ اهي انعقدت باسم البابا و امره و اما معتزلة
المانجا فاجتمعوا ثانيا بمدينة سمالكاد و اهلوا في طلب ما كانوا يطلبوه
اولا و اسدعوه ان تعقد الجمعية ببلاد المانيا معتدين على وعد الامبراطور
لهم بذلك و على ما اخذ عليه من الميثاق في مشورة الديانة التي انعقدت
بمدينة رانسبون و ابدوا انهم اذا انعقدت بمدينة ماتوه تكون ملغاة
لا يعمل بها ولا تكون نائية عن الكنيسة حق النيابة فترتب على هذا الاختلاف
فتح ابواب الدسائس و المداولات حتى حق البابا ان يفترض بضاح حيلته حيث انه
بينما كان يظهر الرغبة في عقد تلك الجمعية كان يبذل جهده في منع انعقادها
ولذا وقعت الريبة منه في قلوب المعتزلة و ضربوا اجلا لعصبة سمالكاد يبلغ
عشر سنوات وكانت هذه العصبة قوية من قبل و انضم اليها اناس كثيرون
فازدادت قوتها و عظمت شوكتها

مطلب

اغارة الامبراطور على
بلاد افريقية و حالة تلك
البلاد

وفي ذلك الزمن شرع الامبراطور في اغارته الشهيرة على افريقية لقتال اهلها
الذين كانوا ارباب صيال يقطعون طرق البصار و يعطلون مصالح التجارة و من
المعلوم ان البلاد الافريقية القارة التي على سواحل بحر سفيد و كان بها سابقا
جمهورية قرطاجة و مملكة موريتانيا و مملكة ماسيلي (الجزائر)
يونس و مراکش) تعرف الان ببلاد البربر و قد حصل لها عدة تغيرات فتغلب
عليها الرومانيون و جعلوها اقليما من جلة اقاليم امبراطوريتهم و بعد ذلك فتحها
الوندال و جعلوها مملكة مخصوصة ثم هدمها بليزر فبقيت تحت حكم
امبراطرة اليونان الى اخر القرن السابع ثم قصها العرب الذين لم يكن لاحد قدرة
على مقاومة جيوشهم و مكثت مدة و هي تحت حكم الخلفاء الا انها كانت بعيدة
عن دار اقامتهم فتقوى بذلك عزم المغاربة و هم اهلها المتأصلون و هموا
بالاستقلال و الخروج عن طاعة الخلفاء و من المعلوم ان احترام الناس للسلطان
و السلاطين اتما منشأ امتثال الاوامر الدينية و هذا يعين على الترشع لا على
حفظ ما فتح فلما قام عليهم اهل المغرب اضطروا الى التغاضي عنهم حيث لم يكن
لهم اقتدار على قمعهم و ادخالهم تحت الطاعة و من يومئذ انقسمت بلاد البربر

الى عدة مما لك كان اعظمها حراكش والجزائر وتونس وكان سكان هذه
الممالك اخلاطا من العرب والفرج الذين كانوا يأتون من الاقاليم الجنوبية
ومن المغاربة المتأصلين بافرقة او المطرودين من اسبانيا وكانوا جميعها
متسكنين بدين الاسلام ويغضون النصارى بغضا شديدا لشدة اخلاقهم
وفراط حبيبتهم

مطلب

منشاء دول بلاد البربر

واذا وقع الكلام مؤرخي الرومانيين رأينا أن هذه الامة الجاسرة الخاسنة لم تدم
على حالة واحدة بل وقع بينها فتن كثيرة وحصل في حكوامتها تغيرات جمة
غير أن هذه التغيرات لما كانت محصورة في داخل بلاد متبررة خبت عليها
عناكب النسيان قل من يعرفها وليست جديرة بالذكر والاشتهار ولكن
حصل في اثناء القرن السادس عشر تغيير عظيم صارت به دخول بلاد البربر
مخوفة على الافرج وصار تاريخها حريا بالانقضاء ليهوال اطلاع عليه
وقد احدث هذا التغيير العظيم جماعة من رعاع الناس لا يتوهم فيهم فعل مثل
هذا الامر الجسيم وذلك أن رجلين كان ابوهما يصنع التفار يقال لاحدهما
هوروق والثاني خير الدين وكانا يجعلان من الجسارة والمخاطرة بغيرهما
ذلك الى أن تركا صنعة ابيهما واتخذوا صنعة الملاحة وانصبا الى طائفة من ارباب
الصيال قطاع البحر فعما قليل صار لهما صيت وشهرة بالشجاعة والمهارة وذلك
انهما اغتصبا سفينة صغيرة وصارا يجوبان بها البحر وينهبان ما يصاد فهما وحصل
لهما نجاح عظيم حتى جمعا دونهما مركبة من اثني عشر غرابا وعدة سفن اخرى
اصغر منها وكان اكبرهما هوروق وكان لقبه ببربروس اي ذا اللببة
الشقرة لان لبنته كانت كذلك وكان قبودان باشا على هذه الدونما وكان اخوه
خير الدين هو القبودان الثاني ولكن كان مثل اخيه في تفوذ الكلمة تقريرا
فلقبا انفسهما باجباب البحر واعداه من يسافر على ظهره وعمل قليل اشترا
وصار يخشى من ذكر اسمائهما من بوغاز الدردايل الى بوغاز جيل الطارق
وكان كلما قويت شوكتهما وعظمت شهرتهما ازداد طمعهما واتسعت دائرة
مقاصدهما حتى حياهما لختهما من معرفة الصيال بما ابدياه من المعارف الجسيمة

مشروع هوروق

واخيه خير الدين

الملقب كل منهما بذي
اللبية الشقرة

سنة ١٥٣٥

والمقاصد الجليلية العظيمة التي لو كانت في فائق رقي بها ذري الشرف والفخار وكانا
في القالب يذهبان الى مينات بلاد البربر بما ينهبانه من الاموال والامتنعة
من سواجل إيطاليا واسبانيا فحصل لاهل بلاد البربر ثروة عظيمة من
ذلك حيث كانوا يشترونه مئتما ومن ملاحيم ما بن بجس فلذا كان لهما عندهم
حظوة وقبول ايما توجهها وكانت هذه المينات لطيفة الوضع لقربها من دول
النصارى الكبيرة التي كانت يومئذ مشغولة بالتجارة فغفل يال هذين للاخوين
أن يجدوا نزلة في تلك الاقطار وعما قليل لاحت لهما فرصة تغنيهما على تضييع
هذا الغرض فاتهزاها ولم يضيعا عمرتها وذلك أن اوتى ملك الجزائر كان عندهم
عذمة مرات بالتغلب على قلعة كان يشاها الاسبانول حكام اوران قرياهن
مدينة اوران وكانت دارا قاطنتهم فلم يضح فياهم به ولم يمكنه التغلب على تلك
القلعة فلعدم تبصره شتعتان بذى اليمة الشقراء لانه كان عنداهل افرقية
معدودا من الابطال ظبي هوروق دعوته واقام اخاه خير الدين مقامه على الدونما
وتوجه بخمسة آلاف من الرجال الى بلاد الجزائر فقتلناه اهلها وابلقوا في اكرامه
كانه منقذ بلادهم وتغلب على مدينة اوران وذلك أنه لما رأى أن المغاربة
لا يظنون به سوء اوراى أن عساكرهم قليلة لا اسلحة فلا يقدررون على مقاومة
عساكره الذين غمزوا على الحرب منذ مدة مستطيلة ذبح سر الملك الذي استعان
به ووثق على بلاده ثم اخذ يبحث عما يكون به تأييده وتمكينه فيها فاسلك مسلكا
يلام طباع اهلها وعوايدهم فكان يكافى احرابه وانصاره الذين كانوا يعينونه
على التمكن من الملوكية بالعطايا الجزيلة التي رجماعت من باب الاسراف
والتبذير وكان فاسيا جبارا على من كان يخشى منهم ولم يكف بهذه المملكة بل
هجم على ملك تلمسان وكان بجواره فاخذ منه مملكته وضعها الى مملكة
الجزائر ولم يزل ينهب سواحل إيطاليا واسبانيا ومعه دونما عظيمة كان
من رآها ينظر أنهم هادون فماتت من عظماء الملوك لاسفن بعض ارباب الصيال
وبالجملة فكان نهب هؤلاء الناس قد تجاوز الحدود حتى ان شراكمان مجرد
تقلده منصب الامبراطورية بعث الى ملتهم قوما ريس محافظ اوران

سنة ١٥١٦

مطلب

تغلب هوروق

بربر ورس على بلاد
الجزائر

طائفة كافية من العساكر وامره بالهجوم على هوروق قبادر
بالامثال واعانه على ذلك ملك تلسان وكان قد طرده هوروق من
ملكته وقد ابدى هذا الضابط العجب العجاب حيث هزم جند هوروق
في عدة وقائع وحصر هوروق نفسه في مدينة تلسان فدافع عن نفسه
حق المداخلة ثم فاجاه الاعداء واتخذوا عليه وكان يريد الفرار من تلك المدينة
فتلقاهم بقوة قلب وثبات جنان وما زال يدافعهم بشجاعة غريبة جديرة
بالشهر والوقائع العجيبة حتى قتل

وبعد موته تولى اخوه خير الدين حكومة بلاد انجرا وكان ايضا يلقب
بربروس ولما تولى على هذه المملكة سلك مسلك اخيه في الطمع والمعارف
الا انه كان اوفر حظا منه فلم يقع في ايامه ما وقع في ايام اخيه من الاضطراب
والتعكير بحرب الاسبانيول لانهم كانوا وقتئذ مشغولين بقتال الفرنج فامكنه
بذلك ان يرتب امر السياسة والضبط والربط في داخل بلاده ترتيبا غريبا واستمر
على الاغارة والصيد في البحر مع العزم الزائد والقوة الشامة ووسع فتوحاته
في الاراضي القارة من افرقة لكن كان يرى ان المغاربة والعرب يفضون
حكمه ولا يتقادون اليه الاقهر عنهم وكان يحشى أن صياله يفضي به
الى الحرب مع النصارى فادخل دوله تحت حماية سلطان العثمانية فامده هذا
السلطان بطائفة عظيمة من العساكر حتى يكون بها في أمن من قيام رعيته
وهجوم الاجانب عليه وصارت شهرته فيما بعد آخذة في الزيادة كل يوم حتى طلبه
السلطان سليمان ليجعله قبادرا على الدونجاء العثمانية لانه لشجاعته وكثرة
تجاربه كان جديرا بان يعقد لمقاومة الامير اندرودورية الذي كان اعظم
اهل عصره في الملاحة والصناعة البحرية فخرج بربروس بهذا الامتياز
وسافر الى القسطنطينية وكان لين العريكة فعرف لمن يجمع بين المداخلة ارباب
الدواوين وجسار ارباب الصيال فخدع السلطان وصا في وزيره حتى استمال
قلوبهم وصارت له الخلوة العظمى لديمها فركا اليه ووثقاه واخبرهما بأمر
كان عازما عليه وهو أن يغلب على بلاد تونس وكانت يومئذ اجي بلاد ساحل

مطلب
تقدم خير الدين
ولمحا

سنة ١٥٣٥

مطلب
شروعه في فتح بلاد
تونس
محمود
الملك الميمون

أفريقية وأكثرها جمجمة ووروثا فاستحسن ذلك كل من الوزير والسلطان وأعطياه
جميع ما طلب لأجل تمييز هذا الغرض
وكان خير الدين يؤمل الصباح في هذا المشروع لما كان حاصلا وقتئذ من الفتنة
والحروب الداخلية ببلاد تونس وذلك أنه كان بها حيقن ملك يسمى محمدا
وكان له عدة نساء فرزق منهن بأربعة وثلاثين ولدا وجعل أحد أولاده المسمى
بمولاي حسن ولي عهده وكان من أصغرهم ولم يخصه بذلك لئلا يكون له أكثر
أخوته معرفة بل لأنه كان لأمه موقع عند أبيه لاسيما وكان قد طعن في السن
فبدأ حسن المذكيور بسم أبيه حتى لا يعدل عنه إلى غيره من أخوته ثم قتل
من وقع تحت يده من أخوته وهذه عادة جارية في جميع البلدان التي يجوز فيها
تعدد الزوجات إذ لم تكن الخلقة معينة بالتسلسل في عصبة من العصابات
وسكان من كبار أولاده أمير يسمى بالرشيد فساعدته المقادير على الخيانة
من أخيه مولاي حسن والتجأ عند عرب البادية فأعانه بعض مشايخهم
وهجم عدة مرات ليستولي على كرسي أبيه لأنه حقه حيث كان من أكبر أولاده
ولكن لم ينجح في ذلك وحيث أن عرب البادية لا يثبتون على حال واحد فخلوا عنه
بل وصحوا على نسلجه لأخيه ليفعل فيه كيف يشاء لكنه فر إلى بلاد الجزائر
وطلب حامية الملك بربروس فلما رأى هذا الملك أنه يمكنه أن يجلب لنفسه
فوائد جليلة بأعانة هذا الأمير وثبات حقوقه تلقاه مع الترحيب والاکرام
التام وظهر له المحبة الصادقة والاحترام وكان بربروس إذ ذاك عازما على
السفر إلى القسطنطينية فاستمال الرشيد إلى الذهاب معه بعد أن وصف له
السلطان سليمان بأنه أكرم ملوك الأرض وأقول لهم شوكة وصوله ووعده
بأنه يحصل له من طرف هذا السلطان أمدادا عظيما يقيم به أعداده وينتصر به
وكان الرشيد يصدق كل ما يقال له ويسهل عليه أن يشرع في كل شيء ليأخذ
ناج أبيه ولكن بمجرد وصولهما إلى القسطنطينية أشارا الخائن بربروس على
السلطان سليمان أن يفتح مملكة تونس ويضعها إلى سلطنته ولكن يكون
ذلك باسم الرشيد حتى يسهل عليه أخذها ويعينه أنصار الرشيد وأحزابه الذين

سنة ١٥٣٥

مطلب
تجراح بربروس

بمملكة تونس فرطى السلطان سليمان بهذه الخيانة الملائمة لطبع من اخترعها وان كلف لاتليق بتمام هذا السلطان العظيم لجمع السلطان في اقرب وقت جيشا كبيرا وجهز دونفا عظيمة فلما رأى الرشيد ذلك ظن أنه قد ظفر بأعدائه وأنه عما طيل يدخل مملكته محضوا بالنصر والظفر الا أنه عند السفر قبض عليه بأمر السلطان وسجن في السراية ولم يقف له احد الى ذلك الوقت على جلية خبر واقطع بربروس الى افريقية بالدوتما وكانت تسهل على مائتين وخمسين سفينة فبعد أن خرب سواحل ابطال باظهر امام تونس واخرج عساكره الى البر واطهر أنه جاء لاثبات حقوق الرشيد وأنه قد تركه مريضا في البحر وسيحضر عن قريب وبعد أن اشاع ذلك بدأ بالهجوم والاغارة وعما قليل تغلب على قلعة غوليطه التي كانت حصنا للبعون ولم يكن قلبه عليها بمحض مهارته وسياسته بل اعانه على ذلك خيانه حاكمها وموالسته معه وكان اهل تونس قد سمعت نفوسهم من حكم المولى حسن فخرجوا عن طاعته وانضموا الى حزب اخيه الرشيد مع الحية التامة حتى اضطر حسن الى القرار ولم يمكنه لبعثته وما دهمه من الصكوب أن يأخذ معه امواله وخزائنه فتفتت ابواب المدينة حالا أمام بربروس حتى كأنه ناصر ملكهم الرشيد ومعيد حقوقه وتناجه اليه لكن لما رأى أن الرشيد لم يحضر وأن اسم السلطان سليمان هو الجاري على السنة العساكر انابوا من هذا الامر وظنوا أن ذلك حيلة وخيانه من بربروس ثم تغير الظن باليقين وظهر لهم امر بربروس وغدره فبادروا الى اخذ السلاح وقاموا عليه فكان بهم جنة واحاطوا بالقلعة وكان بربروس قد لدخل بها عساكره ولكن لتبصره في العواقب احتس قبل ذلك بما يسلم به من مثل هذه التكية فوجه اليهم نار المدافع والقرباناب وشتت شملهم مع كثرتهم اذ لم يكن فيهم ريتس ولا ضبط ولا ربط فالزمهم بالدخول تحت الطاعة وادعوا بالملوكية للسلطان سليمان واقتروا لبربروس بالنسيابة عن هذا السلطان

مطلب
ازدياد شركته

فبدأ بربروس بتحصين مملكة تونس لتدافع عن نفسها عند الحاجة

سنة ١٥٣٥

فصرف اموالا لاجة في انشاء تحصينات منتظمة بقلعة لغوليطه وجعلها
حصنا لسفنه ورساته الكبرى البحرية والخرية وبعدها ان صار ملكا على هذه
الاقطار الواسعة استمر على نهب دول النصارى وازدادت قسوته واشتد ظلمه
وصار لا يقدر احد على معارضة لارتياد شوكتهم وصولته فكان يأتي
الى الامبراطور كل يوم من رعاياه الاسبانىولى والايطالية شكاوى عديدة
من نهبه وظلمه وكان شركان اذ ذاك مطمح نظر النصارى كافة لانه كان اقوى
ملوك ذلك العصر واوفرهم حظا فكان الاخرى يمنع هذا الظلم الذى لم يسبق
منه وكان المولى حسن بعد طرده من تونس لم يجد مغيثا في ملوك الاسلام
الذين يلاذ افرقة فاستعان بالامبراطور شركان ليخلص له حقه بمن
تعدى عليه وكان الامبراطور يود ان يتخذ دوله من ظلم بربروس وتعديه
ويخلص له حقه فعزم على التصدى لهذا الغرض ليفوز بفخر انقاذ العباد من
قسوة هذا الظالم واجحافه بهم فعما قليل عقد مشاركة مع المولى حسن
وتأهب لشن الغارة على بلاد تونس وكانت قيادته للعساكر في حرب الجحار
قد اورثته عمدة الطمع في كسب الشهرة والخضار بالحرب والقتال فصمم على
الذهاب بنفسه مع الجيش المتوجه الى تونس فجمع سائر العساكر الموجودين
بحكمومتهم ليبرزهم في هذا الحرب الكبير الذى كان مطمح نظر الافرنج
كافة واتى اليه دونغا فلنكنية من مملكة البلاد الواطية وفيها طاقة كبيرة
من مشاة المانيا واماسقن نابلى وسيسيليا فنزل بها عساكر ايطاليا
واسبانيا وكان قد طال عهدهم في العسكرية واتصروا على فرنساوية
في عدة وقائع واما الامبراطور فركب البحر من فينا برسلونة ومعه نخبة
امراء اسبانيا ويكزاداتها وسرية عظيمة من العساكر جاءت اليه من بلاد
البورغاغال وكان رئيسها اخوه الامير لوز واقطع ايضا الامير اندره دوريه
بسفنه وكانت احسن سفن اوربا فلما وتسلحا كما انه كان امهر الضباط
واكثرهم نشاطا ودراية ولقد ساعد البابا على قدر جهده في نجاح هذا
المشروع الحميد وكانت طاقة مألطة بغض المسلمين بغضة شديدة فاخرجتو

مطلب

استعانة المولى حسن
بعد طرده من مملكته
بالامبراطور شركان
في ٢١ من شهر نيسان
سنة ١٥٣٥

مطلب

تجهيزات الامبراطور
لهذه الغزوة

سنة ١١٥٣٥

من عندها دونها الذي نعم وان كانت هذه الدوتما صغيرة الا انها كانت في الملقى
كبيرة نظرا لتجماعة عساكرها السوارية وكلت مينا كاخلياري التي
في سردينيا هي الملقى لجميع هؤلاء العساكر البرية والبحرية فجعل
الامير دورية قيودان باشا على الدوتما والمقرم دغواست ببر عسكر
المشاة

مطلب
نزول الإمبراطور
في افريقية

وكانت الدوتما التي على خمسمائة سفينة وكان بها من العساكر المنتظمة ما يفي
على ثلاثين الفا وسافرت من مينا كاخلياري في السادس عشر من شهر تموز
وطم يحصل لها ما يعطى سربها حتى رست أمام تونس وكان ببروس قد
بلغه خبر التجهيزات الجسيمة التي جهزها الإمبراطور فادرك الغرض منها
واستعد مع الحزم والعزم للمدافعة عن قنوطاته الجديدة واحضر رجاله الذين
كانوا منتشرين في البحر واحضر ايضا من مدينة الجزائر جميع العساكر الذين
امكنه احضارهم من غير أن يضرب بحفظ المدينة وبعض رسلا إلى سائر ملوك
افريقية من مغاربة وعرب ووصف لهم المولى حسنا بأنه كافر حيث أنه
لجحد الطمع وقصد الانتقام التجهز إلى ملك من ملوك النصارى وتحزب معه على
دمار دين الاسلام فعرف بثل هذه الخيلة أن يشترقوس هؤلاء الملوك الذين
كانت حبيبتهم الدينية بالغة الغاية فاخذوا السلاح جميعا واستعدوا لقتال
الكفار وودعهم عن بلاد الاسلام واجتمع في تونس عشرون الفا من الخيالة
وطائفة كبيرة من المشاة وقرى عليهم ببروس هذا باعظمية حتى لا تفرهمتهم
بالتأني والامهال ومع ذلك كان لا يؤمل نجاحا لان عساكره كانت خفيفة
بخلاف عساكر الإمبراطور من قرابة وخيالة فانها كانت شاكبة السلاح
فلا يمكن لعساكره مقاومتها فكان تعويله على قلعة غوليطة وعلى العساكر
العثمانية الذين كانوا معه لانهم كانوا في التسليح والضبط والربط على نسق عساكر
الافرنج فادخل في عاصمة آلاف من العساكر العثمانية وامر عليهم رجلا يقال له
مثنان وكان يهودي الاصل وكان اشجع رجال ببروس واعظمهم
في التجارب واكثرهم دراية بالوقائع والحوادث ومع ذلك حاصر الإمبراطور

مطلب
حصار قلعة غوليطة

سنة ١٥٣٥

تلك القلعة واحاط بها من سائر جهاتها وحيث كان اذالك مثل كاعلى البحر
كان لا يتقصر من معسكره شئ من الامور اللازمة بل كان عساکره يجردون
ما يشتهون حتى ان المولى حسنا لعدم تعوده على رؤية مثل ذلك في الحرب
فجذب من شوكة الایمراطور وصولته وبحضور شريكان قوى عزم عساکره
وصاروا يفخرون بسفك دمهم في هذا الحرب المحمود ويتساقون اليها فيه
انظر من المخططات لما في ذلك من مزيد الشرف والفخر وقد قسم جيشه الى
ثلاث فرق الفرق الاولى عساكر المانيا والثانية عساكر اسبانيا والثالثة
عساكر ايطاليا واقام كل فرقة في جهة من جهات القلعة وامرهم بالهجوم
عليها فجمعوا جميعا دفعة واحدة مع الحية التي تنسأ عن الغيرة المليية لدى
المسابقة هذا وقد ابدي سنان من العزم والشجاعة ما ظهر به أنه جدير
بتعويل بربروس عليه وتجدد الم حافظون ايضا على المشاق العظيمة والتعب
والنصب الذي لحقهم مدة الحصار فكانوا يخرجون غالبا من القلعة ويجمعون
على المحاصرين ويطلقون ما صنعوه وكان العرب والمغاربة يكثرون الهجوم
على معسكر الایمراطور ويفجعون عساکره ومع ذلك اتسعت شروم اسوار
القلعة من جهة البر وكانت السفن ايضا تضرب ضربا شديدا على الحصينات
المنجية من جهة البحر حتى اخذت القلعة عنوة مرة واحدة من سائر جهاتها
وبعد أن قاوم سنان الاعداء حق المقاومة قرأ الى المدينة مع من بقي
من المحافظين الذين كانوا معه في القلعة وبعد اخذ هذه القلعة استولى الایمراطور
على دونغا بربروس وكانت تلغ سبعا وثمانين سفينة كبيرة وصغيرة واستولى
ايضا على الترسانة وعلى ثلثمائة مدفع اغلبها من التوج وكانت مصفوفة على
اسوار القلعة وهذا القدير من المدافع كان عجبيا بالنظر اذ كان الوقت قيدا على
اهمية تلك القلعة وعظم شوكة بربروس وقد دخل الایمراطور في قلعة
غوليط من الشرم والتفت الى المولى حسن قائلا ها هو باب مفتوح
تدخل منه الى بلادك

مطلب
اخذ القلعة عنوة في
٢٥ من شهر تموز

سنة ١٥٣٥

جهده في محاولة التآزمدينة تونس من ايدي اعدائه وكان دأيرهذه
المدينة واسعا جدا واسوارها غير حصينة فكان لا يتحقق النجاح في المدافعة
عنها لاسيما وكان لا يتقرب سكانها ولا يعتمد عليهم بل ولا يؤمل من العرب والمغاربة
التجملد على مكابدة مشاق الحصار فعزم على الهجوم بجيشه على معسكر العدو
وكان يبلغ خمسين الفا فاصدبت الامر او عليه بهذه الواقعة وعرض ذلك
على كبار ضباطه وكان في القلعة عشرة آلاف من اسرى النصارى فاخبر بضابطه
أن بقاء هؤلاء الاسرى في القلعة يقضى بها الى الخطر لانهم وجماعصوامدة
ضيفة العساكروسلوا القلعة لاهل ملتهم من الاحتراس اللذم عدم الرأفة بهم
وقتلهم قبل سفر العساكر وخروجهم من المدينة فاستحسن منه الضباط امر
الهجوم على العدو والانه مع قوة قلوبهم وشدة قسوتهم لتعودهم على القتل
والذبح بالصيال وقطع الطرق داخلهم الفزع والربح حين عرض عليهم
بربروس ذبح عشرة آلاف نفس دفعة واحدة فلم يوافقوه على هذا الرأي
فرضى بربروس بالاستبقاء عليهم خوفا من غضب الضباط بالمرودة بشرية
اورأفة انسانية قامت به

وكان الایمراطور في اثناء ذلك متوجها بجيشه الى مدينة تونس وطلق
عساكره من النصب والتعب ما لا مزيد عليه حيث كانوا يمشون على رمال
محرقة والشمس تبطع رؤسهم ولا يجيدون ماء يلاون به صدامهم ومع ذلك وصلوا
الى اعدائهم في مدة قليلة فلما رأى العرب والمغاربة أن جيشهم أكثر عددا من
جيش النصارى قوى عزمهم وجلوا عليهم جملة واحدة وهم يرفعون اصواتهم
بالتلليل لکن لعدم درايتهم بالعسكرية وقلة ضبطهم وربطهم لم يمكنهم
أن يثبتوا أمام عساكر الایمراطور لحسن انتظامهم وترتيبهم ومع حزم بربروس
وما بذله من الجهد في جمع جيشه والثناء صفوفه والقطاعة بنفسه الى الاخطار
والاحوال حتى يقوى عزمهم ويتأسوا به بتدشملهم وانهمزوا شرهزيمة حتى
بان بربروس فزعهم الى المدينة من غير أن يشعر بذلك فلما وصل اليها
وجدتها في اسوأ حال حيث رأى بعض سكانها خارجا مع عائلاته وامنته

مطلب
هزم الایمراطور
جيش بربروس

سنة ١٥٣٥

وبعضهم مائلا الى التسليم للنصارى ووجد العساكر العثمانية متاهية للفرار
ورأى النصارى المأسورين في القلعة قد تغلبوا عليها خ أنه في مثل ذلك
الزمن كان يمكنه أن يلقي اليها ويحصن بها وذلك أن هؤلاء الاسرى لقنوطهم
وبأسهم اتهموا الفرصة بغيبة بربروس كما كان يتوقعه فجهز ما بلغهم
أن جيشه صار بعيدا عن المدينة رشوا اثنين من الحرس وكسروا السلاسل
والاغلال والسجن وطردوا عساكر الترك الذين كانوا محافظين في القلعة
ووجهوا مدافعها نحو اعداء النصارى فلما شاهد بربروس المدينة على هذه
الحالة استولى عليها الياس والقنوط وفر هاربا الى مدينة بونة (عصابة)
وهو يلوم ضباطه حيث كانت رآتهم في غير محلهما وندم كل الندم حيث قبل
قواهم ولم يقطع دابر هؤلاء الاسرى قبل خروجه من المدينة

مطلب
تسليم مدينة تونس

لم يرل الايمبراطور شرلسكان يتقدم جهة تونس وهو في فرح وسرور
من تلك النصره التي لم يقد منه فيها كثير من الرجال ولكن كان سيره مع البطي
والثأني والاحتراس اللازم لمن حل ببلاد اعدائه وكان لم يبلغه ما حصل
في المدينة حتى اتاه رسول من طرف النصارى الذين كانوا مأسورين في القلعة
واخبره بانهم قاموا وتغلبوا على القلعة وطردوا منها الاعداء واتاه ايضا رسول
من طرف المدينة معهم مفاتيحها وتضرعوا اليه أن يجمعهم من عساكره
حتى لا يضروا بسكانها ولا يفعلوا معهم امرا منكرا وينما كان الايمبراطور
مشغولا بما يعتريه من وقوع النهب والسلب في المدينة اذا اقتض عساكره
عليها على حين غفلة خوفا من أن ينزعهم من الغنيمة وصاروا ينهبون ويسلبون
ويقتلون اهلها ولا يحترمون احوالهم فلم يكن الايمبراطور حينئذ أن ينفعهم
ويردهم عن قسوتهم واجحافهم بالاهالي وصارت مدينة تونس غنيمة
للعساكر واشتدت بهم الخيبة حتى صاروا لا يراون باهلها العدة اسباب كباينتهم
لهم في الاخلاق والدين وقتل في هذا اليوم المشؤوم اكثر من ثلاثين الفاقتس
لاذنب لهم فكانوا فريسة للقسوة النصرانية واسر عشرة آلاف وجلس
المولى حسن على كرسي مملوكته والارض كالدهان من الدماء ورم القتلى

سنة ١٥٣٥

سارت لها ورعاياه يلحقونه لعنة الكفار لعمادته كان السبب في حلول تلك المصائب
ببلادهم واشتد بغض الناس له حتى رقى لحاله من كانوا سيياف في تلك المصائب
وتأسف الإمبراطور على ما حصل من عساكره اذ كان سييافا تدينس نفوسه
واطفاء بهجته ولكنه رأى في اننا ذلك ما يسليه في الجملة وهو أن عشرة الآلاف
من النصارى الذين كانوا أسوريين بالمدينة وكان فيهم عدة أشخاص
من أرباب الاعتبار والامتياز فالوه عند دخوله المدينة وقبلوا الأرض بين يديه
ودعوا له بالنصر والظفر حيث فكهم من الأسر واتقدهم من أيدي أعدائهم
الحسابة

مطلب
قولية الإمبراطور
للمولى حسن على
كرسي مملكته

وكان في الإمبراطور شرلكان بوعده للمولى حسن حيث ولاء ناسيا على
كرسي مملكته لم يغفل عما فيه مصلحة نفسه وأمن رعاياه بأذلال أرباب الصيال
من أهالي أفرقة وذلك أنه عقد مشاركة مع المولى حسن تتضمن هذه
الشروط وهي أن مملكة تونس تكون من التزامات ملك اسبانيا وتكون
تحت تبعية الإمبراطور وأن كل من كان اسيرا وقتل في دول المولى حسن
من النصارى من أي ملة كانت يخلى سبيله من غير فداء وأن رعايا الإمبراطور
يرخص لهم في التجارة في بلاد تونس وأن لا يكون عليهم حرج في التعبد
بدين النصرانية وأن تبقى قلعة غوليطة ملكا للإمبراطور وتسلم إليه كل
المنتجات المحصنة في المملكة وأن يدفع له المولى حسن كل سنة اثني عشر ألف
إيكة ولصار يف العساكر الاسبانية التي تقوم بحفظ قلعة غوليطة
وأنه لا يجتهد مشاركة ولا معاهدة بينه وبين أعداء الإمبراطور وأن يهدى
إليه كل سنة بوصف كونه من أساعه من أفراس مغربية وستمن طير الباز
* وبعد أن تم مصالح أفرقة على هذا الوجه وعاقب أرباب الصيال
واعده من الأماكن ما تلحقه إليه عساكره عند الضرورة وأخذ لسنقه مرسى
لطيف على السواحل التي كان يأتي منها أرباب الصيال لتهب دوله ركب البحر
ليعود إلى أوروبا وكان ذلك في فصل يكثر به عواصف الرياح وحلت
الأمراض بعساكره فلم يمكنه أن يقتني أثر بربروس ويتبعه حتى

١٧ من شهر ابر

يقبض عليه

سنة ١٥٣٥

مطلب
الغرض الذي حازه
الامبراطور بسبب
هذا الحرب

والظاهر أن معايرى هذه الواقعة جعلوا فاضلاها في حسن التصدي منها بحسب
الظاهر وفيما سلكه الامبراطور في تنميها من الامة والمهبة وفي نجاحه فيها
ولم يلتفتوا الى عواقبها المهمة وفوائدها الجمة حيث رقي بها الامبراطور
الى ذوى التفار والشرف وكانت اجمع الحروب التي شرع فيها الى ذلك
الوقت قتل من الامرئ عشرين الف نفس من النصارى بعضهم بالقوة وبعضهم
بالمشاركة المتعقدة بينه وبين المولى حسن واعطاهم جميعا ما يلزم لهم من
الملابس والدرهم ليرجعوا الى اوطانهم فاطنبوا بعد رجوعهم الى اوربا
في مدح الامبراطور والثناء عليه وبالغوا في وصفه بالحلم والكرم حتى صار له
موقع عظيم في قلوب الافرنج واشرفت شمس فخاره في الافاق حتى خفيت
بها نجوم غير غيره من الملوك لانهم ينموا كانوا مشغولين بمصالح انفسهم كان هو
مشغولا بالمداخلة عن النصارى كافة وبفصيل ما فيه راحة اوربا وامنها
فصار جديرا بان تكون درجته اعلى الدرجات بين ملوك الافرنج

انتهت المقالة الخامسة

* (المقالة السادسة) *

من اتحاد ملوك الزمان * بتاريخ الامبراطور شرلكان

واما الملك فرنسيس هن سو حفظه سلك مسلكا ميا يناما سلكه الامبراطور
فسادت شهرته بين اهل عصره وذلك أنه انتهز الفرصة بغيبة الامبراطور لاجل
قتال اعداء النصارى وجدد طلب حقوق في بلاد ايطاليا فاقوع بلاد
اوربا في حرب جديدة وقد اسفنت أن مشاركة كبريه لم تمنح ما كان بين
الامبراطور وفرنسيس من العداوة والبغضاء ولم تطفى نيران التفاهم والمشقاق
من بينهما وأتماسرت ظواهرها فقط لاسيما وكان الملك فرنسيس يترقب
فرصة يعيد بها الى نفسه الشهرة والاراضى التي فقدتها فكان دائما لا يفتل
عن الداولة في هذا الشأن مع ملوك اوربا وكان يبذل جهده في تقوية
الغيرة التي قامت بينفس بعض ملوك الافرنج من ازدياد شوكة الامبراطور وشدة

مطلب
اسباب حرب جديد
وقع بين الامبراطور
والملك فرنسيس

سنة ١٥٣٥

طمعه وكن يجهل في أن يودع في قلب البعض الآخر الوساوس والرعب الذي كان قائما بنفسه من الإمبراطور وكان يخاطب في هذا الشأن كثيرا من الأمراء لاسيما الأمير فرنسيس سفورس فم وان كان الإمبراطور هو الذي ولي هذا الأمير على دوقية ميلان إلا أنه كان قد شرط عليه شروطا صعبة جدا فلم يقتصر على جعله من أتباع الإمبراطورية الألمانية بل الزمه بدفع الخراج حتى يكافئه من أتباع الإمبراطور نفسه ولم ينسه بشرطه بتزويجه بنت اخت الإمبراطور الذي كان أعظم ملوك الأفرنج ملحقه من مذلة التبعية بل كانت نفسه لا تطيق ذلك حتى أنه مع ضعف شوكته وخوفه من الإمبراطور باذرا إلى قبول كلام فرنسيس حين عرض عليه أنه يريد فكه من قيد التبعية وكان فرنسيس قد بعث إليه بصدقته الأمير يكرادة من دوقية ميلان يقال له مرويل كان مقبلا إذ ذاك بمدينة باريس فسا فر هذا الأمير إلى دوقية ميلان متعللا بأنه يريد زيارة عائلته وأقاربه والواقع أن فرنسيس هو الذي أرسله إلى سفورس وكانت معه بذلك مكاتبات من طرف الملك المذكور فتنقاه سفورس على سبيل أنه رسول من طرف فرنسيس ووقع من يده الاهتمام بكتبات هذا السر وعدم افشائه ومع ذلك أدركه شيركان ولا يدري هل أخبره به أحدا أو أخذه بطريق الخدس والتغمين وعلى كل بادرا إلى تحذير سفورس وتهديده كل التهديد حتى حصل له ولوزرائه رعب شديد حط بمقامهم بين الأفرنج حيث ظهر أنهم يخشون بأس الإمبراطور وبعثه حتى عقد ذلك منهم من باب الجبن الذي يزرى بالمروءة ويدنس انعرض قبلوا وجههم في إرضاء كاطر الإمبراطور وأوقعوا المشاجرة بين مرويل وأحد ضباط الدوق سفورس وكان مرويل غير جامع لما استدعيه وعليفة الأبلية التي قلبها من الحزم والتبصر قتل الضابط الذي تشاجر معه قبض عليه حالا وأقيمت دعواه وحكم عليه بالقتل وقتل في شهر كانون الأول سنة ١٥٣٣ فاحتاط فرنسيس من قتل أبلية لان الأبلية محترمة عند سائر الأمم بل والمثل المتبرقة الحشوية وغضب لذلك غضبا شديدا إذ أن هذا الأمر

سنة ١٥٣٥ •

منقصة في حقه وترذيل لسانه فهدد سفورس ورفض شكواه الى الاميراطور
الذي هو القاعل في الحقيقة لهذه القعلة لما في ذلك من هتك حرمة حقوق
الدول وللملأ فلم يصفه الاميراطور ولا الامير سفورس فرجع شكواه الى
سائر ملوك الافرنج وايدى أن له الحق في الانتقام لنفسه في تقدير هذا الفعل
المخالف للقوانين وأنه ان لم يبادر بذلك لحقته المعرة بين الملوك والمنحط قدره

مطلب
عدم وجود نصير
لفرنسيس

وبعد أن تعلل فرنسيس بهذه العلة في اشهار الحرب الذي كان مضمماً عليه
من قبل جعل يبدل جهده في ادخال غيره من الملوك في حزبه ولكن طرأت
اذا ذلك عوارض افسدت عليه ما كان يديره وذلك انه بعد أن دنس عائلته
الملوكية بزواج ابنته لكاترينة الميديسسية قاصداً بذلك ادخال البابا
كليمان في حربه مات هذا البابا ويؤس الملك فرنسيس مما كان يؤمله من
هذا الزواج وكان البابا بولص الثالث الذي خلف كليمان يميل الى حزب
الاميراطور ولكن ظهر منه أنه معهم على التخلي عن الحزبين اذ لا يليق به اعانة
احدهما على الاخر وهو بموجب منصبه ابوالنصارى كافة فيجب عليه
الاصلاح وازالة اسباب التفافهم والشقاق من بينهم وكان ملك انكلترة مشغولاً
اذاً بمصالح دوله فجنب في هذه المرة الدخول في المشاجرات وابتى أن يعين
فرنسيس الا اذا تأسسى به في الخروج عن طاعة البابا

مطلب
مدلولته مع معتزلة
المنايا

وكان فرنسيس لا يؤمل مثل ذلك من ملك انكلترة فلما رآه ممتنعاً من اعانته
اضطر الى الاستعانة باهراء المعتزلة الذين كانوا من ارباب عصبة سمالكالد
فصار يستميل قلوبهم اليه بقلقه لهم ومدحه لغيرتهم على عقائدهم التي ذهبوا
اليها ومدافعهم عنها بما في وسعهم وانظر أنه يستصوب آراءهم في المسائل
الخلافية التي وقع فيها النزاع بينهم وبين ديوان رومة وأذن لرسوله يولي
الذي بعثه الى بلاد الملغيا أن يعرض على هؤلاء الالهراء عن لسانه رأيه
في المسائل المهمة الصعبة وأن يعرفهم بالقاط قرية من الاقاط التي عبر بها
المعتزلة وتغالى فرنسيس في المخادعة والمداينة حتى دعا مبليختون الذي
كان ممتازا بينهم بمحسن الاخلاق ولين العريكة الى الحضور بمدينة باريس

لينداكر

سنة ١٥٣٥

ليتناكرمه في شأن ما يكون به الإصلاح بين الحزبين ويرزى اسباب الشقاق
الحاصل بين الكنيسة وحزب المعتزلة وكل ذلك منه محض خداع وسياسة
وليس ناشئا عن اعتقاد واذعان باطنى لان المذاهب الجديدة وان كانت
قد اثرت تأثيرا قويا في عقل اختيه ملكة وارد ودوقة فرارة لكنهما لم تؤثر فيه
لانه كان مشغولا بالعب والالهو ومضيعا اوقاته في اللذات والشهوات كما هو
دأبه فلم يكن في اوقاته فرصة حتى يقف على حقيقة المسائل التبولوجيكية
التي كان واقعا فيها النزاع وقتئذ

ولكنه عما قيل ظهر ان ذلك منه حيلة وخداع فلم يورثه إلا المعتزلة والفضيحة
لانه سلك مسلكا مخافا لما اظهره لامراء المانيا ولكن لا يخفى أن سلوكه
هذا المسلك كان قهرا عنه اذ لم يحمله عليه الا بدع عصمه واوهام رعاياه القاسدة
وذلك انه كان بينه وبين ملك انكلترا المحكوم بكفره وطرده عن الكنيسة
التشام كالى وكانت مداولانه لا تقطع مع معتزلة المانيا وكان قد قبل رسولا
بعشه اليه السلطان سليمان فتوهم الناس فيه الضلال وقوى هذا الشك
عندهم حين صمم على الحرب مع الامبراطور الذي كان كمالا لا حيلة له فرصة
يبدل غاية جهده في المدافعة عن الدين لاسيما وكان تصممه على هذا الحرب
حين كان الامبراطور يستعد لقتال بربروس الذي كان معدودا
من الحروب المقدسة لما أن بربروس المذكور كان يهب دول النصارى
ويضربهم ويستذلهم الطرق والمساك فلاجل ازالة هذا الشك من قلوب
الناس رأى فرنسيس أنه يجب عليه ابداء براهين جليلة على صحة عقيدته
وتسكبه بدين الكنيسة وكان بعض رعاياه قد غشك بمذاهب المعتزلة وعقائدهم
فانهز تلك الفرصة واستعان بها على تفتيز مراموه من ازالة ما قام بأذهان
الناس من زيغ عقيدته وكان من اعتزل من رعاياه وضع على ابواب القصر
الملوكى المسمى لوفر وفي جميع الميادين والحال السلطانية بطاقات مكتوبا
فيها عبارات مستهجلة على هجود دين الكنيسة الرومانية ودم اصوله واحكامه فقبض
على ستة ممن كتب هذه البطاقات او كان لهم دخل فيها وقتلوا بهذه الكيفية

مطلب
سلوكه فيما يغضب
امراء ألمانيا

سنة ١٥٣٥

وهو انه لاجل منع المصائب التي كان يتوقع حلولها بالنياس لكفرهم بالقدح في الكنيسة امر فرنسيس بعمل موكب واحتفال عام وحمل القربان المقدس وطيف به في الحارات والازقة الكثيرة من المدينة وكان فرنسيس في اول الموكب مكشوف الرأس ويده شعله ناروا مرأعاً لثبته حاملون مظلة لهذا القربان وجميع الامراء واليكرزادات خلفهم مصفاة ثم صاح الملة في هذا الموكب الحافل مع الجيصة والحماس كما هو عادته عنده التكلم فقلل ان كانت احدى يدي تجسست باعتزال الكنيسة قطعها بالآخرى تطهيرها ولا اراعى من خرج عن دينها ولو كان من اولادى هذا ولاجل البرهنة على صحة ما قاله حكم بحرق السنة المقبوض عليهم فخرقوا على رؤوس الاشهاد قبل انتهاء الموكب واذا يقابل الحرق هذا باشد يد تفرومه نفوس اهل المروءة ولا يستطيع النظر اليه من به ادنى شفقة

مطلب
امتناع ارباب عصبية
سما لكالد عن الانضمام
الى حزبه

فلما بلغ ارباب عصبية سما لكالد ما صنع الملك فرنسيس مع من اعتزل من رعاياه غضبوا كل الغضب وعرفوا انه كاذب فيما اظهر لهم وأنه كيف يدافع في بلاد المانيا عن مذاهب المعتزلة وينعها في بلاده وبعاث من تملك بها من رعيته اسد العقاب فن ثم لم توتر فيهم فصاحة بيلى ولا ماسلكه معهم من الخديعة والمكر في استمالهم الى حزب سيده فرنسيس لاسباب وكان الاميراطور الى ذلك الوقت لم يفعل شيئا منكرام مع المعتزلة ولم يتعرض لمنع تقدم مذاهبهم واتساع دائرتهم بل التزم في مشورة الذبينة المنعقدة بمدينة راتسبون انه لا يؤذى من اتبع دين المعتزلة فكان من حزم هؤلاء الامراء الالمانية وسداد رأيهم انهم رأوا تغويلهم على الاميراطور ومواعيده المحققة اقرب الى الصواب من تعويلهم على مواعيد فرنسيس المنفونة البعيدة التي كان يخادعهم بها لاميما وكان تحليه عن معاهديه وحلقائه في صلح كبريه راحضافي الازدهان فلم يستطع أحد أن يثق بمحبته وكرمه ويعتمد عليه في شيء فلتلك الاسباب العديدة أي امراء المانيا أن يسعفوا فرنسيس بامداد يستعين به على الاميراطور شرلكان فلم يأذن رئيسهم الامير منتخب

سنة ١٥٢٥

سكنس للعالم ميلختون أن يسافر إلى مملكة فرنسا خوفاً من غضب
الامبراطور ومنعاً للرغبة والشك وإن كان ميلختون فرح للسفر فرحاً شديداً
لكونه دعاء إلى ذلك ملك عظيم الشوكة جليل القدر وألانه كان يرى أن حضوره
بديوان فرنسا الملك يعود بالنفع على حزب المعتزلة .

مصلحته

توجه جيش

الفرنساوية

إلى إيطاليا

ومع أن ملوك الأفرنج وامراءهم كانوا انذاك ملين خائفين وغاثرين من ازدياد شوكة
الامبراطور وبطشه لم يرض احد منهم أن يعين فرنسيس على ما كان يقصده
من منع ازدياد هذه الشوكة ونحوها ولكن مع ذلك لم يرزل فرنسيس مصمماً
على محبته ووجه جيشه إلى ضواحي إيطاليا وحيث أنه لم يشرع في الحرب
الاعتدال بما عاقبه دوق ميلان في نظيره لرسوله لما في ذلك من هتك حرمة
حقوق الدول والملل كان يظهر أن غرضه اخذ دول هذا الدوق بهذه الحجة ولكنه
حول جيشه إلى دول أخرى وذلك أن الامير كركوس حوق سابوة كان
قد تزوج باميرة البورقغال وهي الاميرة يساتريكسة اخت الامبراطور
شرلكان وكان هذا الدوق اقل امراء عائلته نشاطاً ومهارة وكانت الاميرة
المذكورة التي تزوج بها ذات معارف وعوارف فاخذت بعقل زوجها
وصارت تتصرف فيه كيف شاءت ولشجاعتها كونهما اخت الامبراطور
اولا غتارها بالامور المزخرفة التي كان يعدها بها اخوها جعلت بين الديوان
الامبراطوري وزوجها علائق وروابط بعد أن كان زوجها إلى ذلك الوقت
لم يتعرض لمعاهدة الامبراطور او فرنسيس لاسباب سياسية حيث كان يرى
بالنظر إلى وضع دوله أن تخليه عن كل منهما هو الصواب وغير ذلك يضربه وكان
ملك فرنسا يعلم أنه يخطر بنفسه اذا هو دخل بلاد إيطاليا قبل
أن تغلب على دول هذا الامير الذي كان يميل كل الميل إلى مصالح الامبراطور
حتى أنه ارسل ابنه البكرى إلى ديوان مدريد ليتربى هناك ويكون رهينة
عند الامبراطور على امانته اياه وعدم عدوله عن الحزب الامبراطوري وكان
الپاپا كليمان السابع حين تقابل مع الملك فرنسيس بمدينة مرسيلا
افهمه شدة هذا الخطر و اشار عليه أن يبدأ قبل اغارته على دوقية ميلان

سنة ١٥٣٥

مطلب

تقلب فرنسيس على
دول الامير دوق ساوية

بأخذ اقليم ساوية واقليم بيون وافهمه انه اذا تغلب على هذين الاقليمين لا يبقى هناك حاجز فصل بينه وبين ملكته مادام ميلاد ايطاليا فيسهل عليه تمييز مقاصد سوما ربه ويدون ذلك لا يتب له مرام وكان ثم عدة اسباب توجب كراهة فرنسيس لدوق ساوية منها انه كان اعطى الاميردى بوربون جميع الاموال التي جمع بها بعد عصيان العساكر الذين هزموا عساكر الفرنسيين في واقعة باويا المشؤومة فلما لاح هذه الفرصة لفرنسيس لم يخذل يظهر نغمه مما سبق من دوق ساوية وأنه ينتقم عن اساءه ولو بعد حين وكان ثم عدة اسباب بها يتراى أن ظلمه الذي عزم عليه ليس الا من باب العدل والاتصاف وذلك أن دول تملكه فرنسا واقليم ساوية كانت متصلة ببعضها بل ومتداخلة في بعضها من عدة جهات فكان ينشأ عن ذلك مشاجرات دائمة ومنازعات مستمرة في شأن حدود اراضي كل من فرنسيس ودوق ساوية وزيادة على ذلك كان لفرنسيس بواسطة ليرة اميرة ساوية حق فيما كان ينبغي لها انقسامه مع اخيه دوق ساوية المذكور من املاك ايها ولكن اراد فرنسيس أن يفي بحربه مع دوق ساوية على اسباب اخرى خالية عن الشبهة ليست كهذه الاستباب مضى عليها احقاب انست ذكرها فالتس من الدوق المذكور أن يأذن له بالمرور من اقليم بيون ليدخل دوقية ميلان وكان جازما بأن الدوق لميله الى الاميراطور لا يرضى بمروره من هذا الاقليم فيحتذ ذلك عليه في الاغارة على بلاده وتجزيمها كان مصمما عليه ولكن لم يتوقف هذا الدوق في قبول هذا الامر حسبا ذكره مؤرخو ساوية الذين هم اعلم بهذه الواقعة من مؤرخي فرنسا لانه لم يكن له قدرة على الامتناع من قبوله بدون أن يخاطر بنفسه فوعده أنه يترك جيش الفرنسيين على بلاده الى حيث شاء وبشاء على ذلك لم يبق للملك فرنسيس في الاغارة على بلاده سوى كونه يلزمه بتوفية ما يطلبه تاج فرنسا من عائلة ساوية بناء على حقوق الاميرة ليرة فلما ياته في هذا الشأن الاجواب مبهم قليل الجدوى حسبا كان قائما بنفسه فتوجه جيش الفرنسيين الى بلاد الدوق

سنة ١٥٣٥

وكان رئيس هذا الجيش الامير دويرون فهمم على دول الدوق من عدة جهات وتغلب في اسرع وقت على اقليم برية واقليم بوجي وكنا نحن نثد مضافين الى دوقية سابوة وقصت انقلب مدائن هذه الدوقية اربابها عند دنو جيش القرساوية منها والبعض الذي لم يسلم واراد المقاومة اخذ عنوة في اقرب وقت وقبل انتهاء الحرب صار للدوق مجزدا عن دوله ما عدا اقليم بيون فانبقى له فيه بعض مدائن حصينة تدافع عن نفسها

مطلبه

عود مدينة جنبورة الى حريتها

ولاجل اتمام العصية على هذا الدوق خرجت مدينة جنبورة عن طاعته وكان يزعم انها له حتى كان له سلاطة عليها من بعض الوجوه فخر عساكرها الى عصيان سائر الاراضي المحاورة لها وكانت جنبورة وقتئذ من المدائن الاميراطورية وكان يحكمها مباشرة اساقفة من اهلها تحته تبعية ودقات سابوة ومع ذلك كانت قواتها الداخلية جمهورية مخففة فكانت محكومة بوكلاء ومشورة مخصوصة اربابها يتجنبهم الاهالي فن لم حصل الشقاق فيها وافترق اهلها فرقتين مكنتا زناطويلا يتنازعا في شأن هذه المدينة الجمهورية فكانت احدهما تدافع عن حزايا الجمهورية وكانت تسمى اينوترة اي حزب المتعاهدين للمدافعة عن الحرية العامة وكانت الثانية تعضد من ابادوق سابوة وتدافع عن حزايا الاساقفة فسموها باسم ما ملوس اي الارقاء احتقار الهمم لما يدخل دين المعتزلة في هذه المدينة اودع في قلوب من تمسك به الجسارة الكبيرة والجرائم التامة التي تشاد عادة في كل قلب تعلق بهذا الدين وكان كل من الاسقف ودوق سابوة عدوا مينا للدين المعتزلة لعدة اسباب من مصالح خصوصية واوهام كاسدة ومقاصد سلبية فضيقا على الناس كل التضيق في شأن هذا الدين فغضب الاهالي من هذا التضيق وصار المعتزلة كلهم ينضمون الى حزب الاينوترة فانضمت بذلك الحمية الدينية الى حب الحرية فازداد عزم الناس وعظمت قوتهم وكبر الشقاق والتفاقم بين الحزبين وتكاثر القتل وكان الغالب في الاكثر حزب الحرية فكان يتغلب كل يوم على اراض جديدة

سنة ١٥٣٢

فايطل دوق سابوة والاسقف ما كان بينهما من المشاجرات والزراع في شأن

سنة ١٥٣٥

سنة ١٥٣٤

شوكتهم ومن اياها واجتمعوا لقتال حروب الاينوية الذي كان عدوا
لها فقاتلوه كل منهم باسلاحه اما الاسقف فحكم بكفر اهالي مدينة جنسورة
لانساعهم الذين المعتزلة ونحو جههم عن دين النصرانية مع تعذيبهم على حقوق
الاسقف واما الدوق ففهم بملهم لخروجهم عن طاعته وله حق التملك عليهم
وعزم على انه يتغلب على المدينة اقلا بالخيالة والخدمة فاذا لم ينجح اخذها
عنوة وتغلب عليها بمحض القوة ولكن احتقراها لها حكم الاسقف بملهم بالكفر
ودافعوا عن انفسهم حق المدافعة لياخذوا حريتهم ويستقلوا بانفسهم وكانوا
مع شجاعتهم قاداتهم مدد عظيم من قطر برنة لانه كان متعاهدا معهم
واعانتهم ايضا ملك فرنسا حيث ارسل اليهم ستر اموال اورجالا لانتخابات
آمال دوق ساووة ولم يظفر بجرامه من التغلب على المدينة ولم يقتصر
على دفعه عن انفسهم وطرد مبل انتهبوا فرصة عجزه عن مقاومتهم وبنوا
سكان جيش الفرنساويين شق الفارقة على بلاده تغلبوا على عدة قلاع
وحصون كانت له بجوار مدينتهم فاراحوا بذلك انفسهم من رؤية تلك الاكابر
التي كانت تذكرهم بتعيبهم لغيرهم وامنوا على حريتهم حيث ان تلك القلاع
تعينهم عند الضرورة على اعدائهم وفي اثناء ذلك حصل ان قطر برنة اغار
على بلاد وودة وتغلب عليها بناء على ما كان يزعمه من ان له الحق فيها واما قطر
فريورغ فمع تمسكه بالدين القانوني وعدم وجود مقتضى للشقاق بينه وبين
دوق ساووة اراد ان يقسم مع غيره سلب هذا الدوق فتغلب على بعض
اراضيه وبالجمله فقد تغلب كل من هذين القطرين على جزء عظيم من اراضي دوق
ساووة باق معه الى الآن فازدادت بذلك شوكته وصولته وقد صارت هذه
الاراضي الآن الطيف بلاده ومع ما فعله فيما بعد دوقات ساووة ليعيدوا
حكومتهم على مدينة جنسورة لم تزل تلك المدينة مستقلة برأسها باقية على
حريتها وبذلك صارت معتبرة ككل الاعتبارين الدول وعظمت ثروتها
حتى وصلت الى درجة جليلة كان لا يمكنها الوصول اليها لو لم تكن حرة مستقلة
بنفسها

سنة ١٥٣٥

وبينما دوق سافوا قد نزلت به تلك المصائب المتتابعة ولم يرم من يستغث به
الا الامبراطور اذ رجع شرلكان منصورا من بلاد تونس فاستصرخ به
هذا الدوق استصرخ المستغث المكروب وكان له الحق في كونه يؤمل الاغاثة
منه لان ميله الى الامبراطور و مراعاة مصالحه هو الذي اوجب له تلك المصائب
ولكن كان الامبراطور لا يمكنه أن يسعفه بالاعانة حسبا كانت تقتضيه حالته
اذ ذلك لان معظم العساكر الذين غزوا معه في بلاد افريقة كانوا مستأجرين
لهذه الواقعة بخصوصها فبجرد فراغها سرحوا وخلي سيلهم واما العساكر
الذين كانوا مع الامير انتوان دوليو فلم يكن فيهم كفاية للمدافعة
عن دوقية ميلان فلم يمكنه أن يفصل منهم فرقة ويرسلها لاعانة الدوق المذكور
وايضا كانت خزائن الامبراطور قد خمدت في المصاريف الجسيمة التي صرفها
في حرب افريقة

٢٤ شهر تشرين

الاول

مطلب

موت الامير سفورس

دوق ميلان

ولكن مات في اثناء ذلك الامير فرنسيس سفورس وكان سبب موته على
ما ذكره بعض المؤرخين انه داخله الخوف والرعب من اغارة الفرنساوية
لان اغارتهم في المزمين السابقين كانت قد اضطرت بعائلته كل الضرر فلامات
اتسع الوقت مع الامبراطور وامكنه أن يستعد للحرب بجميع لوازمه لان موت
هذا الامير كان على حين غفلة فغير موضوع المشاجرات والحرب حيث كان الملك
فرنسيس يظهر أن قصده من الحرب هو معاقبة الدوق سفورس في نظير
كونه هتك حرمة فرانسا بقتله لرسولها فبوت هذا الدوق زالت تلك العلة
وكان الملك فرنسيس قد تغلغل عن حقه في هذه الدوقية للدوق سفورس
وذريته وحيث ان سفورس مات ولم يعقب ذرية كان مرجع هذا الحق
الى صاحبه وهو ملك فرانسا الذي كان غرضه الاصل من الحرب هو التغلب
على دوقية ميلان فلذا طلبها بجمود موت سفورس ولو كان حين طلب
حقه ايد ذلك بتوجيه جيشه الجزا الذي كان مقبيا في ساوة الى دوقية
ميلان لتغلب عليها مع السهولة وقا بزجره الا انه كان كطاطعن في السن
قل عزمه وتترت همته لان ما حل به سابقا من المصائب كان مرسوما في ذهنه

لا يبرح عن فكره فكان تذكار ذلك يفضي به أحيانا إلى الترتيب والخنول فعوضا
عن إثبات حقه في دوقية ميلان بطريق القهر والغلبة اقتصر على المداولات
ومكثت المكاتبات بينه وبين الإمبراطور مدة طويلة فتشأ عن هذا الخنول
الذي يتولد عادة من الخوف ويضر بصاحبه في المصالح الجسيمة أن فرنسيس
غفل عن انتهاز تلك الفرصة التي كانت تعينه على الاعانة على اخذ دوقية
ميلان فوضع الإمبراطور شرلكان يده على هذه الدوقية بوصفت كونه
سيدها عليها وهي تابعة له بقبضة الالتزامات التابعة للإمبراطورية حيث إن له
الحق في وضع يده عليها متى خلت عن المالك وبينما كان فرنسيس يضع أوقاته
في تأييد حقوقه بالبراهين والأدلة وينذل جهده في استمالة الدول الإيطالية
إليه حتى لا تنزع منه إذا حكم ثانيا في إيطاليا كان الإمبراطور شرلكان
يحترم سرا بكل ما يلزم ليفسد عليه آماله ويحجب سعيه واهتم باخفا مقاصده
حتى لا يعلم أعداؤه ما في ضميره من مبدأ الأمر فكان يظهر أنه يقر ويعترف بعصمة
ما يقوله ملك فرنسا وانما هو متخير في كيفية رد دوقية ميلان إليه بدون
تعكير على بلاد أوروبا وعدم اختلال ميزان التعادل الموجود بين دول
إيطاليا لاسيما وكان أرباب السياسة في هذه الدول يحافظون على إبقاء
هذا التعادل بين دولهم فبهذه الخيل خدع الملك فرنسيس وسائر ملوك
الأفرنج حتى اتسع معه الوقت وامكنه أن يحدث مشكلات جديدة شغلت
أعداءه والاهتم عنه من غير أن يظهر عليه أدنى شيء يوجب الوسوسة
في صدور الناس فكان تارة يعرض أن تعطي دوقية ميلان للامير دوق
دورليان ثانيا أولاد الملك فرنسيس واخرى يعرض أن تعطي للامير
دوق دافنغوليم ثالث أبناء الملك المذكور وحيث كان في ديوان فرنسا خلاف
فحين يتولى حكم الدوقية اتخذ كورة من هذين الاميرين صار الإمبراطور تارة
يختار الأول وتارة يختار الثاني وكان ذلك مع المحادعة التامة والمكر في اخفاء
ما يضميره حتى ظهر أن الملك فرنسيس ووزرائه لم يدركوا مقاصده الحقيقية وظهر
بأيقاف الحرب من ملك فرنسا أنه خطر ياله أن لا شيء يمنع من وضع يده

سنة ١٥٣٦

مطلب
تأهب الإمبراطور
للحرب

على الدوقية منذ كثره
وكان الإمبراطور في أثناء هذا الزمن الذي شاغل فيه أعداءه يستعد للحرب
ويجهز مواده ومهماتَه ولم يرَ ليعمل على دول سبيليا ونابلي حتى أمده
بإمدادات عظيمة لم يسبق مثلها إلى ذلك العصر وذلك أنه لما شرَفهم بحلول ركبته
الساحي يلاذهم بعد رجوعه من بلاد تونس منصورا مؤيدا أرادوا
أن يظهرُوا إمامه بالكرم والسخاء فعمدوا هذه الإمدادات الجسيمة التي
أمكنه بها أن يجمع صاكره القديمة وأن يجمع من بلاد المانيا طاقة أخرى
حيث استعد بكل ما يلزم لتجهيز أغراضه التي كان مصمما عليها وكان الأمير بيلي
البعوث من مملكة فرانسا حاضرا إذ ذاك يلاذ المانيا فعرف القصد
من جمع العساكر ولم يخدعه ما ظهره أهل المانيا من الخيل في إلهام
الأمير عليه فكتب لسيده فرنسيس صورة الواقعة وأخبره أن ذلك يدل
على عدم صدق الإمبراطور فيما يقول ومثل هذه النصيحة كان حقها أن تنبه
لملك فرنسيس من غفلته لكنه كان إذ ذاك المولعا بالمداوات والمكاتبات
وكان خصمه أهر منه في هذا المجال فعوضا عن أن يشرع في الحرب مع عزمه
المعتاد ويتغلب على دوقية ميلان قبل اجتماع الجيش الإمبراطوري أكتفى
بعرض أمور جديدة على الإمبراطور ليعطيه هذه الدوقية بمحض إرادته
وكانت فائدة تلك الأمور عائدة على الإمبراطور وكانت عظيمة الحدود بحيث
لو كانت طوية الإمبراطور خالصة لما استنع من قبولها إلا أنه لما كان مضرا
خلاف ما يظهر وكانت لها رِب أخرى حاول في قبول هذه الأمور تلا
أنه لا يمكنه أن يبت شيئا في هذا الشأن إلا إذا أكرمه مع البابا حيث إن ذلك
يتوقف عليه أمن بلاد إيطاليا وطمأنتها وبهذه الحيلة اتسع معه الوقت
بالكلية حتى أمعن النظر وتمكن من تضييع أغراضه التي كان مصمما عليها
وعرف عواقبها ومسيباتها وما يترتب عليها

٦ من شهر نيسان

وبعد ذلك توجه الإمبراطور إلى مدينة رومة فدخلها في موكب عظيم
واحتفال عام وحصلت حينئذ حادثة واهية ذكرها بعض المؤرخين وجعلوها

لغنائهم علامة على ما وقع بعده من الحرب الممهل وهي أن اللازقة لم تلت ضيقة
لا يمكن أن يتر منها موكب الايمراطور وكان هنالك هيكل مهذوم يقال له هيكل
الصلح فلاجل توسيع الازقة لمرور الموكب لزم رفع اطلال هذا الهيكل واتقاضه
هذا والواقع أن الايمراطور كان قد رفض علائق الصلح فلما جمع امره
اظهر ما كان يضره مدة طويلة في شأن ديوان فرانس وبين حقيقة ما ربه
على وجهه واضح لا يقبل الريب وذلك أن رسل فرانس طلبوا منه جوابا
بتباعد عارضه عليه سيدهم الملك فرنسيس لينال منه حكومة دوقية
ميلان فوعدهم الايمراطور بالاجابة الى غد بحضور البابا والكردينالات
فاجتمع في اليوم الثاني البابا والكردينالات في الديوان ودعيت
رسل الملل الاجنبية الى الحضور ثم قام الايمراطور ووجه خطابه للبابا
واطال الكلام المؤذن بحيله الى ابقاء الصلح والراحة بين الملل التصراية وبغضه
للغرب وما يترتب عليه من الاحوال والمصائب وحكى في هذا الشأن كلاما
طويلا كان قد استحضره من قبل واعتنى بحفظه فذكر أن مساعيه في شأن الصلح
وابقاء الراحة في اوربا قد افسدها عليه الا أن طمع ملك فرانس وظهور
تعديه وانه قبل أن يبلغ سن الرشد قد فعل هذا الملك معه ما يدل على بغضه له
ويشعر بمقاصده المضرّة به حتى انه فيما بعد قد ظهرت هذما لمقاصد حق الظهور
حيث سعى في حرمانه من التاج الايمراطوري مع انه حقه وحق آباءه من قبله
وانه منذ قليل اتخاها على مملكة نوار ولم يكتف بهذه المظالم بل هجم
على اراضيه واراضى حلفائه التي يبلاد ايطاليا ومملكة البلاد الواطية
وبعد أن حصل التأييد من القدير العتي عز وجل واتصرت عساكره على جيش
الفرنساوية واسر الملك فرنسيس في واقعة شهيرة لم يرجع هذا الملك عن تلك
المقاصد المتبادلة لتعائر العدل والانصاف بل لما عجز ورأى قواه قد ضعفت وبادت
جعل يسلك مسلك الخسار والغش ولم يلتفت الى شيء من البنود المقررة
في مشاركة مدبره التي كانت مبني خلاصه من الاسر وتخليه سبيله
فانه بمجرد دخوله في مملكته جعل يستعد للحرب مع أن هذه المشاورة

مطلب
انتقاده على فرنسيس

انما اعتقدت لابطال الحرب والنزاع فهزمت عساكره ايضا واضطر الى طلب
الصلح وانعتدت مشاورة اخرى بمدينة كبرى لكن نلت طويته لم يعقدتها
الا وهو مصمم على قضاها وعدم العمل بمقتضاها حيث انه بعد انعقادها بقليل
تعاهد مع المعتزلة من امراء المانيا وحرضهم على القيام والعصيان ليضيقوا
راحة الإمبراطور به ويوقعوها في الاختلال والفتن والاهوال والمحن وعما قيل
انما اراد على موكب ساوتز وطرده من معظم بلاده مع أنه كان متعلها
مع الإمبراطور ومتزوجا باخته فينبه ما علاقة المصاهرة والمعاهدة فذل هذه
لفظا لم العديدة والاسباب الاكيدة الموجبة للشقاق والتفاقم لا يمكن معها
حصول الالتئام والتوافق وزاد الإمبراطور على ذلك انه وان كان يميل الى اعطاء
دوقية ميلان للملك فرنسيس الا ان الظاهر انه كان لا يمكنه ذلك
لان فرنسيس لا يرضى بقبول الشروط اللازمة حتى لا يضر ذلك براحة
بلاد اوربا ولان الإمبراطور لا يرى من الصواب أن يعطيه هذه الدوقية
من غير أن يلزمه بالشروط والاحتراسات اللازمة حتى لا ينشأ عن استيلائه
عليها ما يضر بالملّة النصرانية ومع ذلك لا ينبغي لنا أن نسفك دماء رعايانا
وانما اتهم خصومتنا قتال خصوصي بيني وبينه في ميدان حرب وله أن يختار
ما شاء من انواع الاسلحة ويقضى الله ما يريد ويكون قتالنا في جزيرة
او على قنطرة اوسقينة مربوطة على نهر او غير ذلك وتبقى دوقية بورغونيا
مرهونة عندي من طرفه ويرهن عنده من طرفي دوقية ميلان ومن غلب
منائب له الرهن الذي تحت يده وبعد ذلك فجمع عساكر المانيا واسبانيا
وفرانسا لترغم ان الدولة العثمانية ونهق الاعتزال وجمعوا آثامه من بين الملل
النصرانية فان امتنع فرنسيس من تميم الخصومة على هذا الوجه واني
الا الحرب فلا شيء يمنعني حينئذ عن التغالي فيه حتى يصير احدا اقترابا
مملكته ولا أخشى أن اكون انا المغلوب بل ادخل في الحرب بقلب سليم لا يفرغ
وأمل النصر والنجاح بل واجزم به وانيقنه كيف لا والحق معي ولما يورثني
دهو التثام ريعي وكثرة جنودي وشجعانهم وامانة رؤساء عساكرى وكثرة

مطلب
دعاء الإمبراطور الملك
فرنسيس الى مقابلة
خصوصية

(المقالة السادسة)

اتحاق ملول الزمان

سنة ١٥٣٦

تجارهم وامامك فرانساً فليس له شيء من ذلك فلم تكن وسائلي اكثر
من وسائله ولم يكن رجائي في النصر مؤسسا على اسباب اقوى واككد من
اسبابه لذهبت اليه حالا مغلول اليدين والعنق ووقعت على اقدامه وطلبت
منه العفو والسراح

وقد خطب الاميراطور هذه الخطبة الطويلة بعلو صوته مع الحمية والجماسة
على وجه يؤذن بالامارة والشهيم وكان الرسل الفرنسية لا يفهمون جميع
معاني ما احتوت عليه هذه الخطبة لانه قالها باللغة الاسبانيولية فقصر او كل
التعريض حيث كانوا لا يعرفون ما يجيبون به عن هذه المسبة الظاهرة التي لم تكن
تخطر لهم ببال واراد احدهم أن يتكلم ليرى سيده من ذلك فاسكتته
الاميراطور باعلاطه عليه ولم يأذن له بالكلام واما البابا فلم يتعرض له بشيء
واتمما اوصى بالصليح وأوجز في العبارة مع الحمية والجماسة قائلا ما بذل جميع وسعي
في ايقاع الصليح بين الملل النصرانية حتى لا يقل نظامهم ويحتل حالهم ثم انقضى
الجلس وقام اربابه وهم في غاية الحب من قول الاميراطور ولاشك
أن الاميراطور في هذه المرة قد تجاوز عادته وعدل عن سنن طباعه حيث كانت
عادته أن يتفكر في العواقب ويسلك سبيل الحزم والتبصر ويراعى مكارم
الاخلاق وشعار الادب فيعني ما ربه ومقاصده حتى لا يذكرها احد وطالما تحبب
الناس من وجود هذه الاتصال فيه في غير هذه المرة واما في هذا المجلس فصلك
مسلك الجراءة والسفه حيث مدح نفسه واقصر في ديوان الكردية بالابتغزواته
وحروبه وظهره باعدائه وسب خصمه كل المسبة ودعا الى القتال انصوصى
على وجه يليق بابطال الحكايات الباطلة والخرافات التي لا تليق بمن كان اذذاك
اعظم ملول النصرانية ولكن يسهل توجيه ذلك عندي اذا التفت الانسان
الى ما وقع له غير مرة من الظفر باعدائه ومدح المتحدين فان ذلك له تأثير قوي
ولو في النفوس العلية وكيف انه صد السلطان سليمان مع شدة بطشه
وقوة شوكته اذذاك واخذ ملكة بربروس مع عظم صولته وهيبته
في سائر السواحل ولا يرى نفسه أنه غضنفر او انه وضرم غام زمانه وكان من حين

مطلب

اسباب تفاخره وتفاخره

بمدح نفسه

* (القائمة السادسة) *

اريخ الامبراطور شرلكان

سنة ١٥٣٦

رجوعه من لغز بقره منصورا والاعنياد والمواسم العامة مستمرة لا تنقطع
 وكان بها الشبار نصره وتقيم مقامه وقدره فكانت لسان حالها يتحدث به برفعة
 شأنه وعلو مكانه وقد انفق الشعر آء والادب ما من مملكة ايطاليا كنوز ثرائهم
 في مدحه وجادوا ينشأت افكارهم في بث ما تراه وفضله وكانت هذه المملكة
 ازهى بممالك الافرنج وابجها في الآداب والقنون المستطرفة وزيادة على ذلك
 كان المنجسون يحذرونه أن مستقبله يكون اعظم من ذلك فاخذته الفتوة حين
 ارتشف من تلك الاقداح * التي هي من دولي القرح والانتساح * وغفل
 عن عادته من الاحتراس والسكينة فمر به * وارنى بالتفاخر في هذا المجلل العام
 وآرى به * حيث اوسع في الخطاب * وابدى للسانه من العجب العجاب
 والظواهر أن الامبراطور قد احس بخطاه حالاقته لما حضر بين يديه رسل
 فرنسيس في اليوم الثاني والتسوامنه فوضع ما قاله في شأن الحرب
 المخصوصى اياهم بأنه لا يلزم الالتفات الى ذلك وانما قلته حقنا لدماء الرعايا
 وبذل جهده في تلطيف عبارات أخرى كان قد قالها في خطبته وتكلم
معهم في شأن سيدهم بعبارات مؤذنة بالادب والاحترام ولا يخفى
أن مثل ذلك لا يكتفى في جبر ما وقع منه من المسبة في حق الملك فرنسيس
 ومع ذلك لم يرزل هذا الملك يتداول مع الامبراطور طامعا في انتهاء المشاجرات
 بالتي هي احسن فلما رأى الامبراطور أنه قد عمى بصره وبصيرته حيث لا يبصر
 حبال اللداع والمكيدة اخذ يداهنه فاعطهر له انه يريد قبول ما عرضه عليه
 وكان في انشاء ذلك يدبر اموره ويستعد بما يلزم لتخفيف اغراضه وما ربه
 وبعد أن جهز الامبراطور بجميع المواد والمهمات اللازمة جمع في ضواحي
 دوقية ميلان جيشا جزارا يبلغ اربعين الفا من المشاة وعشرة آلاف
 من الخيالة واما جيش فرنساوية فكان دون ذلك في العدد وكان قد عسكر
 قريبا من مدينة ورسيلي في اقليم بيرون وتخلت عنه طائفة من عساكر
 لسويسة فتقص جدا وصار اقل من الجيش الامبراطوري بكثير وبسبب
 تخليها أن الامبراطور بمداهنته وتحيله حل الاقطار القناوية على طلب هذه

مطلبه
 دخوله في مملكة
 فرانسوا

الطائفة متعللا بأنه لا ينبغي للسويسة أن يقاتلوا دوق ساووة لأنه حليفهم من قديم * وبناء على ذلك كان سرعسكر الفرنساوية يحشى من القتال فكان يعد كلما قرب منه جيش الامبراطور وكان الامبراطور مع جيشه وكان الروسا معه الملتزم دوغواست والدوق دالبه والامير فرديند ودوغوزاغ وكان سرعسكره الامير اطوان دوليوه وكان جديرا بهذا المنصب لغزارة معارفه وادمانه على التجارب وقائع الاحوال * فعنه انشأ اطهر الامبراطور أنه ليس قصده الاقتصار على فتح اقليم بيمون ودوقية ساووة بل مرامه الاغارة على الاقاليم الجنوبية من مملكة فرانساً وكان يدبر امر هذا المشروع منذ زمن طويل ويبدل جهده في جمع المواد والمهمات اللازمة لتجهيزه مع العزم التام حتى ينجح فيه وينظر بمقصوده * وكان قد بعث الى اخوته اموالا كثيرة وكانت حاكمة في مملكة البلاد الواطية وكذلك الى اخيه فرديند ملك الرومانيين وامرهما أن يجمعا ما يمكنهما جمعه من العساكر ليجمعل منهم فرقتين احدهما تدخل مملكة فرانساً من جهة بيكارديا والاخرى من جهة اقليم شيبانيا وهو يدخل بجيشه الجزار من الجهات المقابلة لهاتين الجهتين من المملكة المذكورة

ولكن لم يوافقهم وزراؤه ورؤساء عساكره على هذا المشروع واخبروه انه يصير عرضة لخطر عظيمة اذا ذهب بعساكره الى تلك الاقطار الفرنساوية وبعد عن محاربه خصوصاً هذه الاقطار لا يوجد فيها ما يكتفي مؤونة اهلها وترجوه أن يلتفت من جهة الى كون مملكة فرانساً لا تجزأ بداع الحرب مادامت تدافع عن نفسها ومن جهة اخرى الى بطش اشراف الفرنساوية اذا تمطقوا بالشهامة وتذرعوا بالحمية للذب عن ملك يحبونه حباً باجلاء العدو عن وطنهم * وذكره بما حصل من الخذلان للدوق دي بوربون والامير بسكير حين شرعا في مثل هذا الغرض مع أن مقتضيات الاحوال اذا ناله لم تكن دون مقتضيات هذا الوقت في المساعدة * وكان اكثرهم الحاحا عليه في هذا المعنى هو الملتزم دوغواست حيث خزع على اقدامه وترجاه أن يعمل

سنة ١٥٣٦

عن هذا المشروع الخطر ولكن الأسباب العديدة التي حلت الإمبراطور على قصد هذا المشروع لم تسوغ له أن يسمع لهم قولاً ولأن يقبل منهم صرفاً ولا عدلاً وكان عادة بندر عدوله عما عزم عليه لاسمافي هذه المرة فإنه كان يريد رغم أنه خصمه الملك فرنسيس وكان ثم بواعث محمله على ازدرائه واحتقار معارفه وانكار فضله وفي الحقيقة كان هناك ثوبون بعيدين معارف هذا ومعارف ذلك وكان الإمبراطور مغروراً بنظره وحظه بل ربما كان معولاً على قول من أخبره من النجمين بأنه سيكون مستقبله سعيداً وأنه لا يزال يرقى إلى أوج المصالحى فإلى التغيير هذا المشروع بل عزم على التوجه إلى بلاد فرنسا قبل التغلب على إقليم بيجون وإنما اخذ منه بعض قلاع لازمة جداً لتكون وصلة بين جيشه ودوقية ميلان

وكان الملك فرنسيس قد أقام الملتزم دوما لوسه على طائفة صغيرة من العساكر معدة لحماية بيجون فأهمل الملتزم المذكور في هذا الشفر حتى استولى عليه الإمبراطور مع السهولة وكان هذا الملتزم قد تربى بديوان فرنسا وكان الملك فرنسيس يثق عليه بالخيرات الجزيلة فشرته باتمهاله وإقامته بهذا الثغر العظيم إلا أنه ترك سيده على حيز غفلة وخانه بدون سبب ولا علة تغضبه وتوجب ذلك بل كانت أسباب خيانتة واهية بامه كما كان فعله من باب الخيعة وذلك أنه كان من أهل البدع ولا وهام فكان يصدق بأخبار النجمين فخرم بأن الملة الفرنسية قد حان أوان انقراضها وأن الإمبراطور سيضع أساس دولته على آثارها فبناء على ذلك رأى من الخزم والصواب أن ينضم إلى حزب الإمبراطور حيث أن الدهر يساعده ويسالمة ويرأى أنه لا يستوجب لنفسه لوما ولا يلحقه عار إذا تخلى عن حزب يري دانه سبحانه وتعالى دماره * وكان غدره كبيراً وخيانتة فاحشة حيث أنه لاجل أن يفتح للأعداء ثغور فرنسا استعان بالشوك والصولة التي كان يقادها بها الملك فرنسيس وجميع ما عرضه عليه الضباط الذين كانوا تحت حكمه أو هووا بفعده لاجل دفع الأعداء وطرد ذكره عليهم أو اوضح غمته

مطلب

تغلب الإمبراطور على
جزء من دول دوق
سافوة

فاهمل بالكلية فيما يجب عليه من المدافعة من حيث يكونه رئيس المحافظين
 وبهذا السلوك القبيح الذي اكسبه الخزي والمعزة جعل القلاع والحصون
 غير مألوفة للمقاومة حيث جردوها عن الزاد والادوات والاسلحة والمهمات
 فكان لا يلحق جيش الايبراطور تعب ولا مكابرة في التغلب على اقليم بكون
 لو لم يكن الامير مونيزات محاطة مدينة فوسافو قنابدي العجب العجيب
 من الشجاعة والمهارة حتى اوقف جيش الايبراطور شهرًا كاملًا أمام
 هذه المدينة الصغيرة

ولما حصل هذا العائق للجيش الايبراطوري اتسع الوقت مع الملك فرنسيس
 وامكنه أن يجمع قواه وعساكره ويدبر امر المدافعة عن بلاده ويتقدها
 من تلك الاخطار والاهوال واقتصر على ما يمكنه أن يقاوم به عدوه وينجو
 من صولته وشدة بطشه وما اظهره من الحزم والاصابة في انتخاب الوسائل التي
 احترم بها ومن العزم والمواظبة في اجراء تلك الوسائل جدير بالمدح وحسن
 التناحيث كان مخاضا لحينه الطبيعية كما كان مباينا للطباع الملهة الفرنسية
 فالزم نفسه بالاعتصام على المدافعة وعبد المخططة بعساكره في القتال
 الا اذا جزم بالهزيمة وعزم على أن يحيط معسكره بتحصينات منتظمة
 وأن لا يضع المحافظين الا في اعظم القلاع والمدائن الحصينة وأن يحارب البلاد
 التي يدخل منها العدو حتى يهلك جوعا ولا ضرر في خراب اقليم يترتب عليه نجاة
 المملكة بتمامها وفوز امر ذلك للمارشال دومونتورانسى وكان هو
 المبتدع لهذا الامر وما كان له الا جعله الله سبحانه وتعالى لتجيز هذا
 المشروع المهم فكان ذاتهم واثمة وكان صعبا جبارا يحب بنفسه وبمعارفه
 ويردري معارف من عباده وكان لا يعشق ولا يشفق فكان اذا عزم على شئ
 لا يعدل عنه حتى يقض امره

فانشأ المارشال معسكرا حصينا تحت اسوار مدينة اوينون على ملتقى نهر
 الرون ونهر دورنسة فكان احدهذين النهرين يجلب الى عساكره
 من داخل المملكة جميع ما يلزم لهم وكان النهر الاخر يحصن معسكره من الجهة

مطلب
 صورة مادبره الملك
 فرنسيس للمدافعة
 عن مملكته

مطلب
 تقيضه اجراء هذا
 الامر الى المارشال
 دومونتورانسى

مطلب
 وضع معسكره بقرب
 مدينة اوينون

سنة ١٥٣٦

التي يظن أن العدو يأتي منها واشتغل من غير إهمال بتحصين هذا المعسكر حتى جعله حصينا متيعا وجمع فيه جيشا عظيما وإن كان دون جيش الإمبراطور ومددوا الملك فرنسيس فاختطاطة أخرى من العساكر ونصب معسكره بقرب مدينة والنس على شاطئ نهر الرون فوق معسكر المارشال ورأى أنه لا يلزمه الاتحصين مدينتين وهما مدينة مرسيليا ومدينة أرسيم أما الأولى فليكون متكنسا من البحر وأما الثانية فوجه لزوم تحصينها أن تكون حصنا لاقليم لتغدوق فوضع في هاتين المدينتين طائفة عظيمة من المحاطين والخفر وانتخبهم من اعظم جنوده وجعل عليهم ضابطا لا يعهد فيهم إلا الأمانة والشجاعة وجل اهل المدائن الأخرى وسكان الغيطان والقلاو على ترك بيوتهم ووزعهم فجعل بعضهم في الجبال وأدخل بعضهم في المعسكر وارسل الباقي الى داخل المملكة وهدمت سائر الحصون والقلاع التي يمكن أن يأوى اليها العدو ويدافع بها عن نفسه وقلت الجيوب وأنواع المطعومات والمخازن والعلوفات من تلك الاماكن وخرب الطواحين والافران وهدمت الابار وغيرها حتى صار لا يتفجع منها بشئ فكانت ترى الارض مقفرة كالصحراء من جبال البه المدينة مرسيليا ومن شاطئ البحر الدوقية دوفينة ولا يرى في التاريخ أن مله متحدة فعلت مثل ذلك الامر الشنيع المتكرر لتدافع عن بلادها

وقد وصل الإمبراطور مع اطلية جيشه الى ضواحي اقليم برونة وكانت نشوته لم تزل متسلطنة عليه وآماله متعلقة بالنجاح حتى انه لما نزل بعساكره واضطر لا انتظار بقية جيشه ومضت عليه هذه ايام في هذا المحطة صار يقسم على ضباطه البلاد التي كان يؤمل قصها ويعدهم بمناصب مملكة فرنسا وارضيا وبين لكل منهم سهم ليشتد عزهم وتقوى قلوبهم لكنه لما جال في البلاد ورأى الاراضي خربة مقفرة كالصحاري داخله اليأس وزال من نفسه ما كانت تسوله له آماله وادرك أن الملك الذي يحترق اقليميا من اغنى اقاليمه وابهاها لا بد وأن يكون مصعما كل التصميم على المدافعة عن الاقاليم

مطلب

دخول الإمبراطور

في اقليم برونة

الآخرى واما الدونقا التي كان يعتمد عليها في تحصيل قوته جيشه فعملتها الرياح
وتصلت لها عوائق أخرى فكلت زمنًا طويلا لا يمكنها الدنو من سواحل
فرانسا فاستبعد معاناة وتعبر رأى الإمبراطور أن ما فيها من الذخائر المونة
لا يكفي جيشه الجزار وكان لا يطمع في شئ من اقليم برونسة ولا من بلاد
دوق ساووة لانها مكنت مدة طويلة وهي تصرف على جيشين
عظيمين فقصر في امره وصار لا يدري ما يصنع بجيشه في تلك البلاد ولا من أين
يطعمه لانه وان كان حقيقته مستوليا على هذا الاقليم العظيم ما عدا بعض
بلاد منه الا انه كان لا يعتقد نفسه مستوليا عليه حقيقة حيث لم يجد فيه الامدائن
غير حصينة بخلاف القرنساوية فكانوا متحصنين في معسكرهم بقرى
اوينون وكان بأيديهم مدينتا مرسيليا وأرلس ولم يكن ثم مدينة محصنة
سواهما فاراد الإمبراطور أن يبدأ بالهجوم على معسكر القرنساوية وينهي
بذلك أمر الحرب الا أن الضباط الماهرين الذين بعثهم ليكشفوا له عن كيفية
وضعه اخبروه بعباطلهم عليه بأنه لا يتمكن منه بأى وجه كان فامر بوضع
الحصار على مدينة أرلس ومدينة مرسيليا مؤملا أن القرنساوية
يادرون الى اعادة هاتين المدينتين ويتركون المعسكر المحكم الوضع الذى
كانوا به لكن لما كان المارشال مونتورانسى لا يعدل عما هم عليه لم يتحول
عن معسكره وتلقى محققوا المدينتين عساكر الإمبراطور بقلب ثابت وبجزم
بجيب حتى الجأهم الى رفع الحصار بعد أن هلك مقدار منهم وبأثر بالمرزى
والمعزة فغاطر الإمبراطور ودنا من مدينة اوينون الا أن العساكر الخفيفة
كانت تخرج عليه من المعسكر وتطرد عساكره حتى شتموا واشتد بهم النصب
والتعب ونزلت بهم الامراض وبفسوا كل الياس من امكان ازالة تلك العوائق
الكبيرة والموانع الكثيرة التي كانوا لا يتربصونها

مطلب
محاصرة لمدينة
مرسيليا

مطلب
انه مونتورانسى
في تغيير ما دبره
للمدافعة عن ملكة
فرانسا

وفي مدة الحرب كان مونتورانسى يكابد المشاق من جهة عساكره اكثر مما
اهمه من جهة العدو وذلك أن حمية عساكره الفرنساوية ومحبتهم لوطنهم
انخرجتهم عن طور العتل والحزم وافضت بهم الى ترك سبل السياسة والتبصرو

(سنة ١٥٣٦)

في العواقب حتى ان ملكة فرنسا لهذا السبب كانت قد اشرفت على الوقوع في الالهوال والمصائب التي كان مونتوراني بسياسته وحزمه يحاول اجتنابها وابعادها عنها فلم يستطع الفرنسيون ان يملكوا بدون حرب والعدو نصب اعينهم يحترق وطنهم وبلادهم وداخلهم القلق والخزع من طول المدة التي مضت عليهم وهم محجوزون عن الحرب ولم يدركوا الفوائد الجليلة التي كانت نصيب عين المارشال مونتوراني من المنهج الذي سلكه للمداخلة عن المملكة فطلبوا الحرب واقتال مع الالحاح والابرار وعدوا ما سلكه المارشال مما يري بالملحة الفرنسية ويكسبها الفزى والعار وكنوا يرون أن حزمه وتبصره في العواقب ليس الامن باب الخول وأن احتجاسه بجرحه وتبسته في اتباع هذا المنهج الذي اختاره للمداخلة ليس الامن قبيل العناد والكبر وفشا ذلك اولاً بين العساكر واصاغر الضباط ثم سرى الى عقول اكبرهم وكان اغلبهم يغار من حظوة المارشال مونتوراني عند الملك وسم البعض الآخر من كبره وشجعه فعماد قليل عم التمسائر المعسكر وجعل العساكر والضباط يتفخرون سرابيل ويظهرون التبشكي من سلوك المارشال المذكور ولم يكن لذلك كله تأثير عده كما أن ما صنعته العدو وكذلك بل لم يزل معهما على قصده مقبياً بالمعسكر لكنه لاجل تسكين ما داخل العساكر من الغضب الذي لحقهم من سكونه المبين لمحيته الطبيعية سلك مسلك الرفق واللين على خلاف عادته فكان في الغالب يراعى خواطرهم بما يمكن ويفصح للضباط عن الاسباب التي الجأت الى عدم التعرض للعدو ويوضع لهم ما يترتب على ذلك من الفوائد وما يعقبه من النجاح العظيم وبعد ذلك حضر الملك فرنسيس الى المعسكر بقرب اوينون وانضم الى الجيش الذي كان يلعب المعسكر عدة طوائف كبيرة من العساكر فرأى فرنسيس حيث أن جيشه قد تقوى وصار قابلاً للمصادمة جيش الإمبراطور ومقاومته وكان فرنسيس قد غلب على نفسه حتى رضى بمكث عساكره تلك المدة الطويلة وهي مقتصرة على المدافعة وكان يميل الى المشروعات الجسيمة التي تستلزم الحساسة والجراحة وربما كان تعريض

عساكره وضباطه واطهارهم القلق والجزع من اقتصارهم على المدافعة
والعدو يترب او يطانهم يحمله على العدول عما ملكه موثورا نسي من الرأى
المبنى على الخزم والاصابة فيغير على جيش العدو ويضع التمرة الجلييلة التي كان
يتربها موثورا نسي من هذا التدبير الصائب المبني على مزيد الاحتراس
والتبصر في العواقب

ولكن علفا بملكة فرنسا وسعدا سارا لايمراطور يجيشه فيكلن ذلك سببا
في نجات هذه المملكة من الاخطار التي كان من الجائز أن تقع بها لو حصلت
المجازفة من الفرنسياء به وجمعوها على جيش الايمراطور وذلك أن الايمراطور
مكث شهرين في اقليم برونسيه وهذه المدة تعد كثيرة بالنسبة لشهرته
ومقامه ومع ذلك فلم يكنه تحصيل مرامه واضطر الى الخروج من هذا الاقليم
ولم يفعل ما يكون جديرا بالتبهيذات الجسيمة التي جهزها قبل شروعه في الحرب
ولما يؤيد اقتضاه في ديوان البابا امام الكرد بنالات ورسل الممالك الافرنجية
وغيرهم حيث بالغ في وصف بطشه وشدة بأسه وهاك من اصحابه الشهير
انطوان دوليتو وعدة اخرى من ضباطه الماهرين المتأخرين ومات نصف جيشه
من المرض والجاعة وصار الباقي لا يمكنه أن يصبر على مكابدة الاحوال والمصائب
بعد أن عاينوا اخوانهم يملكون أمامهم على اسوأ حال فألجأته الضرورة
الى الارتحال فامر بذلك ولم يدركه الفرنسياء غرضه من السير بعساكره
فلم يتبعوه والاهلك جيشه عن آخره فان طائفة من العساكر الخفيفة قد تبعته
مع عدة جماعات من الفلاحين الذين حنقوا من العساكر الايمراطورية وكانوا
ينتظرون فرصة تساعدهم على الانتقام من هؤلاء العساكر الذين خربوا بلادهم
ونشروا فيها عتوهم وفادركت تلك الطائفة ساقه الجيش الايمراطوري
وصارت تهجم عليها مرة بعد أخرى حتى وقعت فيها الاختلال والارتباك بحيث
صار الاولى أن يقال في سيرهم انه اديار وفرار وحركات هروبية لا سير جوع
على اصول الحركات العسكرية فكانت ترى الطريق مشحونة بالاسلحة والامتنعة
والمهمات ومستورة بالرسم والمرضى والجرحى وبالجله فقد شاهد المؤرخ

مطلب

القضاء جيش الايمراطور
وما آل اليه من الجالة
لشئ

(سنة ١٥٣٦)

مارعين دويي بعين رأسه الجيش للإمبراطور وهو في هذه الحالة السيئة
الحزنة فلم يوافق به من تشبيهه بنى اسرائيل حين استولى عليهم الرومان
واذا خولهم جسوسهم من انواع العذاب ما تقتصر عنه العبارة * فلو تقدمه
المارشال مونثورانسى مع جيشه وادرك الجيش الإمبراطورى بهذه الحالة
لا ياد من آخره لكنه لطول المدة التى مكثها مقتصر على المدافعة كان
قد صار يجهل من الحرس والاستخوان فخرط حصره ونودته لم يعدل عن منجبه
الاول ولم يغير حاله سريعا كما تغيرت الاحوال والمقتضيات بل كان يلج دائما
مبقوله ترك الاسد عند فراره الى من اقتضا آثاره وكان يقول ايضا ينبغي انشاء
قنطرة من ذهب للعدو اذا ذهب

ولما وصل الإمبراطور بما كان متقدما من قبايا جيشه الى نفور دوقية ميلان
ولى المقيم دغواست على هذه الدوقية بدلا عن الأمير انطون دويلو
ثم سافر الى جنويرة لكن لم يمكنه أن يمر بالمداين التى مرت بها الا فى بلاد
ايطاليا مع الابهة العظيمة فاصدا فتح بلاد جديدة بل صمم على الرحيل
الى بلاد اسبانيا خشية أن يزدري به الايطاليون ويحتقروا علمه لحقه من
الثكبة والمذلة فى رجوعه حيث خاب آماله وهلكت رجائه

واما جيوشه التى شنت الغارة على مملكة فرنسا من الجهات الاخرى
فلم يحصل لها نجاح عظيم بحيث تجبر ما خسرته فى اعظم يروشه وذلك
أن دويي بسلوكم مسلك الخداع وابقاع الفتن والدسائس حمل كثير من امراء
المانيا على استرجاع جميع العساكر التى كانوا امدها بها ملك الرومانين فاضطر
هذا الملك الى العدول عما كان عزم عليه من الاغارة على اقليم شجيانا واصل
الجيش الكبير الذى خرج من مملكة البلاد الواطية فاقام لما دخل اقليم
بيكارديا وجده خاليا عن الحرس لكون جميع عسكر المملكة كانوا قد انتقلوا
الى جهة الجنوب ولكن تسلم الامراء والاشراف ومنعوا بشجاعتهم وشهامتهم
أن يدخل بالمملكة من المصائب ما كانت عرضة له بسبب اهمال ملكه
فى تقصيصها من تلك الجهة فدافعوا عن مدينة بيرون وغيرها من المدن

شهر تشرين الثانى

مطلب

اعطرب فى اقليم بيكارديا

(سنة ١٥٢٦)

مع قوة العزم وفروا الشيعة حتى ارتحل عساكر الایمیراطور ولم یکنهم فتح مذبذبة او ملذمة

فاقتصر الى حبيبة آمال الایمیراطور ودمار عساكره مع ما بذله من الجهد الغريب وكان سبب ذلك حسن التدبير من الملك فرنسيس والتشام رعایاه وشجاعتهم ولم یحصل للایمیراطور في حروبه الطويلة مع فرنسيس مثل هذه الوقعة التي خسر فيها خسارة كانت اضرت عليه من غيرها حيث اورثته الهوان والمذلة فضعت بذلك شوکته وانقضت قوته ولكن حصلت حادثة اخرى مشرومة ضیعت بحلی فرنسيس ما دخله

من سرور الظفر والنجاح في هذا الحرب وهي موت اكبر اولاده وولي عهده وكان يلوح على هذا الامیر تسامير الفلاح وكان الاهالي یحبونه كثيرا لانه كان یقفوا اثر والده وكان موته فجأة فلذا قيل انه مات بالسهم ولم تكن تلك الاشاعة مقصورة على العامة الذين من دأبهم نسبة موت اعيان الناس الى اسباب غريبة بل قال بذلك ايضا فرنسيس ووزرائه واتهم به القوتومة دومونكوکوفی وكان من یكزادات ايطاليا لانه كان ساقيا لهذا الامیر فقبض عليه وعذب لاجل الاقرار فادعی أن الجنرال لیوة والجنرال غوزناغ هما اللذان حملاه على ذلك بل افاد أن الایمیراطور له دخل في هذا الامر لكن لم یکن ذلك منه بطريق المباشرة وكان الفرنسيون اذ ذاك یغضون الایمیراطور بغضا شديدا فجزموا بانه هو السبب في ذلك ولم یلتفتوا الى ما بذاه هو وضباطه من تبرئة انفسهم من هذا الامر المتكرر ولا الى غضبهم من نسبة هذه الفضلة الشیعة الیهم وفي الحقيقة لم یکن هنالك ما يدعوا الایمیراطور الى ارتكاب هذه الخطیئة فان الملك فرنسيس كان له ولدان غیر الدوفین المتوفى وكان كل منهما قد بلغ رشده بحيث یمكنه أن یخلف اياه في المملكة وكان والدهما ايضا قوى البنية سليم العصاة فلو قطعنا النظر عن طبع الایمیراطور ولم نلتفت الى كونه لم یرتكب مدة حیاته من المتكررات ما هو من هذا القبیل صح أن نضعهم من هذه الحیثیة اعنی وجود عقب لفرنسيس مع قوة بنیه وصحة

مطلب

موت الدوفین ای ولی

العهد

مطلب

نسبة موته الى التسم

(سنة ١٥٣٦)

بذنبه يراد الإمبراطور من تلك التهمة فيكون ذلك موازيا لما ادعاء عليه القوتة
دومتكو كولي من نسبة ذلك اليه بسبب ملحقه من الاكراه وشدة العذاب
طول يمكن لفرنسيس اولاد صاخون خلفه وكان ضعيف البنية لا يمكن
تسليم هذه الدعوى وقبلها هذا والذي ذهب اليه المؤرخون أن سبب
موته هو أنه احس كثير من شرب الماء البارد بعد أن لعب الكورة واشتدت به
السخونة والحارة هذا اقرب الى الصواب من الاول وعلى فرض ان مات
بالسم فلا مانع مما ادعاء الإمبراطور من أن السم انما اعطى له بأمر الاميرة
كاترينه دوميديسيس ليعق القاج الملوك زوجها دوق دو ريان وهو
الثاني من اولاد الملك فرنسيس اذ لا شك أن لها مصلحة عظيمة في موت
الدوقين أي ولي العهد ومن المعلوم انها كانت شديدة الطمع فلا يبعد عليها
أن تركت مثل هذا الامر المتكبر حيث تعين طريقا الى بلوغ مرامها

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

الفرمان الصادر من
ديوان برلمان باريس
في شأن الإمبراطور

وقد افتتحت السنة الجديدة بحادثه غريبة وان لم تكن بالنظر لذاتها مهمة
ولا جديرة بالذكر الا أنها تدل على المبالغة على ما كان بين الإمبراطور وفرنسيس
من شدة البغضاء والعداوة حيث فعل كل منهما في حق صاحبه من الامور
القصية ما يترى بعرضهما وذلك أن فرنسيس ذهب بارباب ديوان الير
(ديوان امراء الدولة) وامراء عائلته الملوكيسة الى برلمان باريس (مجلس
وكلاء الملك) وجلس به على حسب الرسوم الجارية ثم قام الخطيب الاعظم وقال
في شأن الإمبراطور معنونا عنه باسم كلوس امير الاوستريا انه قد تم
مشارطة كبيره التي خرج بموجبها من تبعية تاج فرنسا الملوك التي كانت
تقتضيها قوتية الفلنك وقوتية ارنواي ثم برهن على أنه ينقض هذه المشارطة
يجب أن ترد الاشياء الى اصولها ويبقى الإمبراطور كما كان من اتباع
تاج فرنسا الملوك وحيث إن الإمبراطور قد اكتب ذبا عظيميا بعصيان
على ملكه يجب عليه أن يحضر بنفسه او يرسل وكيله الى مجلس البرلمان
في باريس لتتقضى دعواه ويحكم فيها بما تقتضيه الاصول فلما سمع ارباب
الديوان هذه القضية الغريبة استمعوها وقبلوها وبعثوا رسولا الى ضواحي

(سنة ١٥٣٧)

ييكارديا فلما وصل الى الامبراطور طلب منه على حسب الرسوم المقررة
 أن يحضر الى مجلس البرلمان في باريس بعد مدة معلومة فاقضت تلك
 المدة لم يحضر الامبراطور ولا وكيله فصدر من ديوان البرلمان فرمان يتضمن
 الحكم على كركوس امير الاوستريا (يعني الامبراطور) بأنه قد خان وغدر
 واستحق أن ينزع ما بيده من الالتزامات لكونه خرج عن طاعة سيده
 وشالف القوانين بما تناعه عن الحضور الى الديوان في الاجل المعين فتوقع منه
 اقليم الفلنك واقليم ارتواس ورد الى تاج فرنسا واهم الديوان المذكور
 باظهار هذا القرمان واذا عته بصوته البوق على ضواحي هذين الاقليمين
 وبعد أن نشر فرنسيس هذا الامر الدال على حقده لاعلى بطشه توجه
 فورا الى مملكة كبلاد الواطية فاصدا اجراء ما تضمنه القرمان الصادر
 من برلمان مملكته والاستيلاء على الاراضي التي صدر الحكم بردها اليه
 وكان الامبراطور قد سلم لاخته مملكة البحار حكومة البلاد الواطية الآن
 فرنسيس اغار على تلك البلاد بقتة وكانت تلك المملكة ثم تناهب للمدافعة
 فلذا كانت المعركة في مبدأ الامر لفرنسيس فاستولى على بعض مدائن
 حصينة ولكنه لما ترك جيشه وذهب الى جهة أخرى كانت ايضا تحارب به وكان
 خضوره فيها ضروريا جاع اهل الفلنك جيشا عظيما وقتلوا بجيشه واخذوا
 ثانيا اغلب المدائن التي كانت اخذت منهم وجعلوا يجمعون ويتغلبون
 على بلاد فرنسا واية حتى اخذوا بعض مدائن وحاصروا مدينة تروان
 وكان الدوق دورليان قد انتقل اليه لقب الدوقين اى ولي العهد بعد
 موت اخيه البكرى وكان المارشال هوتورانس قد كافأه الملك فرنسيس
 على ما بذله من الخدمة الجليلة في مدة الحرب السابق بتقليده منصب الكونتابل
 اى رياسة الجيوش فغزم كل منهما على المضاربة والهجوم على العدو ليحبراه
 بذلك على رفع الحصار فبينما هما يسيران بالعساكر لهذا الغرض حتى لم يبق بينهما
 وبين العدو الا بعض اميال اذ اتاهما رسول من طرف مملكة البحار
 واخبرهما انه قد انعقدت مهادنة بين الامبراطور والملك فرنسيس .

مطلب

استلح الحرب في مملكة
 البلاد الواطية وشهر
 اذار

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

المهادنة المتعقدة

في مملكة البلاد الواطية

وكان سبب هذه المهادنة التي انعقدت على حين غفلة نجي الاختين فيها وهي مملكة
فرانسا ومملكة البحار وذلك لان هاتين الاميرتين كانتا لا تغفلان ابدا
عن اصلاح بين الدولتين وكان الحروب الذي وقع في البلاد الواطية قد خرب
ضواحي هاتين الدولتين من غير ان يعود منه نفع حقيقى على احد من الحزبين
وكان كل من الفرنساوية واهل الملك يتألم على تعطيل التجارة واقطاعها
من بينهم لانهم كانوا يستفدون منها استفاداً عظيماً وكان كل من الملك
فرنسيس والامير بطور قد اهلك رعيته وادفعهم في الفاقة والفقر بما وقع
بينهما قبل ذلك من الحروب والمقاتلات فرأيا ان تجهيز عساكر الياسه لاجل
الحرب في البلاد الواطية لا يتأتى بدون اضرار للحرب في اقليم بيون بل ذلك
يجزى الى ضعفه واضعلاله مع ان هذا الاقليم كان مطمحاً لظرفهما فخذ
الاسباب كلها اعانت الاميرتين المذكورتين على مقصدهما من ايقاع الصلح
بينهما وحلت الملكيين على الرضا بالمهادنة فانعقدت الهدنة بينهما على عشرة
اشهر لكن بمجرد ابطال الحرب من مملكة البلاد الواطية دون غيرها
وكان للحرب في اقليم بيون اشتد من غيره نعم وان كان كل من الامير بطور
والملك فرنسيس ليس له اقتدار على عمل الحرب بقوة تلاميذ بعضهم
لبعضهما الا انهما كانا مستقرين على الحرب كنهم من تعشما البغضاء عند
فتور عواهما وتحدث فيهما قوة جديدة فكانت المدائن التي يأخذها احدهما
من صاحبه يأخذها الاخر منه ايضا وكان لا يضى يوم الا ويقع فيه
قتال بين الفريقين ولو هيئنا قوتهم فكنت بينهما دماء من غير ان يغلب احدهما
صاحبه فارادت الملكات ان يتما مابداً تاه في شأن اصلاح بينهما فالت
احدهما على زوجها والاخرى على اخيها حتى جعلتاها على الرضا بعقد الهدنة
ثلاثة اشهر في اقليم بيون ووقع الاتفاق على ان كلا من الملكيين يبقى
مستولياً على البلاد التي تحت يده ويخرج جيشه من هذا الاقليم ولا يبقى فيه
من العساكر الا المحافظين في المدائن ويعين كل منهما وكلاء من طرفه بقوى لهم
امرائها تلك المشاجرات وبموجب حكمهم واقرارهم تنعقد مشاورة بينة بهما

٣٠ من شهر غور

مطلب

المهادنة المتعقدة

في اقليم بيون

(سنة ١٥٣٧)

مطلب

اسباب هذه المهادنة

يتقطع الحرب وتزول اسبابه

ثم ان الاسباب التي دعت الملوك الى هذا الاتفاق هي بعين الاسباب التي اسقطناها غير مرة وهي أن مصاريف الحرب كانت تزيد بكثير على ايرادهم وكان لا يمكن كنهما أن يشترعا في ضرب مغارم جديدة على رعاياهما زيادة على المغارم القديمة لان الرعايا اذا نظم يكونوا متعودين على تحمل مثل هذه المبالغ البسيطة التي كانت مضروبة عليهم وقتئذ لاسيما الامبراطوراته مع ما اقترضه من المبالغ البسيطة كان لا يمكنه أن يصرف الماهيات الجمة التي كانت قد تراكمت عليه لعساكره حيث مكث زمنا طويلا لا يصرف لهم استحقاقهم وكان لا يطمع كالمدة السابقة في الاعانة بالممدد والعساكر من طريق البابا او اهل البغداد ومع ذلك كان يتلك معهم نارة مسلك الوعد والترغيب واخرى مسلك الاعداد والترهيب ولم يمكنه تحصيل مرامه منهم هاما البابا فكان لا يتصور عاصم عليه من أنه يكون خلى غرض بحيث لا يتصور لاحدهما على الآخر فاعطى الامبراطوراته من حيث كونه ابا النصرارى كافة لا يلبق به إلا البعث عما يكون به الاصلاح بين الفريقين واما اهل البغداد فكانوا لهم روالوا على رأيهم الاول من أنه يلزم انهاء التعادل بين الخصمين وذلك لوجود عدة اعانة احدهما على الآخر

مطلب

كون السبب الاقوى

هو معاهدة الملك

فرنسيس مع سلطان

الدولة العثمانية

ولكن كان ثم امر اثنى الامبراطور شارل كان تأثير اقوى من تأثير هذه الاسباب وهو خوفه من الدولة العثمانية وكان فرنسيس قد حرضها عليه وعقد المعاهدة مع السلطان سليمان وذلك أنه مكث مدة طويلة يتردد في عقد المعاهدة مع هذه الدولة لان دول النصرارى اذ ذلك كانوا يفضون اهل الاسلام اشتد بغضه ويكرهون معاملتهم ويرون موالاتهم ومودتهم مما يوجب النقصية والمغزة امن قبيل الكفر مع أنه كان اضغف شوكة من الامبراطور وتحارب معه من غير أن يستعين باحد عليه ولكن غلبت الضرورة على خوف الملامة فانست فرنسيس ما يلحقه من اللوم والمنمة بمعاهدته مع اهل الاسلام وكان له سراوكيل في الدولة العثمانية يسمى لافوريت فقد هذا

(سنة ١٥٣٧)

الوكيل في أوخر السنة الماضية مشاركة مع السلطان سليمان يتضمن
أن السلطان في الحرب الآتي يهجم على مملكة نابلي وعلى ملك الرومانيين
في بلاد البحار وأن فرنسيس يهجم على دوقية ميلان مع طائفة
من العساكر تكفي في التغلب عليها وقد وفي السلطان من تلقاء نفسه بما وعد
فإن بربروس قدم إلى سواحل مملكة نابلي بدونغا كبيرة وأوقع
في قلوب أهلها الفزع والرعب وكانت العساكر الأميراطورية قد خرجت منها
فأصدة إقليم بيون فأخرج بربروس عساكره من السفن بدون مانع
قريباً من ترنته وجرمدينه كسترة على التسليم وكانت حصينة منيعة
ونحرب ما جاورها من الأراضي والبلاد وجعل يحصن ما فتحه من البلدان
ويفتح بلاد النصراري حتى وصل إليه الأمير دورية على حين غفلة وكان معه
سفن البايا وعدة من سفن أهل البنادقة فطرده من تلك البلاد إلا أن فجاج
الأتراك يبلاد البحار كان أعظم من ذلك فإن سرعسكرهم هزم عساكر المانيا
في الواقعة الكبيرة التي حصلت بمدينة اسبيكة على نهر دراة

ولكن لو فور حظ النصراري لم يكن للملك فرنسيس اقتدار على أن ينجز
ما التزم به في المشاركة المتعقدة بينه وبين السلطان سليمان حيث لم يمكنه
أن يجمع جيشاً كافياً يشن به الغارة على دوقية ميلان فبذلك ضاعت
منه الفرصة التي كان يمكنه بها أن يتغلب ثانياً على هذه الدوقية وينزعها
من يد العدو فبجهازه وضعف شوكة فحيت بلاد إيطاليا من مصائب حرب
جديد ووقيت أن تكون غنية لجيوش الاسلام بعدما كابدته من المشاق
والأهوال السابقة وقد أدرك الأميراطور أنه لا يمكنه أن يستمر زمناً طويلاً
على مقاومة جيوش الاسلام وجيوش فرنساوية وضار لا يؤمل النجاة
إذا طرأت عوارض مساعدة لنجاة مملكة نابلي ودوقية ميلان من الخطر
وأدرك أيضاً أن دول إيطاليا تنهه بشدة الطمع وربما قامت عليه
مخرجت عن طاعته إذا هو صمم على استدامة الحرب لأنها بذلك تكون
عرضة لأخطار عظيمة فلهذه الأسباب رأى أنه لا يحيط عن الرضاء بقبول

(سنة ١٥٣٢)

الهدنة لتوقف غزاه وامنه عليها * وكذلك الملك فرنسيس لم يأب الصلح
لكونه رأى أن ذلك مجلبة للؤم والمذمة وايضا كان يخشى اذا هو امتنع من الصلح
أن يغضب عساكر السويسة وغيرهم من العساكر الاجنبية الذين كانوا
في خدمته فيمتثلوا عن حربه ويتردد في الحرب فلا يمكنه مقاومة الامبراطور
بل و كان يخشى ايضا أن نسأ من قوس الرعية بمساعدته لدولة الاسلام
على توسيع دائرة ملكها مع أن الواجب عليه أن يكون على سنن اسلافه
من اضعاف شوكتها وازالة صولتها وكره أن يقر منه الاهالي اذا هو سلب
هذا المسلك الذي لا يليق به لانه كان يمكن من الشهرة لو كان يلقب ترك تيان
اي شديد التمسك بدين النصرانية فرجع جانب هذه الاسباب ايضا ورأى
أن مخاطرته بنفسه في فسح المصارطة مع السلطان سليمان اهورن عليه
من الاخطار التي يكون عرضة لها اذا عمل بمقتضى هذه المصارطة

• مطلب •

المذاكرة في شأن الصلح
بين الامبراطور والملك
فرنسيس

ومع رضا الجانبين بالهدنة حصل التوقف الكلي بين وكلاهما حين ارادوا عقد
مصارطة بنية وذلك أن كلا من الملكين اراد أن يظهر بمظهر الغالب وعلى
على صاحبه ما شاء من الشروط فاستكشف كل منهما أن يتساهل في امره ويذعن
للاخر فلم تيسر تسيم المصارطة على احسن حال فلذا مكثت الوكلاء مدة
مستطيلة وهم يتفاوضون في هذا المعنى وانتهى الحال الى تفرقهم وانقضاء

المذاكرة بدون أن يتوافقا في امر او انما عقدوا هدنة ببعض اشهر

(سنة ١٥٣٨)

• مطلب •

وسط البابا بنفسه
في الصلح

هذا وقد ظن البابا أنه ينبغي في هذا الغرض أكثر من الوكلاء فتصدى لذلك
بنفسه والتزم بيت امر الصلح وكان له في ذلك غرضان عظيمان احدهما أن يرتب
عصبة قادرة على حماية الملل النصرانية من اغارات الجيوش العثمانية وثانيهما
أن يبعث عن وسائل قوي يفهم يزيل مذهب لوتير الذي اضر بالكنيسة
الرومانية وكان يرى أن التسام الامبراطور مع الملك فرنسيس اعظم
شيء يعينه على التوصل الى هذا الغرض وايضا رأى أنه ان سعى في الاصلاح
بين هذين الملكين يظهر الفرق بينه وبين البابا الذين حكموا قبله على كنيسة
رومة ووقعوا التفاتهم والشقاق بينهما لتخفيف ما ربههم ورعاية مصالحهم

(سنة ١٥٣٨)

ويكتسب بذلك بهجة وروقتا في الممالك ويمدحه الناس على حسن هيأته
 وإدارته وربما كان يطمح أنه بالدي في تخير تلك المقاصد الحميدة يمكنه قمع
 عائلته لأنه كان يسعى جهده فيأفيه ثعها وهطحتها وإن كان لا يظهر منه طمع
 ولا اجتهد في هذا المعنى كما كان أسلافه من بابايت ذلك العصر ولما كانت
 هذه المآرب نصب عينية عرض أن يتقابل الإمبراطور والملك فرنسيس
 بمدينة نيمية وأنه يجتمع معهما في تلك المدينة ليصلح بينهما ويرزى أسباب
 التفاهم والتساق فلما رأى الإمبراطور والملك فرنسيس أن البابا مع كبر سنه
 وجلالة قدره قد عزم على تحمل مشاق سفر بعيد رغبة في الصلح وصمم
 على الارتحال من مدينة رومة إلى مدينة نيمية لمسهما الإجابته
 إلى المقابلة فذهب إلى المحل الموعود ولكن حصل التوقف في كيفية الملافة
 على أي وجه تكون في طريق الروم والنشريات التي يجب على كل منهما
 أن يفعلها في حق الآخر فحملتما البغضاء والمنافسة على عدم الاجتماع
 وإنما وقعت المذاكرة بينهما بواسطة البابا فكان يتردد بينهما ومع بذل جهده
 وحسن سلوكه وخلوص طوبته وصدقه في سعيه لم يمكنه أن يظهر على العوائق
 التي كانت تمنع من حصول الالتئام الكلي بينهما لاسيما ما يتعلق بدوقية ميلان
 ولم يمكنه أيضا مع صولته وجلالة قدره أن يوقع بينهما الصلح والوفاق ولكن
 لتأويل يقال أنه خاب في سعيه حمله على عقد هدنة بعشر سنوات وكانت
 شروطها عين الشروط المذكورة في الهدنة الأولى حيث ذكر فيها أن كل منهما
 يبقى معه ما هو الآن تحت يده وأنهما في مدة الهدنة سعتان وسلعما إلى رومة
 لينتدرا في هذه القضية مع التؤدة والتأني
 فهكذا كان آخر هذا الحرب الذي لم تطل مدته وإنما كانت أهميته لأهمية
 ما حصل فيه من الوقائع وما بذله الخصمان فيه من الجهد نعم وإن كان فرنسيس
 لم يظفر بمقصوده الذي كان نصب عينيه وهو التغلب على دوقية ميلان لكنه
 حاز لنفسه شرفا عظيما ونفارا جسيما بجراح جيوشه وإصابته في الوساطة التي
 أحترس بها الدفع العدو وطرده عن مملكته وزيادة على ذلك أضاف إلى مملكته

(سنة ١٥٣٨)

بلاداً كثيرة حيث تغلب على نصف بلاد الدوق دوسابو وضمها الى بلاده
بخلاف الايماطور شرلكان فإنه طرده لحقه الذل والهوان بعد أن اظهر
في المحفل العام كما سبق أنه جازم بالنصرة واضطر الى اشتراء الهدنة بتخليه عن
الدوق دوسابو وكان يثق بحبته ويعتمد على شوكتة وصولته وطلماتشكي هذا
الدوق وتظلم من هذه المشاركة التي اضرت به ولم يكن لمجده ذلك شعاع وكان
ضعيف الشوكة لا يمكنه المساومة في مثل تلك الاحوال فامتل طوعاً او كرها
ولم يبق له من بلاده سوى مدينة نيسة واعمالها وماعدا ذلك تقاسمه
الملك فرنسيس بظله واقبائه والايماطور الذي كان متعاهدا معه وتخلي
عنه مع الحاحه عليه في طلب الاعانة والاسعاف وهذه عبرة يعتبر بها
اولو الابصار حيث يعلم منها أن الامراء الضعفاء الشوكة اذا كان يجوارهم
ملوك ارباب شوكة قوية وجلهم عدم الحزم والتبصر في العواقب على الدخول
في حروبهم لا بد أن تضع حقوقهم ويطعمهم الضرر عند الاصطدام

مطلب
مقابلة الايماطور
شرلكان مع الملك
فرنسيس في مدينة
ايغومورت

وبعد عقد الهدنة يابام ركب الايماطور البحر وسافر الى مدينة برساون
الا أن اختلافاً في الرياح قذف بسفنه الى جزيرة ستقارغوريطه على اطراف
اقليم برونسة وكان الملك فرنسيس قريباً من تلك الجهة فلما بلغه ذلك
رأى من الواجب عليه ايواء الايماطور في بلاده فعرض عليه أن يتقابل معه
في مدينة ايغومورت فلم ترض نفس الايماطور أن يكون دون فرنسيس
في الحلم وكرم النفس قلبه دعوته واجابه الى ما طلب وتوجه الى المحل الموعود
فبمجرد أن رست سفنه ذهب اليه الملك فرنسيس حتى كأنه نسي الرسو
الحارية ونزل سفيته ولم يأخذ منه حذراً فلقاه الايماطور مع غاية التعظيم
والتبجيل واطهر له صدق اللودة والمحبة ولما كان اليوم الثاني لم يأخذ
الايماطور ايضاً حذراً من الملك فرنسيس حيث نزل بمدينة ايغومورت
بدون احترام فلقاه فيها فرنسيس مع التبجيل واطهار المحبة الصادقة
كما فعل شرلكان معه حين نزل سفيته وقضيا تلك الليلة مع بعضهم
على شاطئ الماء وكانا في مسامحة متساويان الى اظهار الاحترام والتبجيل

لبعضهما فكانت هذه المقابلة عجيبة بالنسبة الى ما وقع بينهما قبلها فانهما
مكتا عشرين سنة وهما في حروب ومقاتلات مع بعضهما وعداوة مستمرة وطالما
نقص احدهما بالآخر وسبه ودعا الى القتال الخصوصي والتزالي في الميدان
فقد وقع من الامبراطور غير مرة القدح في فرنسيس والتشجيع عليه في سائر
الدماء الا فرنجية ووصفه بأنه ملك لا عرض له ولا شرف وكان فرنسيس
قبل ذلك حجة قليلة قدامتهم باسم ابنه البكرى فانظر الى هذه الامور
المتناقضة ولكن لا غرو في ذلك فان تاريخهما مشحون بمثل هذه الامور
الخشية وقد ظهر في طريف هذه المدة السيرة انهما اتفقا من اشتد البغضاء
والعداوة الى صدق المحبة واكيد المودة ومن عدم الوثوق ببعضهما
الى الائتمان التام ومن خداع اهل السياسة ومكرهم الى حسن النية
وخلوص الطوية

وبعد ان ابنت البابا لنفسه التفار بنشر الوية الصلح والاصلاح في بلاد اوربا
لشغل بترقية عائلته ونجح في مقصوده وذلك أنه لم ير ليسي ويذل جهده
حتى خطب من الامبراطور مر غريطة اميرة الاسكرومبيا للامير
او كاوة فارنيز وكانت هذه الاميرة من ماء الامبراطور بدون نكاح وكانت
اقلا تحت الامير اسكندر دوميديس فمات عنها وتايمت بعده فاعطى
الامبراطور مخاطب بنته المذكورة تشريفات واراضى عظيمة وكانت تلك
الاميرة قد فقدت زوجها في اواخر سنة ١٥٣٧ بمحاربة مشؤومة
محزنة حاصلها ان هذا الامير لما ساعده الامبراطور وولاه الحكم على فلورنسة
بعد ان جرد هاعن الحرية اهل في امارة الحكومة واتبع سبيل اللهو واللعب
ولم يكتف قرييه الامير لورنطة دوميديس بمشاركته في سلوك هذا
المسلك بل كان يرثيه اليه ويفريه عليه فكان هذا الوزير يريدى للامير اسكندر
من المسار والخطوط ضرورا وانواعا حتى تمكن منه وصار له موقع عظيم عنده
ولكن مع تجاوز لورنطة المذكور الحد مع هذا المير في الانهماك على
الخطوط والشهوات والمبالغة في الترفه والزخاوة حتى كل لا يتقن سيفا ويحجنع

مطلب
قتل اسكندر
دوميديس

(سنة ١٥٣٨)

لرؤية الدم كان يمكن من الطمع والحريص فانه لتولعه بالحربة لولطمعه في نيل
الحكومة عزم على القتل بهذا الامر الذي كان يحبه ويغدق عليه بالخيرات
الجليلة والعطايا الجزيلة فكثرت مدة طويته وهو يشاور رقبته في هذا المقصد
المهول وكان موسوسا لا يأت من احد اعلى سره فلم يخبر بذلك احدا واستمر
مع اسكندر على المحبة والاتقة حتى خادعه ذات ليلة واطهره انه يريد
أن يجمعه مع امرأة من الاعيان كان اسكندر يتخبر وصالحها فاستولى
على عقله بهذه الحيلة وادخله في محل من منزله بحيث لا يراه احد ثم وثب عليه
فقتله بخنجر وهو نائم على فراشه مهمل في قبسه ينتظر قدوم هذه المرأة التي
وعدها فعند ذلك ارتعدت فرائص لورنطة ولحقه الخوف من ارتكاب هذا
المكرو واشتد به الخيال حتى صار كالخمد لارائه ونسى جميع الاسباب التي
حملته على هذه القعلة فتعلق ابواب المحل الذي قتله فيه وفترها بابا كالحنون
الى ارض غير ارض فلورنسة عوضا عن كونه يحضر الالهة على استرجاع
حريتهم ويخبرهم بموت اسكندر الذي كان يظلمهم او يدبر بعض طرق
يتوصل بها الى حيازة منصب من قتله ولم يعلم احد بقتل اسكندر الا في اليوم
الثاني بعد مضي مدة طويته من اثار لان اتباعه وخدمه كانوا لعدم انتظامه
في معيشته لا يدخلون اليه في الصباح فلما شاع الخبر اجتمع اكابر الدولة
واعيانها وتفاوضوا في شأن الحكومة ومن يقوم بها وكان الكريديال سيبو
يحجب عائلة مبيديس لانه كان من قاربها فعرض أن يولي على الحكومة
الامير كوم دوميديس وكان عمره يومئذ ثمان عشرة سنة ولم يكن هناك
من المذكور من يرث هذه العائلة سواه هو واقفه على هذا الرأي
فرنسيس غيثاردين حيث ذكر اهل فلورنسة يبلغ كلامه وحجاسة
عبارة ما حل من الفتن والتعكيرات يسلادهم حين كانت حكومتها اهلية
فرضوا بتولية هذا الامير عليهم الا أنهم لمحبته في الحرية رتبوا له قوانين
يعمل بمقتضاها حتى لا يكون مطلق التصرف فيهم فيسوء حالهم
كالاول

مطلب
تولية كوم دوميديس
على دولة فلورنسة

(سنة ١٥٣٨)

مطلب

تصدى المنتمين من
فلورنسة لمنع نوابه

واما لورنطة فانه لما نزل بمثل آمن حكي ما وقع منه للامير فيليبس ستورزي
وغيره من اعيان فلورنسة الذين كانوا قد نفوا منها وخرجوا بالطرود
وللاختيار حين نهضت الحكومة الجمهورية وترتبت حكومة العائلة
الميدبسيية فشكروه على اقرار هذه الخطيئة وشبهوه في الفضائل برجلين
يقال لكل منهما بروطوس احدهما انتهك حرمة الحقوق الطبيعية
ولم يراع علمه النسب (حيث قتل اولاده) وبغية في حرية الوطن والثاني قتل
علائق المحبة وابذل الشكر بالكران (حيث قتل قيصر وكان قد تبناه
واغدى عليه بالنم) ولم يقتصر اعيان فلورنسة المذكورون على مدح
لورنطة بل خرجوا من الحال التي كانوا متخفين بها وجمعوا عساكر وجنودا
وحترضوا اتباعهم واحزابهم على حمل السلاح وانتهاز تلك الفرصة العظيمة
ليردوا حرية وطنهم الى اصلها واعانهم على ذلك رسول فرنسا الذي كان
وفتد في ديوان رومة وكان البابا ايضا يحثهم على هذا الامر سرا لانه
كان لا يحب عائلة ميدبسيس فدخلوا ارض فلورنسة مع طائفة كبيرة
من العساكر ولكن كان الامراء الذين اتفقوا الامير كوم. وقلده بالحكومة
مستكملين لجميع الادوات اللازمة لتأييد اقتضائهم له وحازن لساير المعارف
اللازمة لاستعمال هذه الادوات في محالها حتى يكون نجاحهم محققا
فجمعوا في اقرب وقت جنودا كثيرة واجتهدوا في استمالة قلوب اعيان
الييم وفي ترغيب الاهالي في الملك الجديد واستعانوا في هذا الامر بالاجبراطور
مظهرين له انه لا شيء يؤيد كوم ويتأمر توليته الا هو يشته ببطشه وقوة
عزمه وكان شرلكان يعلم ان اهل فلورنسة لهم رغبة عظيمة
في المعاهدة مع مملكة فرنسا وأنه مبعوض عند انصار الحكومة الجمهورية
واحزابها حيث كانوا يرون أنه هو الذي تعدى عليهم واضر بحريتهم فبناء
على ذلك كانت له مصلحة عظيمة في منع تجديد الحكومة القديمة اعنى الحكومة
الجمهورية فلم يقتصر على اقرار كوم بالرياسة على دولة فلورنسة ولا على
تشريفه بالانقباب وغيرها مما كان للامير اسكندر قبله بل التزم ايضا بتأييده

(سنة ١٥٣٨)

وتعصيده وكف من يتعرض له بسوء فلاجل تحقيق هذا الالتزام ارسل الى شباط عساكر الایمبراطورية التي كانت معسكرة على ضواحي طوسكانه أن يقوموا بنصره ويعينوه على اعدائه فبهذه الاسباب اتصر كوم بالسهولة على اعيان فلورنسة المنفيين حيث فاجأهم ليلا وقبض على اغلب رؤسائهم فخابت بذلك آمال المتحررين واستمر كوم على كرسيه منصورا مؤيدا وكان يتنى زيادة على هذه الانعامات التي غمره بها الایمبراطور أن يترجى يئته التي تأبى بموت زوجها ~~اسكندر~~ الآن الایمبراطور لما أعان كوم على الوجه المذكور رأى أنه بذلك قد استأنه اليه وتحققت عنده محبته وصداقته فانزله اليها وزوج بنته لقريبه (او كاره)

وفي نساء الحروب التي كانت بين الایمبراطور والملك فرنسيس حصلت ساذجة ضعف بينهما ~~كان~~ بين ملك انكثرة وملك فرانس منذمة طويلة من المودة والمحبة وذلك أن ياكس انطامس ملك ايقوسيا كان شابا ذاجرا وجسار فلما بلغه أن الایمبراطور قصد الاغارة على اقليم برونسة ابرأ أن يظهر أنه ليس دون آباءه واسلافه في الميل والمحبة لملكمة فرانس لاسيما وكانت فيه حمية تحمله على حيازة الشهرة والامتياز ببعض مشروعات حربية فجمع فرقة ~~عسكرية~~ وعزم على السير بها لاعة الفرسان ودية لكن طرأت له موانع مشؤومة منعتة عن التوجه بهذا الجيش الصغير الى ارض فرانس ومع ذلك لم يرزل مصمما على الذهاب اليها بنفسه فركب البحر وسار حتى خرج الى البر قصد فورا اقليم برونسة لكن كان قد تأخر في الوصول اليه لانه حصل له عائق في السفر فلم يتمكن أن يدرك الحرب ويصل الى ملك فرانس لابعدها احتمال عساكر الایمبراطور فبطل هذا السعي احبه الملك فرنسيس لاسيما وكان يخاطبه في المحادثة بخطاب عذب ويراعى من طرق الادب ما هو مألوف مستعجب فاخذ يلبه واستولى على عقله فلم يتمكن أن يتبع عنه بنته مادلينه حين خطبها لنفسه فلما بلغ هذا الخبر الملك هنري حصل له غم شديد لانه كان يغار من الملك ياكس

مطلب
تناقص المحبة التي كانت
بين الملك فرنسيس
والملك هنري الثاني

شهر كانون الثاني
سنة ١٥٣٧

(سنة ١٥٣٨)

ولا يالله حتى انه كثر زمانا ولا وهو يعامله ويعامل رعاياه اسوء المعاملة
فهو بالضرورة يتضرر من ذلك الزواج الذي يحوز به صدقه الشهرة وقوة
النفوذة ورأى أن يعرضه لمنع فرنسيس من تزويجه بخته لياكس محفل
بالمرودة والادب خصوصا وهو ملك من عشيرة ملوكية كان آباؤه من قبله
حلفاء للمملكة الفرنسية ولا كن مائت تلك الاميرة بعد ذلك قليل فطلب
ياكس من فرنسيس أن يزوج به بنته الاخرى وهى مارية وصغيرة
فجعل الملك هنرى عند ذلك يلج على فرنسيس كل الالتحاح ويصممه على
حسد الرضا بهذا الزواج وطلب هذه الاميرة لنفسه ليصيب سعى ياكس
ولكن لما كانت خطبة ياكس صادرة عن طوية خالصة بخلاف خطبة
هنرى فانها كانت محض خداع بقصد التعطيل رجع فرنسيس الاقل
ولم يصغ لقول ملك انكثرة فاعاناه ذلك كثيرا لاسيما وكان قد دخلته
الريبة منه بسبب الهدنة التي انعقدت بمدينة نيسه ومقابلته للإمبراطور
فعمدنة ايفومورت فظن أن فرنسيس عدل عن محبته وجعل يجتهد
اسباب الالفة مع الإمبراطور وكان الإمبراطور يعرف طبع الملك هنرى
حق المعرفة فادرك تأثره وتغيره من ملك فرنسا ورأى ذلك فرصة نعيته
على تجديد ما كان قد انقطع من بينهما منذ زمن طويل من المفاوضات
والدااولات وكان قد زال من بينهما اقوى اسباب التناقض والشقاق بموت
الملكة كاترينة زوجة هنرى وكانت هذه الملكة من عائلة الإمبراطور
ولما اراد هنرى أن يطلقها كما تقدم عارضه الإمبراطور اذ لا يليق به عدم
التعرض للمداغمة عن الملكة من عائلته فامامت اراحته من التراجع مع هنرى
واخذ يخادعه ويستميله ويتحجب اليه فعرض عليه عدة اميرات من عائلته
ليتزوج منهن بمن يشاء وكان منهن بنت اخته من ملك دانيمرة وخطب منه
بنته مارية لامير من عائلة ملوك البرنوغال ورضى بها بوصف كزنها
ببنته من الزنا ولكن لم يقدم من ذلك نكاح اصلا وربما كان عرضه لهنرى
في هذا المعنى ليس على سبيل الجد ومع ذلك فقد نتج في مقصوده وترتبت بين

(سنة ٥٣٨)

مطلب

تقدم الفسخ

اتسع دائرة

الجديد

مطلب

انه ولات والداس

في حصلت لاجل

عقد مشورة قيسية

ديوانه وديوان هنري مداولات منتهزة اضطلع بها حقبة هنري
الايبراطور وولده بينهما محبة اضررت عاقبتها ملك فرانسا كل الضرر
وبهذه الحروب الطويلة التي مكثت عدة سنوات وكانت ناشئة عن طم
الايبراطور وحرصه تقدم الفسخ في بلاد المانيا واتسعت دائرة الذي
الجديد وذلك انه في مدة اغارته على بلاد افريقية وحره مع ملكة فران
لم يلتفت في بلاد المانيا الا الى منع ما يضر بالراحة والامن العام بسبب
المشاجرات والمنازعات الدنيوية فلذلك كان يحسن معاملة الامراء المعتزلة ويسلا
معهم مسلك الحلم ولين الجانب ليستطيع اليه او يمنعونهم عن الانضمام الى حزب
خصه فنعني كل الاعناء بابقاء المزايا التي حازوها بموجب مشاركة الص
المتعددة في مدينة نورمبرغ سنة ١٥٣٤ من الميلاد واذ اقطعنا النفا
عن بعض احكام كنا تصدر من ديوان الايبراطور صرح ان تقو
ان الامراء المعتزلة لم يكن عليهم حرج في التسك بدينهم ولم يكن عندهم عاذ
يمنعونهم عن نشره وتوسيع دائرته ولكن كان البابا لم يرل بسعي في عقد مشور
قيسية عامة وكان المعتزلة لم يرضوا بان تعادها في مدينة مننو حسب
طلبه البابا ومع ذلك لم يرل البابا يشدد في تجيز ماسعي فيه حتى صدر منه
في الثاني من شهر حزيران سنة ١٥٣٦ من الميلاد فرمان بتضمن أن المشور
يكون انعقادها بالمدينة المذكورة في الثالث والعشرين من شهر ايار
من السنة الجديدة وعين للنيابة عنه فيها ثلاثة من الكرديشالات وامر ملوك
النصرانية أن يؤيدوا تلك المشورة وبعضوها ودعا احبار جميع الملل الى
حضورها ولا يخفى أن عقد مثل هذه المشورة لا يليق الا في اوقات الصلح الخالي
عن التفكير والنفاق حتى تكون عقول الناس مستعدة للتوافق وعد
الاختلاف فلذا ظهر أن عقدها في هذا الوقت غير سديد لان الايبراطور كان
يتأهب لقتال فرانسا ويستعد لاضرام نيران الحرب في جزء عظيم من بلاد
اوربا ومع ذلك اخذ القرماني رسل وقتية غير معتادة ونشروه في الدواوير
الافريقية ولاجل استمالة قلوب اهل المانيا كان الايبراطور مدة اقامت

(سنة ١٥٣٨)

في رومة بلغ على البابا أن يحضر انعقاد تلك المشورة لأنه طمع في تقوية
عما كان عليه من التخلي عن الحزبين وضعه إلى حوزة فبعث مع الرسول
الذي أرسله البابا إلى بلاد ألمانيا نائب صاحب ختامه المسي هلدو وأمره
أن يساعد البابا في سائر ما يعرضه على المعتزلة ويؤيده في ذلك عن لسان
الإمبراطور أتم التأييد فاجتمع المعتزلة في مدينة سمالكاد وعرض عليهم
الرسولان ما هما مبعوثان بصدده فعد أن يديالهم ماعندهما من البراهين
والادلة أبو عن لسان واحد أن يقرأ تلك المشورة القسيسية التي يكون
لانعقادها باسم البابا وأمره وله الحق بمقتضى فرمان في الرئاسة عليها لاسيما
وأنه قادها بمدينة بعيدة عن بلاد ألمانيا في حكومة ملك لا يعرفونه
ولا يعرفهم وله اتحاد والتسام كلتي ديوان رومة فلا يخاف من علمائهم
التيولوجية أن يذهبوا إليها خصوصا وقد عتقون عنهم في فرمان بالرافضة
فلا تشرح صدورهم لمثل ذلك وانضمت هذه الموانع إلى موانع أخرى كثيرة
وغير طريبعه في دقت طويل نشرو في الماء ليزكو انفسهم ويبرؤها
فغضب ارباب ديوان رومة من امتناع المعتزلة وجعلوا ذلك دليلا واضحا
على عنادهم وعتوهم ولم يرزل البابا يشتد في عقد المشورة في المكان والزمان
الذين عينهما لذلك الا أنه حصل التوقف في هذا الامر من طرف الامير
دوق دومتو من جهة حقه في الحكم على من يحضر هذه المشورة ومن جهة
أمن مدينة منتو التي هي تحت حكومته من هؤلاء الاجانب فلما لم يمكن
للپابا أن يجيب هذا الدوق إلى ما طلبه اخرعه المشورة بعض شهور ثم أمر
بعد ذلك بعقدها في مدينة ويسنسة بدول البنادقة وجعل يوم انعقادها
غرة شهر ايار من العام القابل ولما كان لم يقع صلح بين فرنسيس
والإمبراطور فلم يأذن كل منهما لاحد من رعاياه بالتوجه إلى تلك المشورة
فلم يحضر في اليوم الموعد احد من ابحار دين النصرانية فغضب البابا أن يعين
يوما آخر فلا يحضر فيه احد وذلك يزي بمقامه وعلو مكانته فأمر بتأخير
عقدها ولمسه لذلك اجلا

في ٨ من شهر تشرين
الاول سنة ١٥٣٨

(سنة ١٥٣٨)

مطلب
ازالة لباب العدة مفاسد
من ديوان رومة

وحيث كان البابا بولس لا يريد أن يجاب عليه بكونه يشتد في نسخ بتوقف
حصوله على غيره ويحمل في نسخ يمكنه تخييره بنفسه امر جمعية من الكرد بتالات
والاساقفة أن يصثوا عما في ديوان رومة من الفساد والظالم وعن أقوى
الروابط في ازالتها ونسخها قبل منه ذلك لكن مع التخبر والتكدر فلذا كان
اجراؤه بطيئا حيث تساهلت هذه الجمعية في البحث عن هذه المفساد بل كان
مثالها في ذلك كمثل انسان ترتعد فرائصه كلما اراد أن يدخل يده في الجرح ليعرف
ما به ومع انهم سلكوا في البحث عنها سلك التعامل والتساهل غثروا منها على
مفساد كبيرة ومظالم كثيرة الا أن الطرق التي سلكوها في اصلاحها لم تكن
كافية اولي يحصل الاعناء باجرائهم وكان ارباب هذا الديوان مصححين
على اخفاء تقرير هذه الجمعية وما يخطط عليه رأى اربابها ولكن طرأت عوارض
كانت سببا في اتمسار ذلك ليلاد الدنيا حتى علم به الخاص والعام واستعان به
المعتزلة على افساد اصول الكنيسة الرومانية وتأيد مذاهبهم في جهة جعلوا
يرهبون على انه لا بد من النسخ في اصول الكنيسة وابدوا أن اغلب المفساد
التي اعترفت بها تلك الجمعية هي عين المفساد التي فترتها لوتير واصحابه
وارادوا اصلاحها ومن جهة اخرى أخذوا يرهبون على أن القسوس
لا حصاره لهم على اجراء هذا النسخ بانفسهم فقال لوتير انهم اشتغلوا بمعالجة
نايل صغيرة واهملوا القروح الكبيرة بل وصبروها من مرة

وكان الايبراطور قد ألح على الامراء المعتزلة أن يرضوا بعد المشورة القسبية
العامة ليلاد ايطاليا فافزعهم ذلك جدا حتى رأوا من الواجب عليهم
أن يقووا عصبتهم فادخلوا فيها عدة آياس ذرى شوكة كانوا يطلبون الدخول
فيها لاسيما تلك دنيقة وكان هارو رسول الايبراطور قد شاهد مدة
اقامته في ألمانيا أن المعتزلة لهم شوكة عظيمة بسبب عصبتهم فاراد أن يرتب
عصبة تعادلها ولا تخرج عن القائلين من امراء الايبراطورية
فترقت هذه العصبة وسُميت باسم العصبة المقدسة ولكن لم تكن الا مجرد
البدافعة عن دين الكنيسة وتأيدته لانهن دين المعتزلة ونسخه وكان هارو

مطلب
العصبة التي ترتبت
لمعادلة عصبة المعتزلة

(سنة ١٥٣٨)

لم يرتب تلك العصابة الابطريق النيابة عن الاميراطور حيث كان قد فوض له الامر فيما فعل ومع ذلك انكرها الاميراطور فيما بعد ولم يدخل بها من الامراء الا افراد قلائل

مطلب
خوف المعتزلة وفزعهم

وقد علم المعتزلة بهذه العصابة مع الاعتناء الكلي بكتباتها واخفاء امرها عنهم وكانت قوسهم دائما غير مطمئنة فكافوا بخسونة حدوث امر يضرب بينهم الجديدي وحققتهم فزع كبير من تجدد هذه العصابة وظنوا ان الاميراطور قد عزم على نسخ مذاهبهم وابطالها فبناء على ذلك اخذوا يحترسون منه فجعلت عصبتهم تكثر من عقد الجاهل والمذاكر وتداول مع كل من ملك فرنسا وملك انكلترا بل وصاروا يتذكرون في شأن جمع العساكر والاموال التي فرضوها على كل واحد من ارباب العصابة في المشاركة المنعقدة بمدينة سمالكاد ولكنهم عاقليل علوا ان هذا الفزع لم يصادف محلا وان الاميراطور محتاج الى الصلح وبقاء الراحة بسبب دمار قواه وعساكره في حربه مع ملكة فرنسا فلا يريد ما يوجب تعكير بلاد المانيا وازالة الصلح منها وذلك ان المعتزلة لما اجتمعوا برسل الاميراطور في مدينة فرنكفورت راوا انه لم يعوم على شيء مما اتهموه به فانحط الرأي في هذه المدينة بينهم وبين رسل شريكان على ان مارخص لهم فيه سابقا لاسيما في المشاركة المنعقدة بمدينة نورمبرغ بين على ما هو عليه حسبا ووقع عليه الاتفاق مدة خمسة عشر شهرا وانه في ظرف تلك المدة لا يصدر من الديوان الاميراطوري حكم عليهم بشيء وان تعقد مشورة يحضرها بعض افراد من علماء اللاهوت بعضهم من طرف الكنيسة وبعضهم من طرف المعتزلة ليقتضوا في المسائل الخلافية ويجتروا شروط الصلح التي تعرض على مشورة الديانة حين انعقادها ولكن لم يقرر الاميراطور هذا الاتفاق صراحة خوفا من غضب البابا حيث أبدى ان البند الاول يضرب بمصلح الكنيسة ومع ذلك عمل بمقتضى هذا الاتفاق حرفا بحرف حتى ترتب على ذلك تمكين اساس الحرية الدينية التي كان المعتزلة يجتهدون في طلبها

مطلب
ادخال دين المعتزلة
في بلاد سكس

(سنة ١٥٣٩)

دوق سكس فكان موته معينا على نشر دين المعتزلة وتوسيع حائزته وكان
 هذا الامير كبير فرغ امره ~~سكس~~ الصغير وكان له من حيث كونه ملق بـ
 مسينه وتوريجيه اراض واسعة جدا من جلتها مدينة درسد و مدينة
 لبسبك وغيرهما من اعظم مدائن بلاد هذا المنتخب وكان من اكبر اعداء دين
 المعتزلة فكان يقر منه بقدر ما كان غيره من الامراء المنتخبين يؤيده ويدافع
 عنه فكانت لا تغتره همة في مناقضته لانه كان متمسكا كل التمسك بالدين
 القائلون في فادع ذلك في قلبه بدعا واوهاما مفرطة خصوصا وكان يبغض
 لوتير حتى كان لا يستطيع النظر اليه وكان الفرع الاخر من عائلة سكس
 يدافع عن الدين الجديد وبعضه وكان بين الفرعين منافسة فلذا كان الامير
 جورجي المذكور من اقوى الموانع لتقدم دين المعتزلة واتشاره وحيث انه
 مات ولم يعقب ذرية انتقل ميراثه الى اخيه الامير هنري كبير الفرع الاخر
 وكان يميل الى حزب لوتير بل كان ميله الى دين المعتزلة يفوق ميل جورجي
 الى الدين القائلون ~~سكان~~ كان جورجي لشدة ميله لدين الكنيسة قد سحر
 وصية قبل وفاته ذكر فيها أن جميع اراضيه تكون هبة منه للاميراطور وللك
 الرومانيين ان اراد اخوه هنري اتباع دين المعتزلة والعدول عن الدين
 القائلون فيجبروا استيلاء هنري على اراضيه وحيازتها لم يلتفت الى تلك
 الوصية بل دعا عدة من علماء المعتزلة وكذلك لوتير الى الحضور بمدينة لبسبك
 فلما حضر واهلها حصلت منهم الاعانة لهذا الامير فمضى في طرف بعض اسابيع
 من بلاده الدين القديم ونشر بها اعلام الدين الجديد وفرح رعاياه بذلك كل الفرح
 بحبسه على وفق مرامهم وانما كان اميرهم المتوفى يمتنعهم عن هذا الدين بطريق
 القهر والا كراه فيه هذه الحادثة فبغت طائفة المعتزلة من الاخطار التي كانت
 عرضة لها يبغض الامير جورجي دينها لاسيما ~~سكان~~ كان متمسكا منهم
 حيث كانت اراضيه في وسط بلادهم فأرأوا بعدموته دائرة اراضهم قد اتسعت
 وصارت متصلة ببعضها بكاد أن لا يتخللها فاصل من شواطئ بحر بلطيق الى
 شواطئ نهر الرين

(سنة ١٥٣٩)

مطلب
قيام العساكر
الإمبراطورية
وفروجههم عن
الطاعة

وبعد انعقاد مدينة عيسه بفيض أيام حصلت حادثة علم بها اهالي
اوربا أن الإمبراطور لم يعدل عن الحرب الاكويه رأى أنه لا اقتدار له عليه
وأن مصالحه لا تسوغ له ذلك حيث كانت عليه مبالغ جسيمة من ماهيات
عساكره وكان يلاهيهم ويضادهم بالمواعيد ويرتخف لهم القول لكن لما رأوا
أنه بسبب الهدنة صار لا يحتاج اليهم ولا يجنبهم اذا طلبوا منه ماهياتهم عيل
صبرهم وعصوا دفعه واحدة واظهروا أنهم يريدون اخذ استحقاقهم بطريق
الثور والغلبة ولم تكن هذه الفتنه مقصورة على بعض دول الإمبراطور دون
بعض بل عت سائر بلادهم * فلما العساكر الذين كانوا بدوقية ميلان
فتهبوا القرى وبلاد الارياف واغزووا تحت هذه الدوقية * واما المهافنون
الذين كانوا بقلعة غوليطة فابذوا أنهم انهم يعطوا استحقاقهم فلما مانع
ينعهم من تسليم هذه القلعة الى بربروس * واما العساكر الذين كانوا
بجزيرة سيسيليا فتعلوا ما هو اعظم من ذلك حيث انهم بعد أن طردوا
ضباطهم وولوا على انفسهم ضباطا آخرين هزموا سرية ارسلها اليهم نائب
الإمبراطور وتغلبوا على عدة مدائن ونهبوها وسلكوا في قتل الغاية الالتئام
والضبط والربط حتى كأن حروبهم ناشئة عن نظام تام وادارة محكمة لا عن جنة
عسكرية تمز ولا تستقر ولا يتيسر معها انتظام ولا ضبط وربط ولكن لحزم رؤساء
الإمبراطور ومهارتهم اقترضوا اموال ابايحهم واباسهم وضرب كل منهم مغارم
جسيمة على مدائن الاقاليم التي كان مقبها بها حتى جعوا المبالغ اللازمة لصرف
ماهيات العساكر وسكنوا الفتنه وبعد ذلك سرحوا معظمهم ولم يبقوا منهم
الا بقدر ما يلزم لحفظ القلاع والمدائن الكبيرة وحفظ سواحل البحر من اغارات
الدولة العثمانية

مطلب
انعقاد مشورة
وكلاء مملكة
قسطيلة في مدينة
طليطلة

فلو فور حظ الإمبراطور اتقذته مهارة رؤسائه من هذا الخطب الذي كان
لا يمكنه بفرده أن ينجو منه ولم يكن تحت نظره بما يوفى به استحقاق عساكره
الا الامداد الذي كان ينظره من اهالي مملكة قسطيلة فبناء على ذلك جمع
مشورة وكلاء تلك المملكة بمدينة طليطلة وعرض عليهم المبالغ الجسيمة التي

(سنة ١٥٣٩)

صرفها في الحرب وبين لهم ما عليه من الديون لجة وطلب منهم أن لا يعطوه
من الامداد والاسعاف ما يستسبونه بالنظر لحالته الراحة وأن يضربوا ذلك
مغرمًا على جميع البضائع وفروع التجارة ولكن كان اهل اسبانيا اذ ذلك
ملزومين بفارم لم تكن تعهد عند آباءهم واسلافهم كانوا ينشكون غالبًا من فقد
اموالهم ورجالهم في حروب لا تقضم ولا يعود عليهم منها فنع فكأنوا مصممين
على أن لا يكفروا انفسهم بفارم جديدة ولا يعينوا الايمبراطور على حرب يضرب
ببلادهم كالحروب السابقة لاسيما الاشراف منهم فانهم ناقضوا في المغرب
المطلوب وابدوا انه يضرب باعظم من اياخر قتهم وهي مهاقاتهم من المغارم على
اختلاف انواعها وطلبوا المفاوضة مع وكلاء المدن في شأن حالة الله وعرضوا
على الايمبراطور انه ان اقتدى بسلفه ولا ترم الامة ببلاد اسبانيا ولم تعرض
الى المصالح التي لا تقصر الدول الاسبانية لفايراد التناج يكتفي بل يزيد عما يلزم
للحكومة من المصاريف وامام ادم يعدل عن ستم وعمل في تلك الواسطة التي
يشأ عنها ثروة الله وتقود كلها فسيه في ضرب مغارم جديدة على الملك
الاسبانية لولية محض فلم تعسف فسلك الايمبراطور مع ارباب تلك المشورة
مسلك التبرع والمواعيد والاستدلال والبرهنة ليستميلهم اليه فلم يجد ذلك نفعا
فخسر فهم واحشاؤه تلظى ومن يومئذ لم يدع الاشراف ولا القسوس الى
مشورة القرطس وسبب ذلك هو ما قيل انه اذا انعقدت مشورة القرطس
وكان الغرض من انعقادها ضرب مغارم جديدة فلا يدعى لحضور خرفة
القسوس والاشراف اليه لان من لا يدفع شيئاً لاحقه في ابداء الرأي وصار
لا يقبل في تلك المشورة اذا اجتمعت الاله كلاء المذاق الثمان عشرة المتقدمة
وكاواسنة وتلاثين لان كل مدينة منهما كانت تبعث رسولين وكان يتألف
منهم مشورة ليس لها من الصولة ولا من المقام والاعتبار ما كان لمشورة
القرطس سابقا بل كانت تطيع الديوان الايمبراطوري في جميع الامور
ولا تخالفه في شيء مما تحصل في شأنه المذاكرة فن ذلك أن اشراف قسطنطينة
لعدم تبصرهم وقلة حزمهم أيدوا المزايا الملوكية وقاموا بانصرتها حين خرجت

مطلب

تشكى ارباب المشورة
وتطلبهم

مطلب

ابطال الرسوم القديمة
التي كانت بمجمل
لمشورة القرطس

(سنة ١٥٣٩)

الجميعات البلدية عن طاعة الملك سنة ١٥٣١ فاضر ذلك بوصاية
الاشراف حيث ان الاشراف المذكورين باعائهم لشرلكان على خفض
طائفة من طوائف المملكة وهي طائفة الاشراف على العموم اضعوا التعادل
الذي كان حصناميها القوانين المملكة وساغ لشرلكان ومن خلفه
أن يخفضوا تلك العصاة ويجزروها عن أبي مزايها واعظمها
ومع ذلك فكان باقية الاعيان اسبانيا شوك عظيمة وخصايص مجسية
يدافعون عنهم الكبر والعنوة الذي كانوا ممتازين به عن غيرهم من الامم وقد وقع
للإمبراطور مدة انعقاه مشورة العموم بمدينة طليطلة ما يده على ذلك
بقدرة اتفاق ذات يوم أنه كان راجعا من ملعب التورنولس ومعه
معظم الاشراف فهم احد جاويشية ديوانه أن يصح له طريقا من الزحام فضرب
بعضه فرس الأمير دوق دولاقتانادو فغضب هذا الدوق وسل حسامه
وضرب به الجاويش فجرحه فغضب الإمبراطور من جسارة هذا الدوق امامه
وضرب به الجاويش بمحضرة وأمر الأمير رونكيلو وكان من ضباط ديوانه
أن يقبض حالا على الدوق فتقدم رونكيلو ليقبض عليه هلا بالامر فلم يمر
الا حاكم المدينة قد قبض عليه متعللا بأن من مزاي منصبه ووظيفته أن يحكم
على اعيان اسبانيا وذهب بالدوق دولاقتانادو الى منزله فسر لذلك
جميع الاشراف الذين كانوا حاضرين لمأفاه من المداخلة عن مزاي طائفتهم
وتركوا الإمبراطور ومحبوا حاكم المدينة القصر وهم يدحونه على فعله
فاضطر الإمبراطور الى الرجوع وليس معه الا الكردينال طاويرة ولحقه
من ذلك غضب شديد لكنه رأى أنه ان تعرض لمن أسامه بشئ فقد عرض
نفسه الى الخطر لان طائفة الاشراف كانت شديدة البأس وكانت ادنى اساءة
تخرجها عن اطوارها وتؤديها الى ارتكاب ما لا يرتكب فعوضا عن كونه
يشدد في هذا الامر ويظهره بقوة ومزايه الملوكية عمل بما يقتضيه الحزم
من الأغضاء عن سفاهة هذه الطائفة القوية الشوك حيث كان يعلم أنه
انفذتى لعقابها عرض نفسه للخطر وارسل في صبيحة اليوم الثاني الى

مطلب
بيان كون اعيان
اسبانيا كان لهم مع
ذلك مزاي كبيرة

(سنة ١٥٣٩)

الدوق ولا تها تادو في مته وعرض عليه أن يخاف الجاويش كيف شاء
فراى الدوق أن تسليم الايمبراطور له بهذه المشابة ~~يسكنى~~ في التوفية بحقه
واصلاح ما حصل له من الاساءة فصنع خلا عن الجاويش بل وانحفه بهديه عظيمة
في نظير جرحه وعما قليل تنوسيت هذه الدعوى ولم يبق لها ذكر ولولا أنها تدل
ايم الدلالة على كبر اشراف اسبانيا وحريتهم وعلى نباهة الايمبراطور
وحزمه لكونه راعى في ذلك مقتضيات الاحوال لما كانت بجديرة
بالذكر في التاريخ

مطلب

عصان مدنة غنده

ولكن لم يحصل من الايمبراطور مثل هذا الحلم في حق اهل غنده حين عصوا
عليه بعد ذلك بمدة قليلة وكان سبب عصيانهم أنه في سنة ١٥٣٦
من الميلاد حصلت حادثة افضت بهم الى الخروج عن الطاعة فانشر عصيانهم
بتلك المدينة الزاهرة وذئ أن ملكة الجهار لما كانت حاكمة في البلاد الواطية
وجاها امر من اخيا شريكان بالاغارة على مملكة فرانسما يميكنها
جمعه من القوي والعساكر جمعت مشورة جموم الاقاليم المجتمعة فرضى ان بابها
ان يجمعوا لها الف ومائتين من الثلوران (نوع من النقود) لتستعين بها على
الحرب فغضب على قوتية الملك ثاث هذا المبلغ وكان اعظم مدن هذه
القوتية مدينة غنده وكان لاهلها تجارة واسعة رابحة مع مملكة فرانسما
فكانوا لا يريدون الحرب مع الفرنساوية فلما طلب منهم ما يخصهم من المبلغ
المذكور ابوا دفعه متعللين بأنه بموجب الشروط بينهم وبين آباء الايمبراطور
لايسوغ أن يضرب عليهم مفرم ايا ما كان الا عن رضائهم بدون الزام وكانت
ملكة الجهار تقول ان هذا المبلغ حيث اقترنه مشور وجموم الملك وكان وكلاء
غنده من جهة ارباب هذه المشورة ولو لم يصدر منهم تصديق يجب على هذه
مدينة أن ترضى بما حكمت به تلك المشورة لأن من الاصول التي
ينبغي عليها نظام كل جمعية ولا يتم الا من بدونها أن رأى الجمهور يغلب
على غيره فلا يصح أن يعمل بمقتضى رأى وكلاء تلك المدينة وبلغى رأى غيرهم
وهو الجمهور

دعوى اهل غنده

(سنة ١٤٣٩)

فلم يعبأ اهل غننده بهذه العلل حيث **ك** انوا متعودين في عهد العشرة
 البورغونية على التمتع بزايا وخصايس واسعة وعلى الحلم ولين الجانب من
 طرف حكاهم فلم يرالوا معصيين على عدم دفع ما ضرب عليهم وأبوا أن يطيعوا
 الملكة التي كان **ك** معها عليهم بطريق النياية ولم يقبلوا امرها في شئ بضرة
 بحقوقهم ومن اياهم التي طالما ادعوا عنها ملوكهم الاقدمين وظفروا بجراسهم
 فجاءت الملكة اولاً لتسليمهم باللين والرفق وتسلط معهم مسلط الحلم لتدخلهم
 تحت الطاعة فلم يملك اذلك فلعقها غضب شديد وامرت بالقبض على كل من كان
 في مملكة البلاد الواطية من اهل غننده ولكن مثل هذه الطريقة لا تؤثر
 في رجال كانت حيتهم شديدة من وجهين مختلفين وهما بغضهم لظلم وحبهم للحرية
 فلهذا غضبهم من هذه الملكة لم يلتفتوا الى ما يترتب على عصيانهم من المصائب
 التي تضرب بانسابهم ووطنهم واصحابهم بل احتقروا امرها وبعثوا رسلا الى سائر
 المداين **ك**ية يعرضونها على عدم التخلي عنهم في هذا الخطب حيث
 انه امر مشترك بينهم وبينها وطلبوا منها أن تنضم الى حزبهم لتتصرف بالمحقوقهم
 ويؤيدوها وانه لا يليق بهم أن يقرعهم مفاهة امرأة لا تعرف من اياهم او تعرفها
 ولا تحترمها فاجابت تلك المداين أن تنصعب على الملكة ما عدا بعض مداين صغيرة
 وانما لو اطأ بهضامع بعض على أن تخرج الملكة أن تبقى هذا المغمرم المضروب
 على اهل غننده حتى يعثوا رسلا الى الايمبراطور في اسبانيا يعرضون
 عليه ما لهم من المنزلة التي وجبها **ك** ونون معافين من دفع ما ضرب عليهم
 وعرضوا هذا الرأي على الملكة فتوقفت اولاً ثم رضيت فتوجه الرسل الى
 اسبانيا فوجدوا في الايمبراطور من الكبر والعنومة ما لم يجدوه في اسلافه من
 المرنفاهم أن يطيعوا اخته كطاعتهم له واحال تحقيق دعواهم على مشورة
 مدينة مالينس. وكانت هذه المشورة جراً من برلمان قوتية الفلنك
 فكان يسوغ لها أن تحكم في المصالح الجسدية كجانبيا لا يقبل النقص فحكمت
 بأن دعوى اهل غننده لاغية وانقضت بدفع المغمرم فوراً

مطلب
 عصيان اهل غننده وعرضهم
 على ملكة فرانساً أن تدخل
 مد يدتهم تحت حكمها

عليهم اليأس والقنوط حيث رأوا أن المشورة التي هي قرار العدل ومحل
الاتصاف قد خانتهم وغدرت بهم وحكمت عليهم بغير الحق مع أن حقها
أن تعضدهم وتأخذ بناصرهم فعصوا جميعا وشهروا السلاح وطردوا من
مدنتهم جميع من كان مقبلا بها من الاشراف وقبضوا على طائفة من ضباط
الاعمال وروبعوا يعذبون ضابطاتهم اتهموه بأنه اخفى او مرق الدفتر الذي
كان محتويا على قوانين معاقبتهم ورتبوا فوراً مشورة فوضوا اليها ادارة
مصلحتهم وصدرت منهم اوامر باصلاح التخصينات القديمة وأنشاء ما يلزم من
التخصينات الجديدة ونشروا لواء العصيان والمروج عن طاعة ملكهم الا انهم
لما كانوا يعلمون أنهم لضعف شوكتهم لا يمكنهم مقاومته بجفردهم ارادوا أن يتخذوا
اهم نصيرا يعينهم على بطش عدوهم فصعدوا على ارسال رسل الى الملك
فرنسيس يعرضون عليه أنهم يراعونه بالتكلم عليهم بل ويعينونه حق الاعانة
على التغلب من مملكة البلاد الواطية على الاقاليم التي كانت سابقا لتاج فرانس
وحكم بعضها اليها في الامر الصادر منذ قليل من رلمان باريس ولا ينبغي
أن عرض مثلي ذلك من اماس يحكمهم أن يجروا بعضه حالا ويعينوا حق الاعانة
في تميم البعض الآخر كحقه أن يفتر فرنسيس لشدة طمعه وحرصه
ويدين عليه آمالا واسعة لان قوتية الملك وقوتية ارنوازة كانتا
اعلى مقداراً من دوقية ميلان التي كان فرنسيس يود الاستيلاء عليها
ومكث زمنا طويلا وهو يصرف في ذلك مصاريق وابعدة ويوزل بمجهودات
كثيرة ولم يمكنه الطفر بمقصوده في شأنها واقرب هاتين القوتيتين من مملكة
فرانسا كان يسهل عليها الاستيلاء عليهما وحفظهما اكثر من الدوقية
المذكورة وكان يمكنه أن يجعلهما مملكة مخصوصة يولي عليها ابنه الامير
دوق دووليان وتكون جذيرة بتمامة كالمملكة التي كان ابوه يعددها له وكان
من الجائز ان اهل الملك لمعرفتهم باخلاق الفرنسيات وحكمهم لا يتوقعون
في الدخول تحت طاعتهم وأر الفرنسيات لتعبيهم وتقادقواهم في حروب بلاد
إيطاليا يرغبون في الحرب بمملكة البلاد الواطية ويعتنون به فلا ينجيب

(سنة ١٥٣٩)

مطلب

اعلامه للإمبراطور

بمقاصدهم

ولم يكتف فرئيس بردهم وعدم ايجابتهم بل لعلامة باطنه اخبر الايمراطور
بما وقع بينه وبين رعاياه انظار حين عن طاعته واعلم بما وقع عليه من مقاصدهم
والوسايط التي يريدون الاحتراس بها فلما رأى الايمراطور ذلك من الملك
فرئيس أمن من جهته وزالت عنه الريبة والوسواس وكان قد بلغه
ما هو حاصل في مملكة البلاد الواطية من تجاوزة اهل غندة الحدود
في الخروج والعصيان وكان يعرف اخلاق اهل هذه المدينة وجميعهم وحبيهم
الحرية وتولعهم بزياتهم وعوايدهم القديمة وعقوتهم وبطأهم في اجراما عزموا
عليه من المشروعات وكان يعلم انه لو أعانهم ملك فرانسا لظهروا عليه
وظفروا بجراسهم فلما بلغه ما فعله فرئيس معهم وصار آمنا من جهته
استرعى ما كان يحصما عليه من وجوب المبادرة الى اطفاء نيران الفتنة وبذل
الجهد في هذا الغرض تحت اذنه قبل اتساع تفرق في هذه البلاد اقوية الشوكة
لصكثرة مدائنها واموالها ورجالها فذكر زمنا طويلا ثم رأى أن الاسلوب
أن يتوجه بنفسه الى مملكة البلاد الواطية وكان ذلك على مرام اخته لانها كانت
تلمح عليه بالفرار الى هذه المملكة وكان له من حيث السير اليها طريقان يختار
ما شاء منهما اما أن يسافر الهابزا بأن يجوب بلاد ايطاليا والمانيا او بحرا
بأن يسافر من احدى مينات بلاد اسبانيا حتى يصل الى احدى مينات مملكة
البلاد الواطية فاما الطريق الاولى فكانت طويلة المسافة بالنظر لتقتضيات
الاحوال اذ ذلك لان مثل هذا الغرض يلزمه المبادرة والاسراع لاسيما وطريقه
من بلاد المانيا فيلزمه من حيث كونه ايمراطورا أن يأخذ معه اتباعا كثيرة
وعساكرا لاجل الاحتراس لانه ربما كان لا يأمن على نفسه وذلك يعطله
وتطوله الشقة واما الطريق الثاني فكان مزاج الفصل يمنعهم من السفر بحرا
لاسيما وكان بينه وبين ملك انكلترة منافسة ونزاع فيلزمه أن يأخذ معه
ادواتا عظيمة لاجل حرسه وخفزه فلما كانت تلك الموانع تمنعه من ترجيع احدى
الطريقين على الاخرى خطريه امر غريب ورجع اعاد في الظاهر من الجنون
وهو أنه يريد المرور بمملكة فرانسا لانها اقرب طريق الى البلاد الواطية

مطلب

مذاكرة الايمراطور

في شأن سفره الى مملكة

البلاد الواطية

مطلب

عرضه المرور بمملكة

فرانسا

(سنة ١٥٣٩)

فعرض على ديوانه استئذان الملك فرنسيس في ذلك فلم يوافقته احد من ارباب
الدويان على هذا الرأي ونظروهم أن ذلك من باب النخاطرة وأبدوا له أن هذا
السؤال لا يليق من جميع الوجوه وذلك أنه لا يخلو إما أن يجيبه بالنعم وذلك يحط
بمقامه ويرزى بعرضه وإما بالايجاب فيوقع نفسه في الخطر حيث يصير بذلك
بين ايدي عدو أساء غير مرة فهو يود الانسحاب منه لاسيما وكانت اسباب
الحرب ثم تترك باقية بينهما فلم يصغ الامبراطور لكلامهم بل مازال معهم اعلى
هذا القصد لأنه كان يعرف طبع فرنسيس أكثر من جميع وزرائه وارباب
ديوانه فآخبرهم أن مروره بمملكة فرانس ليس فيه ادنى خطر بل ينال به
مطلوبه من غير أن يكاف شيئاً يضر بشاحه

فآخبر بقصده رسول فرنساوية الذي كان في ديوانه وبغث الى مدينة
باريس وزيره الاعظم يستأذن فرنسيس في المرور بمملكته ووعده
بأن قضية ميلان ستم له عن قريب وترجاه أن لا يشتد في طلبه وواعده
اخرى غيره بهذا الوعد وأن لا يدق في المواعيد التي وقع الاتفاق عليها سابقا
حتى لا يظهر أن الحامل له على قصدا عطاه دوقية ميلان وهو الضرورة
والحاجة لاعلاقات المحبة وحب العدالة وإما فرنسيس فلم يدرك ما رآه
الامبراطور وخداه مع ظهيرة وعدم خفائه على اولى الالباب بل عول على
أن الاولى للانسان أن يحسن لمن اساء اليه لاسيما وكان قد فرح فرحا شديدا
بما بلغه من المدح على بدء لاهل غندة وعدم قبوله لما عرضوه عليه فاجاب
الامبراطور الى ما طلبه لأنه كان يظن في الامبراطور ما يعهده في نفسه
من الصدق وخلوص الطوية فظن أنه اذا أكثر من حسن معاملته واسداء
المعروف اليه يحمله ذلك على الوفاء بمواعيده ويكون هذا الطريق اشد تأثيرا
من ان يزمه ذلك بموجب مشاركة أكيدة

ولما كان الوقت عزيزا عند الامبراطور شرلكان سافر فوراً ورعيته في وجل
وفزع عليه حيث لم يصعبه في السفر الاشخاص قلائل نحو مائة نفس ولكن
مع قلة هذه الدائرة المصاحبة له في السفر كانت دائرة ذات بهجة ورونق

مطلبه
رضاء الملك فرنسيس

مطلبه
ادخول شرلكان
في مملكة فرانس

(سنة ١٥٣٩)

فلما وصل الى بليون وهي مدينة على ضواحه مملكة فرنسا تلقاه فيها
كل من ابى الملك فرنسيس وهما الدوفين اى ولي مالهذ والامير دوق
دوليان وكان معهما الامير مونتوردانى وعرض عليه ان يذهب الى
اسبانيا ويكنسها ويكون بمنزلة الرهينة حتى يعود اليها سالما غافلا فم يجهم
الى ذلك بل قال ان الرهينة هي مروة ايكا فلا عول على غيرها وكان كلسر
على مدينة تلهرله من الاحترام لتجبل مالا يزيد عليه فكانت تقاسف
في نعطيه وتشريفه حيث كان الحكماء يسلمون اليه فقايعها وفتح السجون
فلورأت ما كان يؤدي له من التشرىفات يومئذ لطيفت أنه ملك فرنسا
لاملك اجنبي عابري سبل وذهب الملك فرنسيس الى مدينة شاتلوروث
لاجل ملاقاته فيه على اجتماعا ظهر كل منهما للاخر صدق المحبة واكية المودة
وسارعا حتى وصلا الى مدينة باريس وتعجب اهلهما حين رأوا هذين الملكين
بعد الحرب والشقاق الذى وقع بينهما مدة عشرين سنة وترتب عليه تعكير الادل
الافرنج فقامها قد خلا مصطعين مع الابية والاحتفال ويظهر ان بعضهما
الصدقة حتى كأنهما نسيا ما مضى بينهما من الاساءة وصمما على أن يعيشا مدة
حياتهما في صلح مستقر لا ينقض مرى الايام والليالى

(سنة ١٥٤٠)

واقام شريكان في مدينة باريس ستة ايام وكان ديوان فرنسا
الملوكى يدي له من انواع التشرىفات والافراح مالا يزيد عليه وكلوا
يتنوعون في ذلك لاجل ادخال الحظ والسرور عليه ومع ذلك كان في قلق من
الملك بفرانسا لانه كان يود الارتحال الى البلاد الواطية ولم يكن سبب
هذا القلق مجرّد لزوم حضوره الى تلك البلاد بل كان سببه ايضا خوفه من
الاقامة عند عدوه وذلك انه لمحب طويته كان في رعب شديد فكان يخشى
أن يظهر منه ما يدل على ما في هميره فيدركه خصمه او يرتاب منه ويومع أنه نفيج
في اخفاء سره عن الناس كان يخشى ايضا أن يغلب فرنسيس مقتضيات
المصلحة على شعار المرومة وشرف العرض فينتز فرصة حصلت بين يديه نعم
قليل فخط رأى بعض وزراء فرنسا على معاملة الاليم براطور بما في نفسه

مطلب
قلق الامبراطور

(سنة ١٥٤٠)

فغزموا على عقابه في نظير ما وقع منه غير مرة من القدر والحياسة وارادوا القبض عليه حتى يوفى بحق مملكة فرنسا الا أنه لم يـمـكـنهم أن يستميلوا فرنسيس الى تقض ميثاقه وعهده ويفهموه أن شرلكان بعد ما صدر منه من المواعدة وحسن معاملته بهذه المنابة لا يستعد عليه أن يخون كما خان قبل ذلك ~~كـثـيـر~~ من مرة بل يحبه فرنسيس الى مدينة سفت كتنين غرورا بمواصليهم ووثوقا بعهده واما ولداه فانهما كما قالوا على حدود اسبانيا لم يتركاه الا بعد دخول مملكة البلاد الواطية

ولما وصل الإمبراطور الى دوله جعل رسل فرنسا يلحون عليه أن يني بوعده ويحل في دوقية ميلان فتعلل بأنه الآن مشغول بتسكين القسنة من مدينة غندة وطلب منهم مهلة جديدة ولثلاثين يوما حتى فرنسيس التتريدها عنه ويخاطبه بلسان المحادعة كما كان يفعل ذلك معه متدقا فامته بمملكة فرنسا بل كتب اليه في هذا الشأن كتابا الطنب فيه لكن ايهما الشاغل وعباراته ليكنه تأويل متشابه فيما بعد

واما اهل غندة فلم يكن لهم رئيس ذو اقتدار على ادارة مصالحهم وقيادة عساكرهم وكان ملك فرنسا قد تخلى عنهم فلما لم يجدوا في اهل بلادهم من يأخذ بناصرهم اذ أنه لا يمكنهم مقاومة الإمبراطور وكان اذ ذلك في اثبت الحقد والغضب عليهم فصارت اهاب لقتالهم مع طائفة كبيرة من العساكر جمعها من البلاد الواطية وطائفة اخرى جمعها من بلاد المانيا وطائفة ثالثة جاءت من بلاد اسبانيا بطريق البحر فلما احتاطت بهم الاحوال والاختار احسوا بهزيمهم وعدم اقتدارهم على المقاومة وداخلهم الرعب والخوف فبعثوا رسلا الى الإمبراطور ليطلبوا منه الصفح والعفو ويعرضوا عليه أنهم يقضون له ابواب مدينتهم فلم يجيبهم شرلكان للما بقله اني لا تظهر بين اظهركم ويسدى قضيب الملك والحسام وتوجه اليهم مع عساكره ولم يرض أن يدخل المدينة الا في الرابع والعشرين من شهر شباط وهو يوم ولادته لكن اغضبه لم تأخذه الرأفة والشفقة على ثلاث المدينة التي كان بها مولده قتل ستة وعشرين

مطلب

كذب الإمبراطور

في ٢٤ من شهر

كانون الثاني

مطلب

فتح اهل غندة

مطلب

عقاب الإهالي في ٢٠

من شهر نيسان

من اعيانها ونفى اكثر من ذلك وجرّد المدينة عن جميع من اياها وخصايصها
وضبط على ايرادها بجانب المعوى ونسخ صورة حكومتها القديمة وانا ط تقليد
حكامها بالايمراطور وخلفائه ورتب بها طرقا جديدا في الادارة والقوانين
ولاجل منع اهلها عن الخروج والعصيان انخط الرأى على أن يبنى بها قلعة
وضرب على اهلها مفر من الاموال يبلغ مائة وخمسين الف فلوران (نوع من
النقود) ليصرف في بناء تلك القلعة وضرب عليهم ايضا مفر ماسنوي باقدرة
ستة آلاف من الفلوران لاجل مصاريق من يجعله في القلعة من المحافظين
وكان تشديد شل كان على مدينة غندة عبرة لغيرها من مملكة البلاد
الواطية فكانه اتميز تلك الفرصة ليقع في قلوب اهل تلك البلاد الخوف والرهيب
ويرعبهم موته وشدة بطشه فذكر دعليهم بقدر ما كانت من اياها وخصايصهم
التي كان بعضها عمرة قبحارتهم وبعضها سببا في ازديادها واتساع دائرتها تحصر
شوكته الملوكية في حدود ضيقة وتضد عليه آماله وما ربه وتمنعه عن تخييز
اضراره ومشروعاته

مطلب
امتناع شل كان عن
التوفية بوعده في شأن
دوقية ميلان

ولما انتقم الايمراطور من اهل غندة وممكن حكومته في مملكة البلاد
الواطية وصان لاحاجة له بكتمان ما في صغيره واختفاء مقاصده عن الملك
فرنسيس جعل يرفع بالتدريج الحجاب الذي كان الى ذلك الوقت يستتر به
مقاصده في شأن دوقية ميلان فحاول اولارسل الفرنساوية حين طلبوا منه
الوفاء بوعده ثم عرض أنه يعطى الدوق دورليان قوتية القلعة عوضا
عن دوقية ميلان ولكن اشترط امورا غير مقبولة كان مصحما على نقضها
وعدم تنفيذها فلما الخ عليه هؤلاء الرسل وسألوه أن يجيبهم بجواب قطعي
يخبرون به سيدهم ورأى أنه لم تنق له حيلة يجاولهم بها في أن يحرم نفسه من تلك
الدوقية المهمة بمحض الحلم والكرم ورأى أنه لا حاجة له بحلم بضع قوته
ويقوى شوكة عدوه فانكر أنه صدق وعده بهذا الامر الغير المرضي الذي
يضر به وبمصلحه

ولاشك أن هذه الفعلة هي اقبح شيء فعله الايمراطور وما يلام به عليه الى برزى

(سنة ١٥٤٠)

بخفاره ويدفع عرضه فانه وإن كان لا يصدق في الوسائل التي توصله الى مقصده ولا يعتنى بمراعاة دعائم الشرف والصدق إلا أنه كان الى ذلك الوقت لم يظهر به تلك اصول التساهل التي يتخذها الملوك قاعدة في سلوكهم ويرون ممراعاتها من الامور المحتمة عليهم ولم يبلغ في ذلك هذا المبلغ ولكنه قصد في هذه المرة غش ملك حلیم سليم الباطن حسن الطوي يتوسل في التحصيل معه مسل كما دميما ليخرج في ذلك ولم يلتفت الى ما ابداه له من المهية وحسن الصنيع والمعاملة بل جازاه بانقيته والغدرو مثل ذلك لا يليق بعلاوته وورقة مقداره كالا يليق بعظم مقاصده وسعة آرائه

وكما أن الإمبراطور استحق اللوم على غدره وخيائنه كذلك فرنسيس استحق أن يحتقر بسبب بطلانه وتقصيره ووفوقه وذلك أنه بعد اذ امانه على التفات يرب بطول مدة حكمه وما شاهد من الإمبراطور من الخداع والخيانة عذما ابداه في هذه الفرصة حماقة وغباوة استحق بها ما لا فاء من الإمبراطور واخذ يشكي ويتظلم من غدر الإمبراطور حتى كاد أن هذه اول مرة حصلت منه وتأثر كما هو العادة من هذه الاساءة لما فيها من احتقاره والاضرار بمصالحه اكثر من غيرها حتى جزم الناس لما رأوه من حقدته وشدة غضبه أنه ينتهز اول فرصة تلوح له في الانتقام من الإمبراطور وأنه سيقع في بلاد اوربا حرب اشده ولا وخطيرا من الحرب السابق

وقد اشتهرت هذه السنة بانشاء الطائفة القيسية المسماة باليسوعية وهي جدية بأن يتكلم التاريخ على قوانينها المحكمة واصول احكامها لما كان لها من المدخلة العقلية في المصالح القيسية والملكية واذا التفت الانسان الى سرعة ثروتها وتقدمها في الصولة ونموها في الكلمة وحسن ادارتها وشروعها في مقاصد عالية وعزمها على تمييزها حق عليه تعظيم منشئها ومؤسسها واعترافه بالفضل وحسن التدبير ويرى أن انشاءها لا يخطر الاياله من غاير بحر السياسة ويمكن منها كل الممكن ولكن فبني أن تقول ان هذه الطائفة هي كغيرها من الطوائف القيسية لم يكن لبقائها سبب الاجبة مؤسسها الاخرجه

مطاليس
امر البابا بانشاء
الطائفة اليسوعية

(سنة ١٥٤٠)

وحسن إدارته فان مؤسسها وهو اياناس دولوايولة الذي سبق ذكره بمناسبة الكلام على جرحه في محاصرة يميلون كان ذات حجة جاهلية وافكار معتلة وهوسية وقواعد في السلوك غير مرضية ومخالفة لاصول الملة النصرانية تحلدها ذكره واشتهرت سيرته وامره ولم تكن مقاصده الهوسية وما ربه الجنونية التي الجأته اليها شذو حينه الجاهلية وجاقته الطبيعية دون ما في سير القديسين الاقدمين من البدع والالوهام الخرافية الآن هذه ليست مثلها اجديرة بالذكر في التاريخ فاشتد حيمته اول تولعه بتحصيل الشوككة والشهرة لان التولع بهما لاتسلم منه نفس فعلق آمالها بصلاح خارج عن حد العادة طمعت نفسه في تأسيس طائفة دينية زعم أنه اوحى اليه في شأنها والههم ترتيبها وأنه يرتب قوانينها واحكامها على هذا المتوال كما قل ذلك عنه او عن بعض اتباعه على لسانه ومع هذه الدعوى التي ادعاها ليسهل عليه بها شين اغراضه ومقاصده لاقى في مبداه امره عوائق كبيرة وموانع كثيرة فكتب الي البابا اولاً بترجاه أن يقره على انشاء هذه الطائفة فردّه بحضرة جمعية من الكورديسالات كان قد عقددها لامتحان تلك القضية فانحط رأي اربابها على أن هذه الطائفة مع عدم نفعها تخشى عاقبتها لمرض البابا أن يقره على انشاءها الآن لولايولة استأله فيما بعد باحر وعده به لوعرض على غيره من البابات لرضي به وجنح اليه وذلك أن لولايولة عرض عليه أن يضيف الى الشروط الثلاثة التي تشترط على كل طائفة دينية وهي الفقر والعفة والطاعة شرطاً رابعاً وهو أن تلك الطائفة التي يريد انشاءها تكون للبابا ونطيعه طاعة خصوصية بحيث يلتزم كل فرد من افرادها أن يذهب في خدمة الدين الى حيث شاء البابا ولا تطلب من الكنيسة شيئاً من المصاريف وكانت شوككة البابا حينئذ قد ضعف بقيام عدة ملل على الكنيسة الرومانية وانحروج من مذهبها فقرر بانشاء هذه الطائفة التي يمكنه أن يقوم بها اعداءه فصد منه فرمان بانثائها وانهم على رجالها همزايوا وخصايص واسعة وجعل لولايولة رئيساً علياً وقد شهد له ما حصل فيما بعد بالاصابة والحزم في اقرار انشاء الطائفة المذكورة وقد دل ذلك على أنه ادرك أنهم استنفع

مطلب
حجة لولايولة الذي اسس
هذه الطائفة وافراط
غيره على الدين

مطلب
الاصحاب التي دعت
البابا في اقرار انشاء
تلك الطائفة

في ٢٧ من شهر ايلول

(سنة ١٥٤٠)

الكنيسة الرومانية كل النفع فلم يرض نصف قرن الا قد صار لهذه الطائفة نزل
واما كن في جميع البلدان المتسكة بالدين القائلين وازدادت شوكتها وثروتها
على وجه عجيب وتكاثر رجالها وامتازوا بالعارف والفاضل ولجبت بمدحها
السنة احباب الكنيسة الرومانية وصارت مهابة عند اعدائها ومعدودة من
امهر الطوائف الدينية واكثرها شجاعة وجسارة

واما قواؤها واصول احكامها فكانت تتبعها على يد كل من الرئيس. لينز
والرئيس اكيويوة وكانا قد تقلدا الرئاسة على تلك الطائفة بعد موت
لوايولة وكانا امهر منه في المعارف والادارة والحكم وان كان استاذهما
وامامهما فهما اللذان رتبا ما امتازت به تلك الطائفة من طرق الدساتير
والسياسة الا انه ينبغي نسبة الجدية الجاهلية المنسوبة بها قواؤها واحكامها
الى مؤسسها اعني لوايولة وقد حصلت عدة حوارث صار بها للطائفة
اليسوعية طباع واخلاق مخصوصة بها وصار لها مدخل في مصالح ذلك العصر
اكثر من غيرهما من الطوائف القيسية وكان لها ايضا صولة في ادارة هذا المصالح
لم تكن لغيرها من الطوائف المذكورة

وكان المفضل الاحلى من اغلب اصوب الدينية هو عزلة رجالها عن الناس
بحيث لا يكون لهم دخل في الامور الدينية كما ان الراهب او العابد اذا دخل
الخلوة واعتزل الناس لا يشتغل الا بما فيه نجاة روحه وحفظ نفسه من التفتش
والزهد في زهرة الحياة الدنيا فكانه قد مات وهو على قيد الحياة لكونه اعرض
عنها وصار لا يتبع الناس الا بصلاته ودعائه وبكونه اسوة لهم في الزهد والرغبة
عن الدنيا واما الطائفة اليسوعية فكانت بخلاف ذلك حيث كان رجالها
يعدون انفسهم انهم معدون لان يعيشوا معيشة دنيوية لا يعرفون فيها التفتش
والخمول فلم يكونوا الاعساكر متخفين دخلوا في هذه الطائفة لمحض الجهاد
والغيرة على الدين وخدمة البابا الذي هو خليفة الله في ارضه فكان جنل
غرضهم تعليم الجاهل وقمع الخارج عن طاعة الكنيسة الرومانية وكانوا الاجل
هذا الغرض معافين من شعائر العبادة والتقوى كالتفتش والزهد ونحو ذلك

مطلب

كون قوايتها

واحكامها جدير

بالالتفات اليها

مطلب

بيان الغرض من

الطائفة اليسوعية

المختص بها

(سنة ١٥٤٠)

بما هو صفة غيرهم من الاتقياء والعباد فهم وان كانوا لا يحضرون الزفاف
والخافق العلة ومواسم اللعب والهوا الا انهم كانوا لا يلتزمون تعذيب انفسهم
بالانصراف في النقش والزهد ولا يصنعون غالب اوقاتهم في تسلوة البصية
وصلوات توجب السامة والضرب بل كانت وتطيقهم الالتفات الى ما يحصل
في الدنيا وانتهاز كل فرصة لاحتمالهم فيما يخص الدين والبحث عن طيناع الدول
واخلاق اهلها والسعي فيما يستعمله اليهم ويحبهم فيهم ويؤخذ مما يضرهم
أن الفرض من هذه الطائفة وكذلك قولها واحكامها كل يلقى في اذهان
اربابها طرق الفساد والتولع بالقتال لاجل الدين ويرزدهم في التحول
ويرغبهم في التظاهر بالبطش والصولة

وحيث كان غرض هذه الطائفة مبنيا للغرض ما عداها من الطوائف
القيسية كل المبانية كانت ايضا مغايرة لغيرها من تلك الطوائف في كيفية
حكومتها وادارتها وذلك أن الطوائف الاخرى كانت اشبه بجمعيات اختيارية
اي مجمعة بمحض اختيارها وارادتها وكان كل ما يخص مجموع الطائفة يعمل
بمقتضى رأي جميع اربابها وكانت قوة النفوذ من خصائص رؤساء الاديار
والطوائف واما قوة تقنين القوانين فكانت منوطة باهل الجمعية عموما وكانت
ادارة المصالح المهمة المتعلقة بالاديار الخصوصية مختصة بجمعيات القسوس
الموجودة بتلك الاديار بمعنى أن كل جمعية قيسية وجدت بدير تكون منوطة
بادارة مصالحه بخلاف المصالح المتعلقة بعموم الاديار فان ادارتها كانت منوطة
بالجمعيات القيسية كلها * واما لوائها فكانت لخدمته في العسكرية
ومكثت فيها مدة فتعود على طاعة المؤسس للرئيس واتقياد التابع للمتبع
فاراد أن يجعل حكومة طاقته موزنية محضة بمعنى أنه يكون عليها ذلك
مطلق التصرف فيما ولما كانت رياسته على هذه الطائفة بانتخاب رسل العمالات
وقولي هذا المنصب على أنه لا ينزع منه مدة حياته كان له الحكم المطلق على سائر
اربابها في جميع الاحوال فكان يولي بنفسه جميع من يلزم حكم اقاليم الطائفة
من القسوس وجميع ضباطها ويسوغ له أن يعزلهم كما ولاهم وكان مختصا

مطلب
مضاربة اصولها
لغيرها لاسيافيا
يخص شكوك الرئيس

(سنة ١٤٤٠)

بادارة اراد الطائفة واموالها يتصرفته في ذلك كيف يشاء وكان ايضا مطلق
التصرف في ارباب طائفته بأمرهم بما شاء ويوجههم حيث شاء وكان يجب
على ارباب تلك الطائفة أن لا تكون طاعتهم له في الظاهر فقط بل كان يلزمهم
ايضا أن يعرضوا عليه ما يخطر ببالهم ويتعلق به ارادتهم وأن يذعنوا لاحكامه
ويقبلوها كأنهم صادرة عن عيسى عليه السلام فكانوا بالنظر لحكمه كآلة
ييد صانع او كالطين بيد صانع الفخار او كاجسام مينة لآلها بها وقد انطبعته
هذه السياسة الجيوية في قلوب جميع ارباب تلك الطائفة حتى صار لهم قوة
خاصة بهم في سائر مشروعاتهم ولم يشاهد في التواريخ البشرية مثل هذا
التصرف المطلق لآل زهادين عاكفين في الاديار على صوامعهم ويعلمهم
ولا يرين رجال منتشرين كالجرادين المائلين
وكما كانت قوانين هذه الطائفة تجعل لرئيسها التصرف المطلق في اربابها كانت
تعينه على معرفة طباعهم وصفاتهم حتى المعرفة وذلك أن كل انسان
اراد للدخول في هذه الطائفة كان يجب عليه أن يضح عما في ضميره لرئيسها
اول شخص آخر من طرفه وهو كتابة عن اعترافه بخطاياه وذنوبه وماتمليه اليه
فقيه ولم يكن لوابلة يقتنى بذلك في معرفة محبات القلوب والاطلاع
على البواطن بل كان من قوانينه أن كل انسان من اعضاء طائفته يجب عليه
أن يلاحظ من دخل في فرقته في اقواله وافعاله فبذلك كان القديم جاسوسا
على الجديد بل تفت الى حركاته واطواره في سلوكه ويخبر الرئيس لوابلة بكل
امرهم اطلع عليه ولاجل أن يكون هذا الامتحان على غاية من الدقة
والتشديد كان يلزم من دخل في الطائفة أن يمكث في صبدأ امره مدة مستطيلة
وهو يخدم بالتدريج في سائر خدم الطائفة فاذا بلغ من العمر ثلاثا وثلاثين
سنة قبلت منه المباشرة وعد من اعضاء الطائفة بهذه الطريقة كان الرؤساء
الا صاغر يعلمون حقيقة جماعاتهم ويعرفون استعدادهم ودرجتهم في المعارف
وبذلك كان لوابلة في الطائفة كالروح في البدن يحركها كيف شاء ويعرف
بواطنهم ونظواهرهم فسهل عليه ادارتهم وكان يجب على رؤساء اقاليم طائفته

خطب

الاسباب التي كانت
تعين لوابلة حتى
الاعانة على اجراء
ذلك التصرف
المطلق

(سنة ١٥٤٠)

ورؤساء ادريارها أن يرسلوا اليه في اوقات معلومة ٣ علامات وجرائد تتعلق بمن
نصت وياستهم يبنون فيها تفصيلا كيفية سلوك كل انسان واخلاقه الذاتية
او المكتسبة واختباره بالامور والمصالح والخدعة التي تلاعبه ويلاعبها وكانت
هذه الجرائد كلها تحرر وتكتب بالترتيب وتفيد في دفا تر وتعرض على لواءه
فبذلك كان يمكنه في مدة يسيرة أن يطلع على امور الطائفة اليسوعية بتمامها
ويعرف صفات كل شخص من اعضائها واخلاقه ودرجته في المعارف
فيقتضب منهم من شاء ويقلده بالوظيفة التي يرى أنها اوفق بطبعه
وحيث كان غرض هذه الطائفة السعي في انتقاذ المذبح وسلامة الارواح
على معتقدهم كان لاربابها ومطابق كثيرة في الامور الدينية * فنجبر
انشاء طائفتهم عدوا تربية الأطفال وتعليمهم من اعظم وظائفهم وتسابقوا
الى سيطرة مراتب النظار والعلمين فكانوا لا يفتلون ابدا عن تعليم العامة ويعثروا
رسلا الى الجبهات البعيدة لتنصير من لم يكن على دين المسيح ولهذا الاستباب
تجلب الناس من تلك الطائفة وصار لها احزاب كثيرة تدافع عنها وتحميها وكل من
رؤساؤها فيكون كل فرصة تعود عليهم وعلى طائفتهم بالنفع فمما قليل تكاثرت
اعضاء تلك الطائفة وصار لها شوكة قوية جدا وكلمة نافذة فوذوا خارجا
عن حد العادة وقبل انقضاء القرن السادس عشر كانوا معلمين للأطفال وقاهنين
بتريتهم في سائر الاقطار القساوليكية من بلاد الافرنج وكانوا اخذ صاروا معلمين
اعتراف عند اغلب الملوك وهي وظيفة مهمة جدا في كل دولة وفي كل زمان
حتى انها تفوق وظيفة الوزير اذا كان الملك ضعيف الشوكة وكانوا نظارا على
اغلب الذوات والاعيان المعتبرين لعظم مقامهم ولقوة شوكتهم وشدته بأسهم
وكانت كلمتهم نافذة عند البابا وكان يأتمهم وينتقمهم كل الوفاق ويعتقد أنهم اصدق
احزابهم وامهرهم وانهم انصار دولته وكان لمهارة هذه الطائفة وسعيها وحيتها
تأني اليها القرائد دون مشقة فكانوا يستميلون قلوب الناس بتعليم اطفالهم
وكان لهم في قلوب هؤلاء الاطفال موقع عظيم حتى يصيروا شيوخا وكان بايديهم
في عدة ازمان ادارة اعظم ودواوين الممالك لافرنجية وكان لهم دخل في جميع

(سنة ۱۵۶۰)

المصالح والدسائس والفتن وحيث سكنان رئيسهم يقف على حقيقة الوقائع
والحوادث كان في وضعه أن يدبر امور طاقته على وجه بديع محكم وكان يمكنه
بجالة من اطلاق التصرف أن يفرض ماشه من المشروعات
وكانت ثروة تلك الطائفة تزداد بازدياد شوكتها واما الفقر المشروط في الطوائف
الدينية فحاولت فيه وسعت في اهماله مستندة في ذلك لعدة وجوه فصار لها
اراض واهجة واملاط كبيرة في الممالأ القاقوليقية حتى صارت تضاهي غيرها
من الجمعيات ذات الثروة في العمارات العامة المبتهجة والاملاك والامتعة
من منقولات وعقارات. * وكان لها زيادة على الارباد الذي تشرك فيه
غيرها من الطوائف القيسية ايراد يخصها وذلك انهم العلة كونها تريد فباح
اوساليتها وسهولة معيشة دعائها طلبت من ديوان رومة أن يأذن لها
في التجارة مع الملل التي تنصدي لتجهيرها فاذن لهم في ذلك ولم تكن تلك المزية
لغيرها من الطوائف فصار لها في شرقي بلاد الهند وغربها تجارة رابحة واسعة
وانشأت في جميع الممالك الافريقية مخازن ملائمتها بانواع البضائع وصارت
تبيعها مع الراج والريح الزائد ولم تقتصر على ذلك بل تأست بغيرها من الجمعيات
التجارية وجعلت تجدد محال مستمرة لتجاراتها ففازت بميزة اقليم واسع
خصب في جنوب امريقة على الارض القارة وصار لها به رعايا كثيرة فتحكم
فيهم محكما مطلقا

ولكن حصل للناس مضار كبيرة وحلت بهم مصائب كثيرة بسبب ما كان لهذه
الطائفة من قوة الشوكة والصولة التي حازتها بالاسباب المذكورة وذلك
أن ما جرت عليه من الضغط في تربية اعضائها واصول قوانينها واحكامها
كان يوجب على كل فرد من افرادها أن يعتد مصلحة اوجاق اليسوعية
من اهم المصالح والاغراض التي تؤثر على غيرها وترجع على ماعداها حتى انهم
كانوا يمتازون عن غيرهم بحجم مصلحة طائفتهم وهذا يدل على مناهجهم
للسياسية ويشعر بغربة اصول قوانينهم وسلوكهم
وكما أن تلك الطائفة كانت تبحث عما يكون لها به نفوذ كلة عند الاعيان

مطلب

ازدياد ثروة الطائفة

اليسوعية

مطلب

النشأج النسيعة

التي ترتبت على هذه

الطائفة للبشر

البشري

(سنة ١٥٤٠)

المحتازين بعلو المقام وبقوة الشوكه رغبة في نشره بها ومصطبها كانت لرغبتها في استئثار القلوب اليها والوفوق بها تسلك مع الناس مشكلا الملاحظة والمراعاة حتى تستوجب مودتهم ومحبتهم فيعضوا عن مثاليها ويتجاوزوا عما يصدر عنها من الامور الصعبة

ولما كان اقبال تلك الطائفة متوقفا كل التوقف على شوكه البابات كانت لمراعاة مصطبها تدافع كل المدافعة عما يترتب عليه ازدياد شوكه البابات وامناء الديانات وفوقاتها على ما بقى من آثار الشوكه المدنية فجعلت لديوان رومة في الحكم والقضاء نصرة فامطاعا يسبق بمثله في عصر الجهالات السابقة على عهد البابات اولى العتق والكبر وايدت أن لا يكون لمرقة القسوس دخل في الحكومة المدنية والتزمت أن تقاوم كل ملك او امير يخرج عن الدين القانوني ونشرت قانونا يبيع الكبار والعواشس ويؤدى الى تقض كل ميثاق وعهد يجمع بين ملك ووعيته

ولما كانت شهرة هذه الطائفة وشوكتها ناشتتين من قوة عزمها وعلو هميتها في المدافعة عن الكنيسة الرومانية وحمايتها من بدع المعتزلة وضلالهم استولى الكبر على قلوبها حتى افضى بها الى أن التزمت أن تنسخ مذاهب المعتزلة وتحمو اثرها فلم تدع حيلة ولا وسيلة الا واستعملتها في تحصيل هذا الغرض وكانت لا ترى ما يراه ديوان رومة من سلوك طرق اللين والملاطفة مع المعتزلة بل كانت دائما تحترس القسوس والامراء على أن يسلكوا معهم مسلك التشديد والتهديد لا مسلك اللين والرفق

وقد تبعهم الرهبان ونسجوا على منوالهم في هذه الاصول والادهام المضرة بسعادة البشر وحسن نظام العالم لئلا يحتملهم لاسباب غير خفية احتسروا في نشر هذه الاصول اكثر من اليسوعية فلم يقعوا فيها مثلهم * ومن تأمل ما وقع في اوروا منذ قرنين من الوقائع والحوادث رأى أن طائفة اليسوعية هى السبب في اغلب المصائب والاهوال الناشئة عن فساد الاخلاق وضلال الالب القسوس وبدعهم التي اودت بشهرة الكنيسة الرومانية وافضت بها في ذلك

(سنة ١٥٤٠)

مطلب

القوانين الجلية التي
ترتبت على حدوث
هذه الطاقة .

مطلب

نقع اليسوعية
خصوصاً في اقليم
براغة

العصر الى الصياح وترتب عليها من المصائب والازايا ما اضر بالجنس البشري
وافسد نظامه

ولكن مع ما فسد عن هذه الطاقة من المضار ينبغي الاعتراف بأنه قد عاد منها
على الجنس البشري منافع كثيرة وذلك أنها كانت تعذرية الاطفال
من الاغراض المهمة ولما شرعت في انشاء مدارس للتعليم عارضتها في ذلك
الجماع العلمية من عقبة مما لك من بلاعا لا فرج فرأت أنه يجب عليها بذل جهدها
حتى تحرق رقيب السبق في ميدان العلوم والمعارف وتفوق اخصامها الذين
عارضوها وتسميّل قلوب العالم اليها فشرعت عن ساعد الجد والاجتهاد في ممارسة
العلوم الادبية القديمة واخترعت عدة طرق في تسهيل التعليم على الاطفال
ونجحت في سعيها حتى كان لها مدخلية عظيمة في اتساع دائرة الفنون المستطرفة
فالفضل لها على الناس في هذا المعنى ولم يكن لمباحها مقصورا على تعليم اصول
العلوم الادبية بل خرج منها اساتذة ماهرون وعلماء ناجبون في عدة علوم
مختلفة ولا مانع أن يقال انه قد خرج من هذه الطاقة من كبار المؤلفين البارزين
اكثر من خرج من غيرها من سائر الطوائف الدينية

وقد ظهر اليسوعية ببلاذ امريقة مظهر اغريبا في العلوم والمعارف وسلكوا
احسن المسالك في نقع الجنس البشري وذلك أن الذين تغلبوا على هذه البلاد
وقنعوها لم تكن آمالهم متعلقة الا بسلب اهلها ونب سكانها واسرهم
وتدميرهم واما طاقة اليسوعية فانها استطوتت بها قصد نقع اهلها وذلك
انه في اوائل القرن الاخير اذن لها بالدخول في اقليم براغه الممتد في جنوب
امريقة في الارض الصارة من داخل جبال بونوزي الى السزلات
الاسبانيولية والبورتغالية التي على شواطئ نهر بلاطة فلما دخلت هذا
الاقليم وجدت اهلها على اصل الفطرة التي يكون عليها الناس قبل الاخذ
في التانس والانضمام الى بعضهم فلم يكونوا يعرفون شيأ من العلوم والفنون
بل كانوا يقتاتون من صيد البر والبحر ولا يكادون يعرفون مبادئ الضبط والربط
وما يكون به نظام الجمعيات فانتمز اليسوعية بتعليم هؤلاء المتوحشين

(سنة ١٥٤٠)

وتأنيبهم فعملهم زراعة الارض وتربية الميوانات الالهية واتخاذ
المساكن
والزومهم بالانضمام الى بعضهم والاجتماع في القرى والبلدان وعلوهم الحرف
والصنائع وطبعوا في قلوبهم لذة الاتناس والاجتماع واذا قوهم طم الراحة
التي تنشأ عن الامن وحسن النظام قصار هؤلاء الناس رعية لمن احسنوا اليهم
واخرجوهم من حيز التبرير الى حيز التمتن وكان اليسوعية يحكمونهم
مع الشفقة والرأفة ويعاملونهم معاملة الوالد لولده ولما كانوا محترمين اعزاء
محبوبين كانت شريعة قليلة منهم تحكم على آلاف من هنود امريقة وكان
الناس عندهم في تلك الجمعية الكبيرة على حد سواء فكان يجب على كل واحد
من الطائفة أن لا يشتغل بنفع انسان مخصوص بل يشتغل بنفع اهل الجمعية
عموما وكانت محصولات الغيطان وفوائد الصنائع توضع في مخازن عامة
ويعطى منها لكل انسان ما يلزمه ولما كانت قوانين حكومتهم وامورها بهذه
الثابة كانت منزهة عن الاغراض التي تضر براحة الجمعيات ويسو بها
حال العباد وكان هناك حكم يتخبرهم الهنود وينيطونهم بحفظ الامن وبشاء
الطمأنينة بين الناس وبالعمل بمقتضى القوانين المقررة ولم يكونوا يعرفون
العقاب بالقتل وان كان كثيرا شاعرا في سائر الملل وانما كان العقاب عندهم كرامة
عن توبخ واتعزير يوجهه احد اليسوعية الى من ارتكب جنحة توجب له ذلك
او يفضح الجاني فضيحة خفيفة فان كان الذنب جسيما ضرب بعض سياط فكان
ذلك كافيا في تربية هؤلاء الناس وانتظامهم وحفظ الضبط والربط بينهم
ولكن مع ما بذلته طائفة اليسوعية من الجهد في دفع الجنس البشري نقول انك
اذا التفت الى كيفية سعيم رأيت من اول وهلة أن هذه الطائفة لها في ذلك
ما أرب سياسية لا تقتضي على التنبه فانها كانت تسعى في أن تجعل اقليم
براغ حكومة مستقلة لا تخرج عنها وتكون جيدة القوانين والاصول
بحيث يترتب عليها اتساع دائرة حكمها واتسار احكامها في جميع البلدان
التي يجنوب امريقة وانضم الى هذا الغرض غرض آخر وهي أنها كانت

مطلب
ما ربه السياسية
البنية على الطمع

(المقالة السادسة)
(تاريخ اليمبراطور شرلكان)

(سنة ١٥٤٠)

تزيد منع القبائل الاسبانيولية والبورتغالية التي كانت فائزة بتلك الجهة
عن أن يكون لها دى صولة على اهل البلاد التي كانت تحت حكم اليسوعية
فهذا الغرض جعلت تفرس في قلوب الهنود بغضة الاسبانيول والبورتغال
ومنعت أن يكون بين اهل براقة وهاتين القبيلتين مخالطة او تجارة
فذهبت أن يدخل هذا الاقليم احد من التجار الاسبانيولية او البورتغالية
وكان اذا اراد اليها رسول من الممالك الاجنبية لغرض من الاغراض وادخلته
في بلادها لا تأذله بالكلام مع الهنود وكانت ايضا لا تأذن لاحد من الهنود
بالدخول في البيت الذي به الاجابى الاجمصور انسان من اليسوعية وكانت
لهذا الغرض ايضا تحاذرهما مكن أن تعلم الهنود اللغة الاسبانيولية
او غيرها من اللغات الافريقية وانما كلن دأبها ان اذامت في طائفة او قبيلة
ادخلت عندها فرعا من اللغة الالهية وكانت تبذل جهدها في نشر هذا الفرع
في جميع البلاد الداخلة تحت حكمها

ولما كان مثل هذه الاحتراسات لا يكتفى بمجرد في تأييد دولتها وبقاى حكومتها
بل لابد لذلك ايضا من قوى عسكرية علمت رعاياها من الحربي على حسب
الاصول الافريقية وجددت الايات من القوسان والمشاة وسلطتها باسطة جيدة
واحكمت سياستها وضبطها وربطها واعتدت عندها مقدارا جسيما
من الاسلحة والمهملت الحربية وانشأت لها ترسعات ومخازن فيها الوجه
رتبت جيشا يعد مثله كبيرا مهولا بالنظر لتلك البلاد حيث كانت بها قوى
عساكر الاسبانيول والبورتغال العسكرية عبارة عن بعض اورط خالية
عن الضبط والربط ولا معرفتها من العسكرية كما ينبغي

نم ان الطائفة اليسوعية لم يحصل لها تقدم على عهد اليمبراطور شرلكان
ولم تنم شوكتها نحو اظاهر او ذلك أنه لنباهته وفطنته ادرك مقاصدها وما يترتب
عليها فنعها من أن تنسج دائرتها وضيق عليها كل التصديق ولكن لما كان
انشاؤها في العصر الذي هو موضوع تاريخنا وكان اهل العصر المقصودون
بتأليف هذا التاريخ قد شاهدوا اضلال هذه الطائفة وزوالها لم نرباسل

مطلب

الاسباب التي دعت
المؤلف الى بسط
الحكلام على حكومة
الطائفة اليسوعية
وعنى تقدمها

بإيراد قوانينها وأصولها وأحكامها ولا يعد ذلك من باب الاقتضاب المحض المؤدى لسائمة الواقع على هذا الكتاب لاسيما وهذا السبب آخر خصوصي دعاءنا إلى التسليم على هذه الطاقة بغاية التدقيق وهو أن الإفراج وإن كانوا قد مكثوا قرنين وهم يلاحظون شوكه هذه الطاقة وشدة طمعها ولحقهم منها مضار عديدة لم يمكنهم أن يقفوا على حقيقة أسبابها ولم يكن لهم معرفة بالقوانين الغربية التي كانت تتنازعها سلبية هذه الطاقة وأصول أحكامها مع أن هذه القوانين كانت أصلا ملأها إلى الطمع والدسائس التي اختصت بها تلك الطاقة ونشأ عنها ازدياد شوكتها وذلك أنه كان من جملة أصول اليسوعية أنه لا ينبغي إشاعة قوانين طاقتهم فكانت محجوبة عن الناس كأنها سر مكتون وكانت لا تطلع الأجانب عليها لئلا بل كان عامة الطاقة لا يعرفون سرها ولما طلبت منها الحماكم الاطلاع على هذه الأصول امتنعت من إجابته لذلك فانظر هذا الخطأ الغريب الواقع من الملوك وأهل السياسة في ذلك العصر حيث رخصوا هذه الطاقة أن تستوطن في عدة بلاد مع تصحيحها على إخفاء أحكامها وقوانينها مع أن ذلك يكتفي مستغنى في طردها من تلك البلاد راجلا لها عنها ولما طردت من بلاد البورقال وبلاد فرنسا ظهرت كتبها تنبئ على أسرار أحكامها وقوانينها فبذلك علمت أصول حكومتها وعرف أصل شوكتها على ما ينبغي بعد أن كان يستحيل الوقوف عليه .

وحيث ينما ترتب على قوانين الطاقة اليسوعية وأصول أحكامها من المضار وسلكنا في ذلك من طرق الحرية وعدم التعامل ما يليق بالمؤرخين وجب علينا بمقتضى الصدق والانصاف الذي هو شرط في صدد مؤرخ أن ننبه على أنه لم يحصل في الكنيسة الرومانية أن طائفة من الطوائف القيسية امتازت بدمائها الأخلاق وتهذيبها أكثر من هذه الطاقة فاتهاوا انت أصولها وأحكامها مبنية على ما آرب سياسية متشاورها الطمع والشر فلا مانع من أنها كانت تؤثر في عقول حكمائها بل وتفسد قلوب بعض أفراد منهم وتضييهم إلى السلوك ما لا يستحسن الآن معظمهم كان ما بين مشتغل بالاداب

(سنة ٥٤٠)

ومقلد بالوظائف الدينية فينتج من الأصول والاحكام ما يمنع الانسان عادة من ارتكاب القواحيش والانتقام ويعمله على سلوك طرق الفضائل والاعمال الصالحة ولا يئسرى بالتغافل العارف المتولع بمعرفة وتأنع النوع الانساني وحوادثه من الاسباب التي ترتب عليها اقراض هذه الطاقة الشديدة البأس ولا من العواقب التي ترتبت على اقراضها بتلاذد اوروبا غير أنه لا حاجة الى ذكر هذه المحاولات لانها وقعت في عصر متقدم بكثير على العصر الذي هو موضوع تاريخنا

مطلب
مصالح المانيا

ولما اصلى الإمبراطور جلال مملكة البلاد الواطية وسكن قسما الزمه أن يلتفت عقب ذلك الى مصالح بلاد المانيا وذلك أن المعتزلة كانوا يلحون عليه أن يأمر بعقد المذاكرة التي كان قد وضع الاتفاق على أن يعقدها بعض افراد من علماء اللاهوت ينخبهم الفريقان بأن يكون بعضهم من طرف المعتزلة وبعضهم من طوف الكنيسة وكان هذا الامر من جملة الشروط المقررة في المشاركة المتعقبة بمدينة فرنكفورت ولما كان الغرض من هذه المذاكرة انما هو البحث والمناظرة في المسائل الخلافية والحكم في شأنها بما يستنبط وكان للبابا يدعى أنه الحق في أن يكون هو الحكم المتصرف في هذه المادة وأى أن احوالها على غيره من باب الاقبيات وعدم الانصاف لاسيما وكان مجزم بأن المذاكرة ان لم تحكم في هذا المعنى بشئ فلا فائدة فيها والا كانت خطرة عليه ومضرة به فلم يأل جهدا في تعطيلها ومنع انعقادها ولكن كان الإمبراطور اذا لم يرى أن مصلحة في استمالة قلوب اهل المانيا اليه اعظم منها في مراعاة خاطر البابا فلم يلتفت الى قوله بل صمم على عقدها فانقضت مشورة الديانة بمدينة هاغنو وجمع اربابها الموالدين الى تكون موضوع المناقضة والمذاكرة ثم انعقدت بعد ذلك بمدينة ورمس ووقعت فيها المذاكرة بين علماء الفريقين وكان المتصدر من علماء المعتزلة ميلختون ومن علماء القائلية ايكوس فانقضت بينهما المناظرة وجالا في ميدان المحاوره كثيرا الا أنهم لم يمحكم في تلك المبادئ بشئ فصدر امر من الإمبراطور بإبطال هذه المذاكرة لانه اراد أن تنعقد

مطلب
المذاكرة التي حصلت
بين علماء اللاهوت
القائلية وعلماء
المعتزلة

ثانياً يحضرته لجمع لذلك مشورة الديانة بمدينة والسبب ووقعت
المذاكرة ثانياً في مجلس حافل حتى حرم الناس بأن هذه المذاكرة يقع فيها نزاع
شديد وجدال كبير ويصل فيها كل اشكال ويظهر الحق ويتضح الحال وفوقه
كل من الفريقين للإمبراطور أن يتخبر ارباب المذاكرة بنفسه فعوضاً
عن أن تكون تلك المذاكرة على صورة منازعة عامة وقع الاتفاق على أن يبحث
بالتي هي احسن في المواد التي صكأت سبباً في الخلاف بين الفريقين فعين
الإمبراطور من حزب القانونيكية ثلاثة وهم ايكينوس و غروير و بفلو غ
ومثلهم من حزب المعتزلة وهم ميلختون و بوسير و بستيروس وكان
كل من هؤلاء الستة مشهوراً في طاقته وكانوا جميعاً ممتازين بلطف الاخلاق
والميل الى الصلح ماعدا ايكينوس فلما افتتحو المذاكرة قدم الإمبراطور
اليهم كتاباً واذكر لهم أنه تأليف رجل من علماء اللاهوت من مملكة البلاد الواطية
وأنه رائق العبارة حسن التركيب بحيث يمكن بواسطته الاصلاح بين الفريقين
وقد ظن بعض الناس فيما بعد أن هذا الكتاب تأليف غروير احد البسنة
الذين انتخبهم الإمبراطور فانه زيادة على فطنته وحذقه كان له اطلاع واسع
وباع طویل في العلوم والمعارف وكان الكتاب المذكور مشتملاً على اثنتين
وعشرين مادة من مواد اللاهوت وكان معظم المسائل الواقعة فيها الخلاف
بين حزب المعتزلة والكنيسة الرومانية متدرجاً في تلك المواد وكان غرض
مؤلفه بتأليفه هو أن يبدى آراءه ويرتبها ترتيباً طبيعياً ويفصح عنها بعبارات
سهلة عذبة لم يفرج فيها عن الفاظ الكتاب المقدس والفاظ الحوار بين
وأن يلطف بعض العقائد ويحسنها ويحرم منها ما كان غير معقول وأن يصلح
بين الفريقين بتسليمه في بعض المسائل لحزب الكنيسة وفي بعضها لحزب المعتزلة
واعتنى حسب الامكان بالهتاف في اجتناب عبارات المدارس والفاظ الجدال
التي هي علامات تميز احد الحزبين من الآخر وكان في الغالب يترتب عليها بين
علماء اللاهوت نزاع وجدال اعظم مما يترتب على نفس العقائد والاراء وبالجملة
فكان تأليف هذا الكتاب على وجه مخصوص بحيث يؤمل الواقف عليه أنه

(سنة ١٥٤١)

يفضح في الاصلاح بين الفريقين وفي قطع للفتنات الدينية من بين الطائفتين
ولكن كان لاهل ذلك العصر في المهادلات الالهوتية والهاورات الدينية
تسديده مفرط وتديق زائد بحيث لا يمكن خداعهم باى حيلة كانت * وكانت
مدة المذاكرة قد طالت واشتد فيها الجدال والنزاع فاغتناط كل من الفريقين وفر
وتكبر حتى تعذر الاصلاح بينهما فاما القساو ليقية لاسيما قسوسهم الذين كانوا
من ارباب مبشورة الادينة فحكموا بطلان كتاب غروير المتقدم ذكر
متعللين بانه مؤيد لمذاهب لوتير وزعموا ان مؤلفه ليس الا من الروافض
حيث اراد ادخال عقائدهم الزائفة في عقول الناس بهذه الحيلة الخطيرة واما المعتزلة
لاشيا لوتير ونصيره الامير مستحب سكس فلشدتهم وصعوبتهم ابدو
انه يجب بهذا الكتاب ظهور يائاتلين منه ذبة قد جمع بين الحق والباطل واتم
وضعه مؤلفه لغش كل خامل ضعيف وكل ذى عقل متخيف ومع ذلك فالعلماء
الذين ايطوا بتحقيق ما فيه احتمنوه مع الحققة والتؤدة وكان يهون على كثيب
رومته ولا تعده من العاد ان تسلم في تغيير بعض العقائد النظرية التي كاد
النزاع فيه اقل أن يخرج عن مجالس المدارس وعلى فرض خروجه عنها واتشاد
بين العامة لم يكن فيه شئ مما يوجب لهم العجب او يؤثر في نفوسهم فلهذا
لم يتوقف القساو ليقية في التسليم فيما يخص هذه المادّة بل ورضوا أن يسلموا
في مادّة اخرى مهمة وهي مسئلة براءة الناس ولكن لما وقعت المناوضة في ماد
الاحكام والقناوى التي تضرب بمصالح الكنيسة الرومانية وتجزئ الى ضعف شوكتهم
اوالى خدش الرسوم الجارية في التعبد والديانة وكان اذا حصل فيها تغيير ينش
بين الانامو يكون معلوما للخاص والعوام دقق القساو ليقية في هذا المعنى كما
التدقيق ولم يتساهلوا في شئ من ذلك اصلا لانهم كانوا يرون أن ابطال هذه الرسوم
التقديمية يترتب عليه ضياع شرف الكنيسة الرومانية واحترامها ويخشى على
منه فكل ما يخص شوكة البابا وصوله الجمعيات القيسية وصيغة اد
للتقديس والصلاة وما اشبه ذلك كان غير قابل للتغيير والتبديل حتى اتى به
بذل غاية الجهد في الاصلاح بين الفريقين في شأن هذه المواد جزم الاخير اطو

(سنة ١٥٤١)

٢٨ من شهر تاموز

مطلب

اتفاق مشورة الديانة

المنهقدة بمعية

والتعبوة على عقد

جمعية قيسية عامة

مطلب

بأن سعيه لا ثمرة فيه ولا طائل تحته غير أنه لما كان يود انتهاء ميثومة الديانة على وجه السرعة بذل وسعه حتى استمال بجمهور اعضاءها الى قبول الامر الآتي وهوان المواد التي اتفق عليها العلماء في المذاكرة تعتبر كائنها مبنية وصارت مما لا خلاف فيه بحيث لا يجوز لاحد من الفريقين نقضها واما المسائل التي اختلفوا فيها فتوقف حتى تتفقد لها جمعية قيسية عامة فان منع من انعقادها مانع انعقد لاجلها جمعية مليه يلاذ المانيا فان تعذبت هذه الجمعية ايضا انعقدت مشورة الديانة الايمبراطورية قبل مضي ثمانية عشر شهرا ثبت امرها وتنتهي موجبات الشقاق بين المعتزلة والكنيسة الرومانية وان الايمبراطور يبذل مجهوده في حل البابا على عقد جمعية قيسية او مليه وانه قبل انعقادها لا يجوز تغيير شيء ولا تبديله ولا اقدام على ما يتوعد عليه فكثير حرب المعتزلة وانه لا يسوغ التعدي باى وجه كان على ايراد الكنيسة ولا على محصولات الاديار والقصور

مطلب

غضب المعتزلة

والقائولية عما حكمت

به مشورة الديانة

وكل اعمال هذه المشورة وما حكمت به في هذا المعنى اغضب البابا كل الغضب وذلك ان اهل المانيا لما اتخضوا بانفسهم افرادا من علمائهم اللاهوتية ليتمسكوا المسائل الخلافية ويحكموا في شأنها حكما بانيا ظهر البابا بأن ذلك محض لفتيات على حقوقه واغناط منهم ايضا حيث طلبوا ان ياعقد جمعية مليه فرأى أن ذلك خروج عن الطاعة لتقدم طلب ذلك امر ارا عديدة وعدم ابايتهم واقرارهم عليه كما فعله اسلافه من الباباين * ولما انحط الرأي على عقد مشورة الديانة وأن ادباها يكون معظمهم من اللايك ويكون لها الحق في أن تحكم حكما بانيا في شأن المواد الدينية غضب القائولية ورأوا ذلك كفرا اقبح من الامداد والاعتزال الذي كانوا يذلون جهدهم في نسفه وازالته وبغضب المعتزلة ايضا حيث حكم عليهم بحكم فيه تضيق على حريتهم التي كانوا يتمتعون بها الى ذلك الوقت وقطلوا من هذا الحكم كل التظلم حتى ان الايمبراطور قصد ازالة هذا الغضب من قلوبهم ومنع ما يترتب عليه للايمبراطورية من الضرر سحر اليهم فرمانا مخصوصا يتضمن معافاتهم من كل شيء اساءهم اورأه من باب

مطلب

سعى الايمبراطور

شر لكان في استمالة

قلوب المعتزلة ورضاء

خاطرهم

(سنة ١٥٤١)

مطلب —

مصلح بلاد الجبل

النظم والاحتجاف بهم عما تضمنه فرمان المدينة وانتم عليهم في هذا القربان
بتقريبهم باستقرار التمتع بالزوايا والنصايب التي كانت لهم ومثل هذا الحلم
منه لا يبراطور بعد غريب الا أنه كان مجبوراً على ذلك حسبما اقتضته الاحوال
اذ ذلك وذلك أنه كان يرى أنه مما قليل لا بد من وقوع الحرب بينه وبين المملكة
فراقباً قنباء على ذلك لا يلبق به أن يغضب المعتزلة لانهم ربما جنحوا الى ملك
فرانس في تحالفوا معه واتخذوه حوثاً وظهيراً كما وقع منهم مثل ذلك سابقاً
وهناك سبب أقوى من هذا في مراعاة الإمبراطور للمعتزلة وهو أن جيوش
الدولة العثمانية كانت في ظفر عظيم ببلاد الجبل وكان قد حصل في هذه
المملكة قسنة كبيرة وذلك أن حنا زابول سووس صاحب بلاد الجبل كان
قد اختار كما تقدم أن تكون مملكته خراجية ولا يحرم من المنصب المملوك فكان
يدفع الخراج والحزبة للدولة العثمانية وكان السلطان سليمان نصيراله
فباعاً هذا السلطان الشديد البطش اخذ من الملك فرديند جزاً عظيماً
من بلاد الجبل ولم يترك له فيها الا الاشياء واهية ولكن كان حنا المذكور يميل
بالطبع الى الصلح فحصل له حيرة عظيمة من اثار فرديند وقس المغرضين له
ببلاد الجبل وكان غرض فرديند من هذه الاثار استرجاع ما اخذ منه
في تلك البلاد وكان حنا ايضا في غم شديد من كونه يرى نفسه أنه مضطراً الى
الاستعانة بالدولة العثمانية وأنه معدود من اتباعها لا من معاهديها وفي الواقع
كانت تلك الدولة معه بهذه المثابة ولما كان يميل الى الصلح بطبعه كما ذكرنا
اتفق سرّاً مع خصمه فرديند على أنه يبق مدة حياته ملكاً في بلاد الجبل
وأه يتبع بما هو تحت يده منها بعد موته ترجع المملكة تمامها الى الملك فرديند
المذكور وكان قصد حنا بذلك أن يريح نفسه من تعب الحرب ويتبع بمطاعة
المقدون ويحظى بالسررات المستحسنة المألوفة للنفس وكان يومئذ غير متأهل
مع كونه قد طعن في السن فترح فرديند بهذه الشروط وقبلها منه ولكن
بعد ذلك بقليل اتفق اشراف تلك المملكة مع بعضهم على منع وقوع ملكتهم
تحت يدي ملك اجنبي وحلوا الملك حنا على التزويج بالاميرة ايرايه بنت

(سنة ١٥٥٥)

(سنة ١٥٤١)

مطلب

موت ملك الجمار

صحيحون ملك بلاد له ثمان بعد أن تزوجها بعنة واعقب منها ولدا يرثه في المملكة وبجعله ولي عهده ولم يلتفت الى المشاركة المتعددة بينه وبين الملك فردينت بلزمه بطلانها حيث حدث ما منع لم يكن موجودا حين عقدها وانما لها يكفالة عنه ونياية المملكة كالأمن وزوجته الملكة ايراييلة والخبز جورجي مارتينوزي اسقف وردين فكانا وصيين عليه وباع اغلب الملة هذا الطفل واقتزوه على الملوكية وسجوه اسطغان باسم من اسس هذه المملكة .

مطلب

سعى فردينت في اخذ

تاج ملك الجمار

ومع ملحق فردينت من الورطة وانثية بسبب هذه الحادثة التي طرأت بغتة بات نفسه أن يترك تلك المملكة حيث كان له حق فيها بموجب الاتفاق الواقع بينه وبين حينا فبعث رسلا من طرفه الى الملكة ايراييلة يطلب منها تسليم المملكة وعرض عليها اقليم ترانسوانيا وهو الاردل لتكت به هي وابنها وتأهب لتأييد حقوقه بالحرب والقتال ولكن كانت هذه الملكة ذات حزم قوى وكذلك الاسقف جورجي مارتينوزي فكان يحول مزمهما عن التسليم في التاج مع السهولة وكان عندهما من الوسائط ما يلزم لحايته والمداخلة عنه اتم المدافعة فأما الملكة فكان لها زيادة على النطنة والسياسة الالفة بالنساء مزم قوى وطمع شديد مع الشتم وعلو النفس واما جورجي مارتينوزي فكان قد ارتقى بمعارفه من الخسيس الى اوج المعالي بمجازاة منصب الاسقفية وكان من غول الريال الذين هم لغزارة معارفهم واتساع دائرة اطلاعهم لهم اقتدار على تحييد كل امرهم وازالة كل خطب ملم في اوقات التعكيرات والفقر وكان من حيث وظيفته المدنية يظهر التواضع والتقوى ويراى شعائر الزهد والتشرف واما في ادارة مصالح الدولة فكانت له دقة بحبيبة وفشاط وقوة جنان غريبة فكان في مدة الحرب يتخلع ثوب القسوس ويركب جواده ويتسلح بالسكارية والترس بيده ويعزز في الميدان مع الثبات والمهارة التي لاتعلوها مهارة احد من ابناء وطنه ومع اطواره واحواله المختلفة التي كان يستمر بها كان يظهر عليه أنه له رغبة عظيمة في الحكم والاستيلاء وكان جوابه لفردينت في هذا المعنى يفهم قبل وصوله بطريق الحذر والتخمين فعمال قليل ايقن

مطلب

بيان طبع جورجي

مارتينوزي وصولته

(سنة ١٥٤١)

فرديند انه لا يمكنه التغلب على تاج مملكة الحار الابا السلاح فجمع طائفة كبيرة من عساكر المانيا وانضم اليها اخوانه مع اتباعهم فصاروا بذلك جيشا وجهه الى البلاد التي خرجت عن طاعته وانضمت الى حزب اسطغان من مملكة الحار فلما رأى الاسقف مارينوزى أنه لا قدرة له على مقاومة جيش فرديند في حرب الصف وهو أن تصف عساكر كل من الفريقين أمام عساكر الاخر اقتصر على تحصين المدن والقلع لاسيما مدينة بودة وتعرف يهودين فإنه اهتم بتحصينها بجميع ما يلزم وبعث رسلا الى السلطان سليمان يترباه في اعانة الابن كما كان يعين الاب ويكنه من كرسي مملكته وبذل فرديند جهده في تعطيل المداولة التي حصلت في هذا الشأن بين الاسقف مارينوزى والسلطان سليمان بل وعرض على السلطان أن يستلم منه مملكة الحار ويلتزم بجميع ما كان يؤديه الملك حنا للدولة العثمانية ويضع الجزية مثله ولكن رأى السلطان أن مصلحته انما هي في اعانة ابن الملك جنم فوعده بالاعانة والامداد ووجه جيشا الى بلاد الحار ثم اردفه بجيش آخر حبه بنفسه واما اهل المانيا فظنوا أنهم ان اخذوا المدينة التي هي ملكة ايزابيله وانها يفتى الحرب وتكون النصرة لهم فحاصروا مدينة بودين وكان الاسقف مارينوزى قد جمع فيها جميع عساكر اشراف الحار فدافع عن بلحق المدافعة وثبت أمام العدو مع الشجاعة العجيبة والمهارة الغربية حتى وصلت اليه جنود الاسلام وقامت بنصره وذلك أنه بمجرد وصولها اليه جلت على جيش المانيا وكان قد قوت همته بمخالفة من التعب والنصب وقتل عدده من هرب او مات بالامراض فهزمته الجيوش الاسلامية وأبادته عن آخره

وعما قليل لحق السلطان سليمان جنوده بالجيش الثاني فوجدها منصوره مؤيدة وكان قد سم من المدافعة عن بلاد لانصب اليه او اعتز بتلك الفرصة التي لاحته فصمم على اخذ هذه المملكة واستسهل ذلك حيث كانت تحت يد طفل وصيه امرأة وقسيس لا اقتدار لهما على مقاومة جنوده الكثيرة فداخلة

مطلب
استعانة بالاسلام

مطلب
ما فعله السلطان
سليمان مما لا يابق
بالاولاد

(سنة ١٥٤١)

الاغترار والطبع ولم يراع ما بعد في الدول من شعار المروءة وشرف العرض فسلك
مسلك الخديعة والتفيل ليجز هذا الامر الذي مجرد خطوره بالبال يحدش
سياسة عرض الانسان وذلك انه دعا الملكة ايرازيلة الى الحضور بمعيه
صحبتهن مظهر الشوق الى رؤيته ودعا ايضا اعيان مملكة الجمار واكابر
اشرافها الى الحضور عنده لوسم يديهم فبينما كانت الملكة واكابر دولتها
يلهون ويلعبون مع الامن والطمانية اذ نزلت سريته من جنود السلطان
ونقلت على احد ابواب مدينة بودين وبعد ان استولى بهذه الحيلة على
تحت المملكة وقبض على الملك وامه واعيان الاشرف ارسل الملكة وابنها
الى اقليم الوردلي وكان قد عينه لهما وولي باشا من طرفه وجعل دار اقامته
مدينة بودين وترك عنده جيشا عظيما فبهذا الوجه انضمت مملكة الجمار
الى الدولة العثمانية ولم ير ثل حال المملكة وهي تسكن وتتضرع اليه وكان الاسقف
مارتينوزي ضعيف الشوك لا يمكنه مخالفة ارادة السلطان ومع ذلك بذل
جهده في تحويله عما عزم عليه فلم يجد ذلك ففعا
وقبل ان يصل الخبر الى فردينند بهذا الظلم كان قد بعث الى السلطان سليمان
رسلا يعرضون عليه الالتزام بحقوقه في مملكة الجمار وما كان عرضه عليه
اولا من ان السلطان يعطيه هذه المملكة وهو يدفع له الجزية في كل سنة
فرد السلطان رسله ثابته ولم يقبل منهم صرفا ولا عدلا بل اظهر انه لا يدع الحرب
الا اذا سلم اليه فردينند حالا جميع المدائن التي كانت تابعة لتلك المملكة
ورضى بتقرير مقدار معلوم على الاوستريا في نظير المصاريف الجسيمة التي
صرقتها الدولة العثمانية في المداخلة عن مملكة الجمار لان السبب في ضياع تلك
المصاريف انما هو اغارة فردينند على تلك المملكة
هكذا كانت حالة المصالح في بلاد الجمار وحيث ان هذه الحوادث المشؤمة
كانت قد حصلت قبل انعقاد مشورة الديتة بمدينة راتسبوة
وكانت تخشى عواقبها راى الاميراطور انه ان فعل مع المعتلة ما يوجب غضبهم
في ذلك الوقت قد تعرض نصه الى الخطر حيث كان يرى ان مثل هذا السلطان

مطلب
ما عرضه فردينند
على السلطان

(سنة ١٥٤١)

الشديد البطش مستعد لشن الغارة على الإمبراطورية وكان يعلم أنه لا يؤمل من المعتزلة اعانة في استرجاع بلاد البحار من ايدي الاسلام ولا مبادعة عن ضلوحى الاوستريا الا اذا ادهنهم واجابهم الى مطلوبهم ولم يبلغ قصد منهم الا بعد الاقطاعات والمزايا التى اتخضهم بها وقد تقدم الكلام على ذلك فشهد المعتزلة أن يعينوه في حربه مع الدولة العثمانية فكل الاعانة ويمتد بهمد عظيم من الرجال والاموال فأمّن الإمبراطور واطمأن نفسه وصار لا يخشى على بلاد المانيا من حصول حرب بينه وبين اعدائه

مطلب

سفر الإمبراطور الى
إيطاليا

وبمجرد انقضاء مشورة المدينة صافر الإمبراطور الى بلاد إيطاليا ولمصر في سيرة بمدينة لوكا اجتمع فيها بالبابا ومكثا معاملة قليلة وهاجبا أكران فيما يصلح من الوسائط لانهاه المشاجرات الدينية التى كانت تعكر بلاد المانيا ولكن لم يقع الاتفاق بينهما على شئ حيث كانت آراؤهما ومصالحهما في هذا المعنى متباينة كل التباين وقد سعى البابا في قطع اسباب التفاهم الذى كان بين شرلكان والملك فرنسيس وبذل جهده في ازالة العداوة والبغضاء من بينهما لانه كان يخشى أن يترتب على ذلك حرب مهول في بلاد أوروبا لكن كان سعيه في ذلك سدى

مطلب

اغارته على بلاد
الجزائر والاسباب
التي دعت الى ذلك

وكان الإمبراطور مشغولا بما كان عزم عليه من شن الغارة على بلاد الجزائر فلم يلتفت الى ما عرضه عليه البابا في شأن الصلح مع فرنسيس بل يعمل بالرحيل ليحقق دونها وجهته

وكانت بلاد الجزائر بالمغرب اذذاك لم تزل من عهد بربروس تحت حكم الدولة العثمانية ولما تولى بربروس قهطان باشا على دونها الدولة العلية تولى حكم الجزائر حسن اغا الطواشي وكان في الاصل نصرايا ثم اسلم وخدم في البحرية عند اهل الجزائر في سفنهم التى كانت صائلة في البحر وارتقى الى سائر الرتب بالتدرج فصار في فن الحرب بمكان من المهارة والتجربة حتى كان يصنع لأن يسطر بوظيفة مهمة جسيمة تقتضى العزم والحزم وتستلزم معارف واسعة فتشبه أن يجعل نفسه جديرا بالمنصب الذى تقلده فكان ينظم جميع الدول

النصيرية ويغير عليها مع مزيد القوة والنشاط حتى انه لو فرض أن هناك
 من يفوق بروس في الحساسة والقسوة لكان هذا الطواشي قد بلغ
 من قسوته وجساسة احزابه أن اقتطعت التجارة في البحر الابيض حيث كان
 يتحقق على سواحل اسبانيا والبلاد المحاذية للبحر ويقع في اهلها الرعب
 والقزع حتى اضطروا الى بناء زباطات فيها ووضع خفر يلزم حفظها من اهل
 بلاد البربر ويحصى الاهالي من اغاراتهم وكان الايمرا طور منذ زجر طويل
 فصل اليه شكواوى من رعاياه مضعونها أن مصالحه وشعار المروءة توجب عليه
 أن يجمع اهل الجزائر التي صارت منذ فتح تونس مآوى لارباب الصيال
 وأن يقطع دابر هؤلاء الظلة الذين هم اشتداداء ابناء النصيرية فبناء على
 تضرع رعاياه اليه او طمع منه في ازدياد غنائه الذي حازه باتصاوه في المرة
 الاولى على بلاد افرقة صدر منه امر قبل سفره من مدينة مدريد
 فاصدا ملكة البلاد الواطية لبلاد اسبانيا وايطاليا بتسليح دونهما وجمع
 جيش لتصد هذا الحرب ولم تقترهته بما طرأ فيا بعد من التغيرات فلم تنجعه
 اغارات هؤلاء النجانية ولا الحاح احبابه في المانيا عليه وافهامهم له أن اول
 واجب عليه هو اتمامه بالمسدافعة عن الايمرا طورية ولا استنزاء اعدائه به
 حيث كانوا يقولون انه لعدم اقتداره على مقاومة السلطان شرع في الذهاب
 الى بلاد افرقة متعللا بما تقدم فكل ذلك لم يؤثر عنده شيأ ولم يحمله على
 تحويل قواه وعساكره الى بلاد الجمار ولا شك أن هجومه على السلطان
 ببلاد الجمار كان يكسبه الشرف وعلو المقدار الا انه كان دون السلطان
 في الشوكة والقوة وكانت مصالحه اذ ذلك تقتضى مخلاف ذلك فلو تعرض للحرب
 السلطان للزمه أن يحضر عساكر من بلاد اسبانيا وايطاليا وهي بعيدة
 عن دار القتال والزمه ايضا تجهيزات كبيرة واسعة لنقل المدافع والاسلحة
 والذخائر والمهمات الحربية وأن يتم في واقعة واحدة حربا كبيرا كان يصعب
 تقييمه في عدة وقائع وهذا كله كان يستدعى مصاريف جسيمة ومبالغ عظيمة
 لا يقدر عليها مع تضاد خرائنه اذ ذلك في المشروعات التي كانت مفتوحة عليه

من كل جهة.

وزيادة على ذلك لوجه قواه الى هذه الجهة نخشى من ملك فرنسا على بلاده التي بايطاليا ومملكة البلاد الواطية اذ لا ريب أن فرنسيس لا يعمل في استعمار تلك القرصنة وشن الغارة على الاراضي المذكورة - ايضا كانت مواد الاغارة على بلاد افريقية - ومهماتا قد تكاملت وكذلك مصاريها الاماند فلم يبق عليه الا مجهود واحد (وهو شن الغارة على تلك البلاد) لا يستغرق الامدة بسيرة بحيث لا يتمكن فرنسيس من اعتنام فرصة غيبته فيجمع على دوله التي يبلاد اوربا وهذا زيادة على ما يقرب عليه من امن رعاياه واطمئنانهم وسرورهم بحيازة الظفر والتبحر في هذا المشروع

مطلب
تجهيزاته

وكل هذه الاسباب جعلت الامبراطور على التصميم على قصده وعدم العدول عنه ولم يلتفت الى نصيح البابا ولا الى نصيح الامير اندره دورية الذي كان يلح عليه بعدم السفر ويقهمه أنه يخشى على الدونخا اذ ادنت من سواحل بلاد الجزائر لان رياح فصل الخريف اذ ذلك كانت شديدة جدا فلما نزل في سفن اندره دورية من ميناء پورتونير ببلاد جنويرة وسار قليلا عرف أن كلام الامير اندره دورية في محله وذلك أنه حصلت فرطونة مهولة فلم يتمكن أن يرسو على جزيرة سردينيا التي كانت ملتقى لجميع الدونخات الابسق الا نفس ولكن لما كان من طبعه أنه اذا صمم على شيء لا يعدل عنه الا اذا مضى امره لم يلتفت الى قول البابا ولا الى قول دورية ولم يرتدع من الخطر الذي كان عرضة له ولم ينشأ عن ذلك كله الا زيادة التصميم على هذا الغرض المشؤم ولا يخفى أن العدة التي كان جمعها كانت تكسب النفس امل التبحر ورجاء الظفر ولولم تكن كنف الامبراطور في الشحم والجسارة فقد كان عدد ذلك من المشاة عشرين الفا ومن الخيالة الفين مائتين اسبانيولية وايطالية والمائة وكان اغلبهم قد تقادم عهده في العسكرية حتى صار متمكنا من اصولها وفروعها وكان مع الامبراطور ايضا ثلاثة آلاف من ابيه واعظم اشراف اسبانيا وايطاليا محبوه في هذه

سنة ١٥٤١

مطلب

خروج الایمیراطور
على سواحل افریقة

مطلب

دمار جيشه

السفرة ببعض اختيارهم وكان يترأى منهم أن لهم من يد رغبة في مقاسمته فخار
تلك الغزوة وزيادة على ذلك كان قد اتى اليه من جزيرة مالطة الق
من العساكر بعثهم اليه ارباب الطائفة الدينية المسماة طائفة سنتي جان
اي طري حنا وارسلوا معهم مائة من ابطال هذه الطائفة

وقد لحقه في سيره من جزيرة مايورقة الى سواحل افریقة من التعب والمشقة
بقدر ما لحقه من ذلك قبل وصوله الى جزيرة سردينيا وذلك انه لما غامر البحر
اشتدت الريح وهاجت العواصف حتى لم يمكن للعساكر أن يخرجوا من البحر
وبعد ما كبدة المشاق الفادحة اعتدل الهواء مدة يسيرة فجهل الایمیراطور
باتهاز تلك الفرصة واخرج عساكره الى البر بدون عائق ولا مانع وكان خروجهم
قريباً من مدينة الجزائر فتوجه اليها بدون مهلة ولا تراخ ولم يكن عند
حسن انما الطواشي ساكن الجزائر من العساكر الاثمانية من الاتراك وخسة
آلاف من المغاربة نصفهم من اهالي بلاد الجزائر والنصف الاخر من غرناطة
ومع ذلك اجاب الایمیراطور حين طلب منه التسليم مع الشتم والكبر ولا يفتي
أنه مع شجاعته ومجته من فن الحرب وكثرة تجاربه كان لقلة عساكره لا يمكنه
أن يقاوم عساكر الایمیراطور لانها كانت في هذه المرة اكثر عدداً من العساكر
التي هزمت ببروس في المرة السابقة مع أنه كان مع ببروس حيث
ستون الفا وغلب الایمیراطور فيها على تونس مع ما بذله ببروس المذکور
اذ ذلك من الجهد واشتد به بالبطش والشجاعة

ولكن ينبغي ان كان الایمیراطور يرى أنه لا يخشى شيأ من جهة اعدائه اذ نزلت به
مصيبة من جهة اخرى فوق طاقة البشر بحيث لم يمكن للانسان أن ينجم منها
بجزمه وعزومه وذلك أنه بعد خروجه مع عساكره من البحر يومين اخذ يطرده
بعض طوائف من العرب كانت تهم على جيشه مدة سيره فبينما هو كذلك
اذا متلاً بالجو بسحاب كثيف واشتد الظلام وعند المساء عصفت الريح ونزلت
امطار غزيرة كانت تطردها رياح شديدة فتسقط بقوة وشدة وازدادت
الفرطونات وهاجت الريح مدة الليل وكان عساكر الایمیراطور لم يفرجوا

من السفن الأسطعم قطع فمضت عليهم تلك الليلة وهم في الكشف تحت
السماء عرضة للعواصف والأمطار وعما قليل فاضت المياه على الأرض حتى صار
لا يمكن العساكر أن يأخذوا مضاجعهم منها وكان معسكرهم في أرض منخفضة
فكان السيل يأتي إليهم من جميع الجهات حتى عمها وكان الرجل منهم لا يقل
قدمه غاص في الطين إلى نصف ساقه وكانت الرياح مع ذلك قاصفة حتى لازمهم
أن يغرموا برماحهم في الأرض ليستندوا إليها وكان حسن أغا الطواشي
متيقظا كثير المهاراة والنشاط لا تفوته مثل هذه الفرصة التي تعينه على
الفتك بعدوه وتدبيره وذلك أنه عند طلوع الفجر خرج مع عساكر من العمران
وهم على شدتهم وقوتهم لم يضع منها شيء فبما كبلوه من الأمطار والرياح كعساكر
الإمبراطور فبمجرد ظهورهم هرب العساكر الإيطالية الذين كانوا نازلين
بقرب المدينة لأجل الحرس وانفزعوا حسن أغا بعساكره من هذه المحطة
بدون خشقة فلما وصل إلى المحطة الثانية قاومته العساكر الإمبراطورية
إلا أن الأمطار أطفأت قلوبهم وبلت بارودهم فلم تنفعهم قربانهم بشيء وكانت
أسلحتهم ثقيلة عليهم فلم تحض مدة يسيرة الا وهزمهم حسن أغا بعساكره
وبدشملهم فقتلهم الإمبراطور مع الجيش بتمامه لدفع العدو وصده قتل
حسن أغا من جيش الإمبراطور مقدارا عظيما وأودع في قلوب الباقي الرعب
والفرزع ثم رجع وعساكره في غاية الانظام والترتيب
وقد أعقب دمار الجيش بالبر دمارا دونما بالبحر وذلك أنه في أثناء النهار قد ملا
الضوء الجوف وانتشر في الآفاق وكانت العواصف لم تزل مستمرة مع الشدة وكان
البحر يضرب كل الاضطراب واما وجهه فلا طم كالجبال فاقتلعت السفن اهلا بها
وتكسرت بتصادمها مع بعضها واعم العجرات وقذفت الامواج كثيرا منها
إلى البر وابتلعت بعضها في أقل من ساعة عدم من السفن الحربية الكبيرة
يخس عشرة سفينة ومن سفن النقل مائة واربعون وغرق من الرجال ثمانية آلاف
كلواها ومن حاول النجاة منهم وعام حتى وصل إلى البر ذبحه العرب ولم يروا
عليه واما الإمبراطور فلما دخله من الرعب والفرزع كان ينظر إلى هذه

مطلب
دمارا دونما

المصابين بعين الحيرة ولا يتقوه بشئ وكان ايضا يتطربعين الحسرة الى الامواج
وهي يتلعج مصائبه الحربية وذاكره المعتدة لتقوية عساكره فغابت آملته
وضافت عليه الارض بما رحبت ولم يمكنه أن يصنع شيا سوى كونه ارسل بعض
سرياته من عساكره لتطرد العرب الذين كانوا على الشواطئ وتأخذ العساكر
الذين كانوا يعومون ويصلون الى البر ولكن بعد ذلك اخذت الرياح في السكون
والعوامص في الركود فطمع الاميراطور أن يبقى له من السفن ما يكفي في نجاة
الجيش من احوال القسط والجوع حتى يعود الى بلاد اوربا ولكن كان ذلك
من قبيل الاماني الباطلة لانه عند المساء امتلأفق البحر بالضبابات الكثيفة
ولم يمكن للضباب البحرية الذين نجوا من الهلاك أن يفهموا العساكر البحرية
مقصودهم فقتل العساكر البحرية تلك الليلة في عذاب اليم وفي حيرة وقلق عظيم
فلما لاح النور جاء الى المعسكر فارب من طرف الاميرال (قبودان باشا)
دورية واخبر أن الاميرال المذكور قد نجى من تلك القربطونة التي لم ير مثلها
منذ خمسين سنة وهو مشغول بالملاحه وركوب البحر وأنه اضطر الى الذهاب
الى رأس ميناء فوزة مع سفنه وان كان قد لحقها التلف وكانت السماء
لم تنزل متغيرة من الضباب وعواصف الرياح فبعث دورية محبة المرسلين
بالتقارب الى الاميراطور ينصحه ويدعوه الى الاسراع بالذهاب الى رأس
ميناء فوزة لانه اوفق محل ينزل منه العساكر الى البحر

ولا يخفى أن مثل هذا الخبر بنبأه جزم من السفن يعد في تلك المصيبة تسليية كبيرة
للالاميراطور ولكن ما حصل له من السرور بذلك كان يعكره عليه سوء حال
جيشه وكان رأس ميناء فوزة بعيدا عن معسكره بمسافة اربعة ايام وكان
قد نفذ جميع الزاد الذي اخرجوه من السفن وكان العساكر لتجهم ونفسهم يصعب
عليهم قطع تلك المسافة ولو في بلادهم لتصور همتهم بما كابده من المشاق حتى
لو حصل لهم عقب ذلك نصر ونجاح لاحتمل أن صدورهم لا تنشرح لذلك
ولا تعود اليهم همتهم الاولى فكانوا لا طاقة لهم على مكابدة مشاق جديدة ولكن
كانت حالة الجيش انذاك لا تسوغ التردد بين الرحلة والاقامة بل كانت تبغي

مصب
اضطرار شر لكان
الى الارتمال

سنة ١٥٤١

الارتحال فاهم الاميراطور عساكره بالسير ووضع المرضى والجرحى في قلب
الجيش والاقوياء في المقدمة والساقة فازدادت بهم الاكام في السير وعظمت
مصيبتهم فكان يشق على بعضهم حمل سلاحه والبعض الآخر ضعفت قواه
من التعب والسير في طرق وعرة غير مطروقة فكان يسقط في الطريق ميتا
وكثير منهم مات جوعا لان الجيش كان لا يتقوت الا من الاعشاب وجيوب
النباتات التي تخرج في الجبال ومن لحوم الخيل التي كان الاميراطور يذبحها
ويوزعها عليهم وبعضهم غرق في السيلول وكانت غزيرة لكثرة الامطار حتى
كان العساكر عند دخولها تضربهم المياه الى اذقانهم وقتل العدو منهم مقدارا
جسيما لانه في مدة سيرهم كان يجم عليهم في كل وقت ويتقص عليهم اثناء الليل
واطراف النهار وبالجملة فبعد ان كابدوا من المشقة والتعب ما تضرع به العبارة
وصلوا الى رأس مينا فوزه وسكنت الرياح على حين خفلة فحصلت الوصلة
بين السفن والجيش وكثرت المأكولات عند العساكر ودخلهم رجا انهم
قد صاروا آمنين لا يخشون تعبا ولا نصبا

مطلب
كرم نفس الاميراطور
وعزمه

وفي هذه المصائب الكبيرة ابدي الاميراطور شيركان من جدي الصفات
ما لم يكن يترأى منه قبل ذلك ولم يكن يعهد فيه حيث كان اولاً في سعد مستعز
لم تلحقه فيه شدة يعرف بها عزمه وتجلده فايدى في هذا الخطب العجب العجيب
من العزم وكرم النفس والشجاعة والمروءة فكان كاحد عساكره في تحمل المشاق
ومكابدة الاهوال وكان يلقي بنفسه الى اعظم المحال خطبا واشدها خطرا
ويقوى قلوب من تفترهمهم وتقاص قواهم ويعود المرضى والجرحى
ويشجعهم بالقول والفعل ولما نزل الجيش في السفن تأخر هو مع من تأخر على
الشاطئ مع ان العرب كانوا بالقرب منهم ويخشى هجومهم على الساقة فهذا
السؤال المستحسن والفعل المحمود ستر مشالب الكبر والعقول التي اخضعت به
الى التصدي لمثل هذا المشروع الذي اضرت عواقبه برعاياه كل الضرر

مطلب
رجوعه الى أوروبا

ولم يكن ذلك آخر مصائب الاميراطور وجنوده بل بجمد نزول العساكر في السفن
هاجبت الرياح وهبت غرطونة كانت دون الاولى في الهول والشدة انما اشتدت

سنة ١٥٤١

شهر كانون الاول

السن عن بعضها فكانت كل سفينة على حدتها تبحث لها عن جهة ترسو عليها فبعضها ذهب الى اسبانيا وبعضها الى ايطاليا فاقترى بذلك خير خبيبة الایمپراطور وخسارته مع المبالغ التي تقترحها العقول المتكهن منها القزع والعب واما الایمپراطور فتعد أن اتهم اخطارا كبيرة وكابد أهوالا كثيرة اضطر الى أن رسا بمينا بوجية جيلاد افریقة وعاقه فيها اختلاف الرياح حتى مكث بها عدة اسابيع ثم سافر الى اسبانيا ودخل على حالة تغير الحالة التي قدم عليها في رجوعه اول مرة منصورا من بلاد افریقة .

انتهت المقالة السادسة

(المقالة السابعة)

(من تحاف ملوك الزمان بتاريخ الایمپراطور شرلكان)

وقد خلق الایمپراطور في هذا المشروع خسارة كبيرة لم تحل عن المبالغ من لغط العامة وكل بلدة كانت ابعده من غيرها عن محل الواقعة كانت المبالغ فيها اكثر فاتخذها الملك فرنسيس فرصة في بدء الحرب مع الایمپراطور ولكن لم يرم اليه صواب أن يتعلل في ذلك بما سبق له من تطلب دوقية ميلان ولا يتخذ اع الایمپراطور في هذا الشأن حيث وعده بها غير مرة ولم يف بوعده موزلك أن الالهة الاولى انما كان يسوغ له التعلل بها لو امتنع من عقد المهادنة بمدينة نيسة بخلاف التعلل بها في قص هذه المهادنة بعد انعقادها فلا يمكن ولا يقوم حجة في ذلك واما العلة الثانية فكانت نفسه تأبى التعلل بها لانه يترتب على اظهارها استهزاء الناس به حيث وثق بوعده الایمپراطور بعدما لاقاه منه من الغدروا والحيانة * وكان قد وقع من بعض جنرالات الایمپراطور اساءة وتعد في حق فرنسيس فاتخذ ذلك علة في طلب الحرب مع الایمپراطور لان هذه الاساءة كانت فاحشة شنيعة فاغضبت فرنسيس كل الغضب واشتد بها حقه وباليه كان يجب الصلح بقدر رغبته في الحرب بعد تلك الاساءة * وذلك أنه كان قد فهم أنه باقراره له مدينة نيسة قبل استشارة السلطان سليمان بغضب هذا السلطان الذي كان يرى أن معاهدة الدولة العثمانية بما يتشرف

مطلب
شعبه الملك
فرنسيس العرب

(سنة ١٥٤١)

به ملوك النصارى * وكان فرنسيس ايضا قد اجتمع مع الإمبراطور
في اقليم برونسة * كما سبق واكرمه فرنسيس غاية الاكرام واطهر البعضهما
من المودة والمحبة مالا مازيد عليه حتى ظن السلطان أنهم انسيبوا عداوتهما
القديمة وتطاهرا على الدولة العثمانية لان هذا القرض كان قد اريد تنفيذه وغير
مرة ولم يتم وجيع النصارى كانوا يؤدونه تنفيذه واجراءه * وكان الإمبراطور
مع حيلهم ومخادعاته يحاول أن يمكن هذا الظن من نفس السلطان ويوصي رسله
الذين بدويون * القسطنطينية وغيره من الدواوين التي كان لهما مداونات
مع السلطان أن يشيعوا أنه قد اصطلح مع فرنسيس وصار معه على غاية
من الالتئام وأن مقاصدهما واغراضهما صارت واحدة فشق على فرنسيس
ازالة هذا الوهم من نفس السلطان سليمان فبعث الى الدولة العثمانية رسولا
تجيبا حادفا وهو الشهير بأنكون فباقتضام حذق هذا الرسول الى المصالح
العظيمة التي كانت تظهر للدولة العثمانية من الاتفاق مع فرانسوا على قتال عائلة
الابوسرسياء (عائلة الإمبراطور شرلكان) مال السلطان سليمان وصمم
على أن يعقد مع ملك فرانسوا معاهدة أكيدة فرجح وأنكون الى سيده
فرنسيس ومعه مكاتبات من طرف السلطان مضمونها أنه يتجاوز ادخال اهل
البنادقة معهم في الحزب على الإمبراطور وكان السلطان قد عقد مع
جمهورية البنادقة صلحا واعانه على ذلك فرنسيس ورسوله وأنكون
حق الاعانة فظن أنه يمكنه استماله ارباب مشورة السنن تلك الجمهورية
اذا هو عرض عليهم ما فيه نفعهم ومصلحتهم لاسيما وكانوا يرون أن ملك فرانسوا
قد سبقهم الى ذلك فلا يتوقفون فيه بل يؤثرون نفعهم على اعاده فعند ذلك
فرح فرنسيس وارسل وأنكون ثانيا الى القسطنطينية وامره أن يترجم
بالبنادقة مع رجل من جنويرة يسمى فريغوز كان متنفيا من وطنه
وقرض لهما أن يسعيا في تقيم الامر الذي كان السلطان قد بعث بصدده رسولا
من طرفه الى مشورة السنن وكان هذا الرسول قد افتتح المذاكرة فيما هو
مبعوث بصدده * وكان المترجم دوغواست اذ ذاك كما على دوقية ميلان

مطلب

شكون قتل رسل

فرنسيس هو السبب

في الحرب

وكان من مهرة الضباط وانجهم الا انه كان من الجبارة العتلة فبلغه ما الى
يصنعه هذان الرسولان وكان يعلم ان سيده يود الوقوف على مقاصد ملك
فرانسا وأن تأخير اجراء هذه المقاصد من اعظم المهمات فبناء على ذلك اعاد
رايون وصاحبه فرينوز كينا من محافطى باوياد فاقضوا عليهما
عند نزولهما في البحر في سينا يوه وقتلوهما مع عدة اشخاص من اتباعهما
وقبضوا على الاوراق التي كانت معهما فلما وصل الخبر الى فرنسيس غضب
غضب شديدا وكانت المهادة لم تنقض مدتها لاسيما والى والى محترمون
ايضا فوجهوا ولوين الملل المتبررة الحشنة قتلهم فيه هناك حرمة المحقوق بين
الملل ومخالفة رسوم الدول واستولى على فرنسيس الاسف والحزن
لان الرسولين المقتولين كانا صديقين في خدمته فقهر من هذا الامر الذي افسد
عليه مقاصده وانضم الى ذلك جميع ما سبق له من موجبات التعكير والاغارة
فقوى غضبه واشتد حنقه من هذا الامر المنكر الذي يرمى به وبمملكتيه فاتهم
الملتزم دوغواست بأنه هو الذي ارتكب هذه الكبيرة فاخذ الملتزم المذكور
يرى نفسه من هذه الخطيئة التي اورثته الخزي والمعزة ولم يجد ذلك نصفا
لان الرسولين المقتولين كانا قد تركا وراءهما الاوراق والمكتابات المهمة * فارسل
ملك فرانسا الى الامبراطور يطلب منه تخليص حقه وأن ينتصف له من فعل
هذه القصة السيئة التي لا تصح لها ادنى الملوكة واكثرهم جينا واقلهم مروءة
وكان الامبراطور اذا ذلك مستغلا بتجهيز العساكر المعدة للسفر معه الى بلاد
افريقية فاخذ يحاوله ويحبيه باجوبة مبهمة قتلهم منه فرنسيس وبث
شكواه الى سائر دواوين الملوك الافرنجية ولطالعهم على قبح هذه الاساءة
وشناعتها وبرهن على استقامته وحسن سلوكه ونظم الامبراطور وتعدية حيث
احتقره ولم يلتفت الى شكواه

ومع ما لباه الملتزم دوغواست في البرهنة على براءة نفسه كان جانب الملك
فرنسيس مرجحا على ايمانه ودلائله وكان الحاكم على اقليم بيون يومئذ
انجما هو من طرف فرانسا وهو الامير دويلى فلم يزل يبحث ويجهد حتى

(سنة ١٥٤١)

وقف على حقيقة الامر وواقعه عليه غنة شهود نعم وان كان هؤلاء الشهود
يتهمون على شهادتهم لما كان فيهم من الشبهة الآن شهادتهم بانضمامها
الموقوف عليه الامير دويلى تعضدت وصارت شهادة صحيحة يعمل بها
شرعا خصوصا وقد ايد لفظ العامة ما وقف عليه هذا الامير فظهر ان شكوى
فرنسيس في عملها ولم يتهمه احد حين اخذ يجهز لوارث الحرب بأن الحمل له
على ذلك بل معه اوحقده بل هو مجرّد نفس الانتقام في نظراتها كحمة
ملكته

ومع أن الحق كان مع الملك، فرنسيس وكان متعاهدا مع السلطان على الاخذ
بناصره كان لم يرزل يخشى صولة الامبراطور ويطشه فاخذ يبحث عن حلفاء
آخرين يستعين بهم عليه لتعادى قوى القريتين ولا يمكنه لم ينجح نجاحا تاما
فيما وقع بينه وبين غيره من ملوك الافرنج من المفاوضات والمداولات في هذا
المعنى فاما ملك انكلترا فكانت مطامعه وآماله في شأن ملكة ايقوسيا
لم تنل عاقبة وكان يرى أن ذلك من موجبات الشقاق بينه وبين ملكة فرنسا
فكان يرغب في الانضمام الى حزب الامبراطور لافى اعانة الملك فرنسيس
على مشروعاته واما البابا فكان مصمما على عدم التعرض لاعانة احدهما
على الآخر وتأسى به في ذلك اهل البنادقة مع الحاح السلطان سليمان
عليهم في هذا الشأن واما اهل المانيا المعتزلة فكان الامبراطور يحرص لهم
في دياتهم وعقائدهم قالوا يجب عليهم حينئذ مراعاة لاجزائه فلم يوافق
فرنسيس على الانضمام الى حزبه الا ملك داتيرقة وملك اسوج حيث
فرح بأن يكون لهما دخل في حرب اعظم ملوك جنوب اوربوا وقواهم
شوكة وانضم الى حزبه ايضا دوق كلبوس (وهى دوقية بيلاد المانيا)
وكان بينه وبين الامبراطور نزاع في شأن اقليم غويلدره غير أن دول
يملكى داتيرقة واسوج كانت بعيدة جدا عن ميدان الحرب وكانت شوكه
هذه الدوق ضعيفة فلم يحصل لملك فرنسا كبير فائدة من معاهدته مع
هؤلاء الثلاثة

(سنة ١٥٤١)

مطلب

مهارة فرنسيس
في تجهيزاته للحرب

ولكن مهارة الملك فرنسيس سدت مسدداً طوله الا أنه مرض في هذا الوقت بسبب انهماكه على اللذات والشهوات فعاقبه المرض عن الحرب ومكث مدة وهو يمدى في تدبير المصالح عزمًا وحزمًا أكثر من الاول فكان هذا المرض بالتحقق على ترك اللعب والهوى بل اورثه شدة وصعوبة مع وزراءه وجلسائه فكان دائماً عابساً غاصباً وكلما تذكر بخادعة الاميراطوره وما فعله في حقه من الاساءة ازداد غمّه وغضبه حتى أنه عزل بعض من كان يأتمنهم ويثق بهم بجردهم عن مناصبهم بل عزل الامير مونتورانسى مع أنه كان منذ زمن طويل مشغولاً بإدارة المصالح الملكية والجهاديين ويتصرف فيها تصرف الوزير المحبوب المحترم عند ملكه ولم يال فرنسيس جهداً في الاستعداد والتجهيز بل صرف مجهوده ليطهر في هذا العرض بظهر مبتهج حتى يرى ان حزمه في ادارة مصالح الدولة لا يتقص ولا يعتريه خلل بغيبة مونتورانسى واضرايه من اولى الشوك والصلوة

(سنة ١٥٤٢)

مطلب

تجهيزه خمسة جيوش

فجهز خمسة جيوش احدها اعده للهجوم على اقليم لوكسمبرغ وكان رئيسه ابنه الدوق دورليان وجميعه الدوق دولورينه وكار في فن الحرب وثانيها كان رئيسه ابنه الدوقين اى ولى العهد وامره بالتوجه الى ضواحي اسبانيا وثالثها توجه الى اقليم برانطة وكان رئيسه مارشال غويلدره المسى واروسان وكان معظمه من عساكر اقليم كنيسور ورابعها كان رئيسه الدوق دوو اندوم وامره بالتوجه الى اقليم قلندرة وخامسها جمعه من العساكر التي كانت مقيمة باقليم بيون وكان رئيسه الاميرال آوبوت (اى قيودان باثا) وبهذا الترتيب كان يترأى أن الدوقين واخاه قد قسّمت لهما ابواب الفتوحات والغزوات وكان جيش الدوقين يبلغ اربعين الفا وجيش اخيه الدوق دورليان يبلغ ثلاثين الفا ومن العجيب أن الملك فرنسيس مع هذه الجيوش العديدة لم يجمع على دوقية ميلان مع أنها كانت غرضه من مشروعاته وحروبه منذ مدة طويلة ولكنه كان لم يزل متذكراً لما حل به فيها من مصائب حروبه السابقة ونكباتها وكان ايضا يرى انه يصعب

(سنة ١٥٤٢)

عليه الحرب فيها بعد هاجن بلاده فقترت همه عن التصدي اليها ورأى أنه يشق عليه التزول في بلاد ايطاليا وأنه يجب عليه تحويل قواه الى جهة أخرى يمكنها الفتك بها ولما كان لا يوجد في ضواحي اسبانيا من المدائن التي تقدر على المداخعة والمقاومة الا القليل وكان لا يوجد في تلك الجهة جيش بعده وبرده طمع في الطفر بمرامه قبل أن يلحقه الايميراطور بجساره وأنه يستولى على قوصية روسيلون التي كان قد تغلب عليها شرلكان من قبل قليل ونزعها من مملكة فرنسا واما حربه في مملكة البلاد الواطية فكانت له اسباب ايضا منها انه كان يجب عليه اعانة حليبه دوق كليوس ومما أنه كان يؤمل بتلك الواسطة أن ينضم الى حربه مقدار جسيم من العساكر الالمانية

شهر حزيران
حرب الجيوش
المتقدمة

وقد بدأ الدوقين واخوه الدوق دورليان الحرب في ان واحد تقريرا. اما الاول فوضع الحصار امام مدينة برينيان قاعدة اقليم روسيلون والثاني دخل اقليم لوكسمبرغ ونجح فيه كل النجاح فكان كلما سلكه مدينة تسلم له الاخرى حتى أنه بعد مدة قليلة لم يبق للايميراطور بهذا الاقليم الكبير الا مدينة واحدة وهي مدينة تيونويل ولواغار الدوق المذكور على الاقاليم التي بجوار اقليم لوكسمبرغ لما امكنها المقاومة بل كان يظفر بها كما ظفر بالاقليم المذكور الا أنه شاع على السنة الناس أن الايميراطور قد استعد لطرد الدوقين عن مدينة برينيان قترك الدوق دورليان حالا جميع فتوحاته وبادر بالتوجه الى اقليم روسيلون ليقتسم بفار النصر مع اخيه ولعل الذي دعاه الى ذلك هو حمية الشهاب الخالية عن الحزم والتبصرا وهو غيرته من اخيه الدوقين وبغضه فلم تطق نفسه أن يتركه يحتمس بفخار الحرب مع الايميراطور

وبعد سفره تستت بعض العساكر وهرب البعض وقترت همه الباقي فلم يحسنه للمقاومة وبهذا السلوك الدال على ضعف عقل هذا الدوق اوعلى ضعف جنانه اوعلى ما معا خابت اماله بعد أن فرح بالنصرة في أول غزوانه وامكن لعدوه

(سنة ١٥٤٢)

أن يسترجع قبل انقضاء فصل الصيف ما كان اخذ منه وكان الامير بطور
سد يد الاري سال كمال الحزم لا يرضى أن يخاطر نفسه في الحرب على ضواحي
اسبانيا لانه وبعثا انهزم وصارت تلك المملكة عرضة للاخطار فلما حصل
الهمم على مدينة برينيان وكانت غير حصينة قاومت مع ذلك حق
المقاومة وكان الامير في دورية تدملاها بالازاد والمهمات الحربية وكان بها
الدوق دالبه وكل يابس الطبع عنيد له اقتدار على المقاومة في الحصار
ولولفت الشدة قمتهاها فذاع عن هذه المدينة مع العزم التام حتى قرن همة
الفرنساوية وتتاقصوا بالامراض التي حلت بهم وإدركهم التعب من هجوم
الاعداء عليهم المترة بعد المترة مع شدة العزم وقوة البأس ودخلهم اليأس
والقنوط فرفقوا الحصار بعد أن مكثوا ثلاثة اشهر وهم يكابدون من المشاق
ما تقصر عنه العبارة تم توجهوا الى مملكتهم ومع هذه العساكر الكثيرة
والتجهيزات الكبيرة التي استعدها الملك فرنسيس لم يحصل له ما كان يؤمله
من القوائد الجليسة ولما كان اهل اوروبا يتربصون حصوله ولا يدري
هل سبب عدم ظفره بمقصوده هو عدم حسن سلوكه او كونه دون الامير بطور
في الشوكة والحزم فكان ما حصله في هذا الحرب منحصرا في بعض مدائن
تغلب عليها من اقليم بيجون وقد اخذها الامير دوييلي فيما بعد بالحيلة
والتيدير لا بقوة والحرب

(سنة ١٥٤٣)
بجهيزات الحرب جديد

ومع أن كلا من الامير بطور وملك فرنسا كان قد دمر قوى الاخر في تلك
الحروب التي لا طائل تحتها كانت البغضاء والعداوة بينهما لم تزل باقية على شدتها
الاصيلة فتبدل كل منهما جهده بعد ذلك في اتخاذ صفاء يستعين بهم على عدوه
في حرب جديد كانا قد صمما عليه فاما الامير بطور شريك كان فكان قد تمكن
من قلوب رعاه الفزع والرعب لما شاهدوه من اتاعة فرنساوية بغتة على
بلادهم فاستهزئ تلك القرصة وطلب المدد والاعانة من مشورة القورطس
فامتته بامدادات اكثر من العادة واقترض ايضا مبلغا جسيما من حنا ملك
البورتغال ورهن عنده في تطهير هذا المبلغ جزائر مولوكه جهة الهند

(سنة ١٥٤٣)

شهر ايار

وزلته تجارة البهارات النفيسة التي كانت تخرج من هذه الجزائر ولم تقتصر على هذا الاحتراس بل وزق ابنه فيليس ولم يكن له غيره وكان عمره ست عشرة سنة بالاميرة مارية بنت الملك حنا المذكور فخرها بجهاز عظيم وكان أعني ملوك الافرنج انذاك ثم التحس شرلكان بعد ذلك من مشورة القورطس بمملكة اراغون ومملكة والنسة أن تقر ابنه فيليس على أن يكون ولي عهده في هاتين المملكتين واخذ من القورطس ما جرت العادة يذله فيمثل هذه الصورة فامكنه تلك الامدادات أن يزيد في جيوش اسبانيا ويكثرها حتى اخذ منها طائفة كبيرة بعثها الى بلاد المملكة الواطية وكان في الباقي كفاية للقيام بالدفاع عن بلاد اسبانيا وبعد أن رتب في اسبانيا ما يكون به امنها واطمئنانها جعل زمام الحكم بيد ابنه فيليس وتوجه الى المانيا من طريق ايطاليا ولم يتقدمه حيل البابا ولا ما ابداه اليه من اغراضه مع أنه كان يسعى في تحصيل مبالغ جسيمة لتعينه على الحرب الكبير الذي عزم عليه وذلك أن البابا لما كان يعلم حاجته وكان يترقب كل فرصة تعينه على ترقية عائلته طلب منه أن يعطى حكم دوقية ميلان الى جنيده اوكاوة الذي هو صهر الإمبراطور كما تقدم واراد أن يرغبه في ذلك ينذل مبلغ جسيم يكفيه في مصاريف الحرب فابى الإمبراطور أن يبيع هذه الدوقية للطيفة لاسبانيا وصح كان حاقدا على البابا حيث ابى عنه مزايا أن ينضم الى حربه فقتل سب فرانسوا فلم يجبه الى ما طلب ولم يتمكن من الدوقية المذكورة بل اراد معارضة في غرض آخر وهو أن البابا كان يريد فصل اقليم برمه واقليم بايزنسة من اراضي الكنيسة ويعطى احدهما لابنه والاخر لجنيده على سبيل كونهما التراما تابع للكنيسة فلما لم تنجح للإمبراطور بعد ذلك وسيلة يحصل بها اموالا من بلاد ايطاليا امر باخراج اخفاطين الذين كانوا بقلعة فلورنسة وقلعة ليبورنة (ليغرنه) فعند ذلك اهدى اليه الامير كوم دو ميديسيس هدية جليلة حيث صار بعد خروج اخفاطين من اقلعتين انذ كورتين مستقلا بنفسه ومستبدا بالحكم عليهما وكانت تسعين مائة اقليم طوسكانة ولاشت عهما

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

مداولة الإمبراطور
مع هنري الثامن ملك
انكلترة

جدير أن بهذه السجية

ولكن كانت مقاصد شريكان آخذة في الازدياد والاتساع لاسباب بعد
أن تعاهد مع الملك هنري الثامن ملك انكلترة على أنهما يجمعا معا على
بلاد فولاندا وكانت هذه المعاهدة بالنسبة اليه اعظم فائدة وأتم نفعاً من جميع
ما جهزه واستعد به للحرب وكان ملك انكلترة قد سئم من معاهدة فرنسيس
لنمازعات صغيرة وقعت بينهما وقد تقدم ذكرها فلما طرأت عوارض جديدة
اتفصل هنري بالكلية عن ملك فرنسا وذلك أن هنري المذكور
كما كان يبذل جهده في نشر الدين الجديد يلاذ انكلترة كانت له رغبة تامة
في أن يجعل له اتباعاً يتكفون بأرائه وعقائده فصمم على حث ياكس ملك
ايكوسيا وكان من قاربه على انفروجه عن طاعة البابا واتباع المذاهب الجديدة
التي ادخلها في مملكة انكلترة وكان ياكس المذكور لا اعتناء له بشأن
الدين فعرض عليه هنري امورا مفيدة جدا بحيث كان يجزم بأنه يرضاه
ولا يرد هامة لقاءه منه بالقبول لكن لما كان قسوس ايكوسيا يعملون
أن التمام ملكهم مع ملك انكلترة يضر بدين الكنيسة الرومانية ضرراً عظيماً
وخشى ايضا احباب فرنسا واحزابها أن يضر بتأثير هذه المملكة في مصالح
ايكوسيا وتقطع مدخلياتها فيها فانضم هؤلاء الاحزاب الى حزب القسوس
وسلكوا مسلك الحيلة والدسائس حتى اتفقدوا على ملك انكلترة ما كان دبره
وكان يمكن من الشدة والعداوة لم تطلق نفسه مثل هذا الامر ونسبه الى خداع
فرنسيس وطيش ياكس وخفته وهم بحمل السلاح لينزع من ياكس
ملكته لكونه لا يحفظ عهدا ولا يرعى ميثاقاً وصحله الغيظ من ملك فرنسا
على أن يأخذ في المفاوضة مع الإمبراطور فعماد قليل عقد معه معاهدة الا أنه قبل
بها وانما اتي في اثناء محاربة ملك انكلترة لمملكة ايكوسيا مات ملكها
ياكس الخامس ولم يعقب الا بنتا صغيرة لم تبلغ سن الرشد وهي الاميرة مارية
فانتقل اليها تاج المملكة بطريق الوراثة عن ابيها وهذه الحادثة تغيرت
مقاصد هنري في شأن تلك المملكة وعُدل عن قصد الاستيلاء عليها بطريق

مطلب

خصام هنري مع
ملك فرنسا وملك
ايكوسيا

(سنة ١٥٤٣)

١١ من شهر شباط

مطلب —

المعاهدة المنعقدة

بين الايمبراطور

شرلكان وهنري

ملك انكلترا

القهر والغلبة لكونه رأى أن الاصوب والاسهل أن يضمها الى مملكته بقرع
تلك الاميرة لابنه • ايدوارد ولم يكن له سواه ولكن كان يخشى أن لا يسلطه
في ذلك حرب الفرنساوية الذي كان يملكه ايقوسيا لان هذا الحزب
كان قد اخذ يوقع من الدسائس والفتن ما يفسد عليه آماله ويطلب اغواضه
فكان يرى أنه يلزمه تدمير هذا الحزب ومنع فرنسيس من اعانه وامداده
فلما رأى أن وسيلة الاقتض العهود التي كانت بينه وبين فرنسيس وتجنيد
معاهدة مع الايمبراطور فساد الى بت المعاهدة التي كان قد بدأ الدواولة في شأنها
مع الايمبراطور صار الإثنان من وقتئذ على قلب رجل واحد

وكان أول شرط من شروط هذه المعاهدة التي هي أولى بأن تسمى عصبة تتعلق
بإيقاع الاتحاد والاتسام بين الايمبراطور والملك هنري • وبمدافعتهما عن
بعضهما وبعد هذا الشرط ذكر فيما ما ينبغي لكل واحد منهما أن يطلبه
من فرنسا وما ينبغي لهما فعله إذا أبى فرنسيس ارضاء خاطرهما
والجئتهما المطلبين وبالجملة فانخط الرأي بينهما على أن يلزمه بنقض معاهدته
مع الدولة العثمانية لما ترتب عليهما من الضرر للبلل النصرانية ويدفع اشياء
لاصلاح ما فسدته هذه المعاهدة التي تأبها القوانين النصرانية وجبر ما ترتب
عليهما من الخلل وأن يرده دوقية برغونيا الى الايمبراطور ويقطع عن الحرب
حاليا حتى يتمكن الايمبراطور من توجيه قواه وعساكره الى اعداء ابناء
النصرانية وأن يدفع عاجلا المبالغ التي كُتبت في ذمته ملك انكلترا او يعطيه
بعض مدن تبقى معه رهنا على هذا الدين حتى يؤديه اليه فان لم يوف بهذه
الشروط في ظرف اربعين يوما وجب على كل من الايمبراطور وملك انكلترا
أن يشن الغارة على مملكة فرنسا مع عشرين الفا من المشاة وخمسة آلاف
من الخيالة وقعاها مع على أن لا يرجعا عن الحرب الا اذا اخذ الايمبراطور
دوقية برغونيا ومدائن نهر السوم واخذت انكلترا بلاد نورمنديا
وبلاذ غيانة بل ومملكة فرنسا بتمامها وبعثا رسلا الى مملكة فرنسا
تبلغ تلك الامور فلم يؤذن لهم بالدخول في هذه المملكة ومع ذلك ظل

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

مداولة الملك فرنسيس
مع السلطان سليمان

الاميراطور والملك هنرى أن لهما الحق في إجراء ما وقع عليه الاتفاق بينهما

واما الملك فرنسيس فلم يكن دونهما في الاجتهاد والسعي في التجهيزات اللازمة لهذا الحرب وكان قد ادرك قبل ذلك بمدة طويلة أن الملك هنرى في حقد شديد منه فبطل جهده في استمالته وارضاء خاطره فلم يجد ذلك نفعا فاقين بموجب ما كان يعهده في طبعه أن سكونه سيعقبه عداوة كبير فرفع عدل عنه وقصد السلطان سليمان ليمده بمداد كاف بحيث يمكنه مقاومة الاميراطور والملك هنرى * فاقضى الحال يعرض الرسلين اللذين قتلها الامير دوغواست فانتخب فرنسيس عوضا عنهما ضابطا من بوزباشية القرباية يقال له بولان وارسله ليذهب الى مدينة البنادقة ومنها الى مدينة القسطنطينية واما حينه فرنسيس لهذه لوطيفة المهمة ورآه صالحا لها بناء على ما ذكره الامير دويلى في شأنه من أنه اختبر معارفه ونباهته في عدة مداولات ومذاكرات فلم يحجب بولان ظن الناس فيه ولم تعقه اخطار الطريق ومشاقتها بل مازال سائرا حتى وصل الى القسطنطينية وبجهد وصوله اليها لم يطلب ما هو مبعوث بصدده وعرف أن ينتهز كل ما لاح له من الفرص المساعدة له حتى ازال جميع الموانع التي كان يعطل بها السلطان بل انغم جميع الباشات الذين كانوا يناقضون في صحة معاهدة الدولة العثمانية مع الدولة الفرنسية اما لان رأيهم كان كذلك في الواقع ونفس الامر اولان رسل الاميراطور كانوا قد استولوا على عقولهم وحثوهم على عدم الرضاء بتلك المعاهدة فصدر امر من السلطان الى بربروس أن يجهز دونما كبيرة ويفعل كما يفعل الملك فرنسيس ولكن لم ينجح فرنسيس في ذلك ايضا مع بعض امراء الاميراطورية الالمانية وذلك انه قصد اظهار الغيرة على الدين القائلون حتى يزيل ما انطع في عقول الناس من الاوهام والظنون بسبب معاهدته مع المسلمين اللذين هم اعداء دين النصرانية رأى انه يلزم معاقبة جميع من عدل من رعاياه عن دين الكنيسة وتمسك بالدين الجديد اشد العقاب فلم يرتب على ذلك

(سنة ١٥٤٣)

الابضه محمد امراء المانيا الذين كانوا يميلون بالطبع الى اعاقته بل وكانت مصالحهم تازمهم بذلك هذا وكان له منية عظيمة لخص بهادون الاميراطور وهي اتصال دوله ببعضها وكانت دائرة شوكته بفرانسا واسعة فكفاه ذلك عروض التعطيل والعوائق التي لا بد من وجودها بين اناس كراعيا الاميراطور يدجمعون مصاريف الحرب بامدادات وقية واعانات حالية فجمع بموجب اقرار دواوين ومشاوره وتكون غالباً قليلة واهية فلذا كان فرنسيس في الاستعداد والتجهيز اسرع من الاميراطور فان تجهيزاته كانت بطيئة متراخية مالم تحصل له اعانة اجنبية او نظر له امور غير المعتادة فتقدمه من الحيرة والخطر

مطلب
بدء الحرب في ملك
البلاد الواطية

ثم ان فرنسيس وجه سائر قواه الى مملكة البلاد الواطية ونصب بهاميدان الحرب قبل ان يصل اليها الاميراطور فتغلب على مدينة غندريسي واعتنى كل الاعناء بتحصينها لانها كانت مفتاح اقليم هينوث ثم ارتحل منها واخذ في السير مجتهد حتى دخل دوقية لوكسبرغ فوجدها غير محصنة كما كانت في السنة الماضية ولكن كان الاميراطور قد جمع من محالكة جيشا وانقض به على اراضي دوق كليوس وكان قد اقسم انه ينتقم من هذا الدوق حتى يكون عبرة لغيره فلحق الدوق المذكور بالحق الامير روبرت دولامرك في الحرب الذي وقع قبل ذلك بين الاميراطور والملك فرنسيس وذلك انه لم يكن عنده من العساكر من يكفي لمقاومة عساكر الاميراطور الذين كان يبلغ عددهم اربعة واربعين الفا فهم بالفراغ عند قرب جنود الاميراطور من بلاده فبادرت العساكر الاميراطورية الى حصار مدينة دوران فايدى من بها من المحاقطين للجب الجباب في المداغعة عنها ومع ذلك اخذت عنوة وقتل جميع اهلها وهدمت منازلها وصار عليها ساقطها ففرغ من هذه القسوة جميع ما حولها من المدائن وداخلها لرب والخوف فارسلت مفتاحيها الى الاميراطور بل اضطر دوق كليوس الى ارتكاب ما يري به ويدنس عرضه وذلك انه لما لم يستعقل فرانسا بمدد يستعين به ذهب الى الاميراطور واستأذن في الدخول عنده فلما مثل بين يديه خربا على ركبته هو وثمانية من اعيان جماعته وطلبوا منه الصغ والعفو

مطلب
تغلب الاميراطور
على دوقية كليوس

في ٧ من شهر ايلول

مطلب

محاصرة لندريسي

فتركه الايبراطور على هذه الحالة ذليلا سقيرا ونظر اليه بعين التمسك والشفقة والعنفوان واحال امره على وفرائه فاشتروا عليه شروطا لم تكن في الصعوبة بقدر ما كان يتوقعه لما رآه من حقد الايبراطور حين وقف بين يديه موقف الذليل والهوان عن ذلك أنه اذن بترك دعواه في شأن دوقية غويلدره وبنقض معاهدته مع ملك فراانك وملك فاتيركة وأن تعاهد مع الايبراطور ومع ملك الرومانيين وردت اليه جميع صوره الوراثة على هذه الشروط الاملئتين ابقاهما شر لكان وهما عنده حتى تنقضي مدة الحرب ثم رد في اليه في مجد جميع مزاياه الثابتة له بوصف كونه من امراء الايبراطورية الالمانية وبعد ذلك بمدة قليلة تزوجه الايبراطور احدى بنات اخيه فرديند ملك الرومانيين لاجل تأكيده الصلح معه

وبعد معاينة دوق كلبوس على هذا الوجه الذي ترتب عليه حرمان فرنسيس من احد حلفائه واستيلاء الايبراطور على اقليم عظيم متصل بمملكة البلاد الواطية جال شر لكان في اقليم هينوت ووضع الحصار امام مدينة لندريسي واثابه هناك طائفة من عساكر الانكليز فيما سته آلاف رجل وكان رئيسها الامير حنا والوب وكان ذلك اول مرة حصلت له من معاهدته مع ملك انكلترة ولكن كان يحافظون تلك المدينة كلهم رجالا قد شبوا في العسكرية وشابوا وتقدم عهدهم في ذلك وكان رئيسهم الماهر لالندة والشجاع ديسه وكان كل منهما بركان من الشهرة والمهارة فتقاومت تلك المدينة حق المقاومة حتى اسعفها فرنسيس بالاعانة وحضر بها مع جميع عساكره وكان الايبراطور لم يرل محاصرا لها وكلف كل من الايبراطور والملك فرنسيس مصمما على المخاطرة بنفسه في هذه الواقعة كما كانت بلاد اوربا تظن أن هذه الواقعة تكون آخر مشاجرة اتهمامعا وكانت متشوقة الى معرفة عاقبتها حيث انها بين جيشين كبيرين محكومين بملكين خطيرين الا أن ما كان بين المعسكرين من المسافة كان يقضي بالوبال على من بدأ منهما بالهجوم فلم يرد مكل منهما أن يلقى بنفسه الى التهلكة وانما في اثناء الحركات التي كان يفعلها

(سنة ١٥٤٣)

كل منهما يوقع عدوه في الشرك أو يسلم منه سلك فرنسيس سلك الخرم والاصابة حتى انه كنهه أن يدخل في المدينة عساكر جديدة مع مقدار جسم من النصارى وازاد فعند ذلك ينس الامبراطور من التجاح وعطل الحركة ولزم منازل البستة ليق عساكره من مضار هذا الفصل فانه ربما كان يقربه على بقائه في الحصار دمار جيشه وهلاكه عن آخره

مطلب
دخول السلطان سليمان
في علكة الجمار

ولما كان السلطان سليمان محاقبا على مما انعقدت عليه المعاهدة بينه وبين ملك فرنسا دخل بلاد الجمار بجيش جرار وكان امراء الامبراطورية الالمانية يرون أن شرلكان مل في حفظ تلك البلاد ولا يلتفت الا الى الحرب مع الملك فرنسيس فلم يذولوا همهم في المدافعة عنها فلذا لم يجدها السلطان من يقاومه ويصدّه فحاصرها بالعاقب مدينة فتفكر شيخ المعاهدة بالتركية بش كليسه (اي الكائنات الخمس) ومدينة ألبه ومدينة غران وكانت هذه المداين الثلاثة اعظم بلاد الجمار وكانت للملك فرديند فاما الاولى

مطلب
نزول بربروس على
بلاد ايطاليا

فأخذت عنوة واما الاثنان الاخيرتان فكان اخذهما بالرضى والتسليم وقعت جنود الاسلام سائر بلاد الجمار وفي نحو هذا الزمن جهز بربروس دونما تبلغ مائة وعشرين السفن المعاهدة بالقرى وسار بها محاذيا سواحل كلابرة حتى نزل في مدينة ريجيو قتل اهلها وحرقها ثم تقدم جهة مصب نهر التبر ووقف هناك ليتزود من الماء وكان اهل رومة يجهلون ان قصد من هذه الدونما فداخلهم القزع والزعج وبادروا بالقرار ولولا بولان رسول فرنسا قوى قلوبهم بما كان معه من المكاتب المتضمنة أن كل دولة او بلدة متعاهدة مع ملك فرنسا لا تقتضى لواء ولا ظلم من طرف الدولة العثمانية لتركوا وضمنهم وخلت المدينة عن السكان ثم ترك بربروس مدينة اوستيا واقطع الى مدينة هرسيلى ولحقته هناك الدونما الفرنسية وفيها طائفة من العساكر رئيسها القوتس دانغيان وكان شابا شجاعا من العشرة البوربونيه ثم توجهت سفن الفرنسية وسفن السلطان معالى مدينة نيسه وكان دوق نابوة ملتبها حيث لم يبق له سواها من بلاده ودوله فكان يحيرى بمرودة

١٠ من شهر

سنة ١٥٤٣

الملل النصرانية ما حصل في هذه الواقعة حيث شوهدت بنديرة الفرنسية منضجة الى الراية الاسلامية لحصار مدينة كانت عليها صورة الصليب في بنديرة دوق ساووة ومع ذلك دافعت المدينة عن نفسها هذين الجيشين بهمة الشجعان موتفورت احد امراء دوقية ساووة حيث ثبت هذا الامير في المعبوم العام الذي وقع من الاعداء على المدينة من سائر جهاتها وقتل منهم عددا عظيما قبل أن يلجئ الى القلعة ثم تحصن في تلك القلعة وكانت على محجرة فلم يكن للعدو خدشها بالمداخ ولا بالغم ومكث موتفورت بها زمنا طويلا حتى دنا منه الامير دورية بسفنه الحربية واتيها الملتزم ودغواست من دوقية ميلان بطائفة من العساكر فمجرد ما بلغ الفرنسية والأتراك قدوم هذا المدد رفعوا الحصار ولم يستفد ذلك فرنسا شيئا الا انلغزى والمعزة بمعاهدته مع دولة الاسلام

من شهر ايلول

واذا التفت الى قلة نجاح كل من الفريقين في هذه الواقعة رأيت أن الحرب لا بد أن تطول مدته بين الايمبراطور والملك فرنسيس لان قواهما كان فيما نوع من التعادل والتكافؤ وكانا بمعارفهما ومهارتهما مقندين على اقتراح وسائل ووسائل لا تنفذ ولا تنفذ فكان من الجائز أن كلا منهما يحزب دولة ومخالفة سبق أن فتح بلاد خصمه ولو لم يلتفتا الا الى مصلحتهما واولى حسن الادارة والسياسة لتقنيا الصلح وتسابعا اليه الا أن حقدما لبعضهما كان شديدا متكاملا من قلوبهما فكان يغلب على غيره وكان كل منهما يبحث عن اضرار الآخر اكثر من بحثه عن دفع نفسه فمجرد أن الجأهما فصل الشتاء وشدة البرد الى تعليق الحرب اخذا يجهزان امور الحرب الاقوى مع الحمية وبذل الجهد وكان يراد ذلك بازدياد الحقد والبغضاء ولم يلتفتا الى تضرع البائس وخشه لهما على البقاء على عهد الصلح اما الايمبراطور شريك كان فسي اولاً في استمالة امراء الايمبراطورية الالمانية وفي تغريها اليها من الملك فرنسيس ولم يكن لاجل معرفة ما دبره في هذا الشأن يلزم أن نذكر تاريخ المائنا عند انعقاد مشورة الديتة بمدينة رانسبونة سنة ١٥٤١

مطلب
تجهيزات حرب جديد

مطلب
مصالح المانيا

(سنة ١٥٤٣)

مطلب

حكم الامير موريس
دوق سكس بعد
موت ابيه

مطلب

مقاصد هذا الامير
وسلوكه

فبقول

انه في نحو زمن انقلاب مشورة الديتية من تلك المدينة خلف الامير
موريس اباه هنري في حكومة جزء من بلاد سكس وكان ينسب
الى الفرع الالبرطيق من عائلة الامراء منتخب سكس وكان هذا الامير شابا
لم يبلغ من العمر الا عشرين سنة ومع ذلك كان يظهر من اتساع دائرته في المعارف
انه سيكون له دخل كبير في مصالح المانيا فبمجرد اخذه بزمام الحكومة
استكشف ان يسلك الطرق المعتادة وبدأ في سلوك طرق تدل على عظم مقاصده
وكان بموجب تربيته واصل تعليمه يميل كل الميل الى دين المعتزلة ومع ذلك
ابى ان يدخل في عصبة سمالكاله فكان يقول انماريد تأييد صفوة الدين
وخالص الله ولا تعرض الى المشاجرات السيئسمية ولا الى الفتن والتعصبات
التي تنشأ عن الدين وذلك انه كان قد ادرك ما يحصل من التناقض والشقاق بين
الاميراطور والامراء المعتزلة المتعاهدين وادرك ان الغلبة تكون للاميراطور
عليهم فلم يظهر ما يوجب استفحان الاميراطور له وعدم الوثوق به ككثير
المعتزلة بل اظهر الوثوق به والركون اليه فكان يداهته ولا يغفل عن المداولة معه
فقد ادى المعتزلة في سنة ١٥٤٢ ان يعطوا الملك فردينند ما يلزم له
من المدد والاعانة في المداخلة عن بلاد المجر او انهم امتدوه بشئ قليل مع
غاية الصعوبة والتوقف الكلي واما الامير موريس فالتزم الى حربه وامتاز
فيه بالهمة والشجاعة وفي اول مرتبة من حرب الاميراطور اتي اليه هذا الامير
بطاعته من عساكره وكان جميل الصورة حسن النظر نائضا عجيب وخفة
غريبة في الحركات العسكرية وكان صاحب جرأة وجسارة يقتصر الاخطار
ولا يكثر بالاهوال وكان يحسن مداهنة الاميراطور فأجبه حبا جوا وبنيما كان
ياخذ بجماع لب الاميراطور بهذا السلوك الذي كان يستغربه المعتزلة
ويستحبون منه كان يظهر عليه الغيرة من عمه الامير منتخب سكس
وقد اضرت تلك الغيرة فيما بعد بعلمه المذكور واوجبت الشقاق بينهما وذلك
انه بمجرد اخذ الامير موريس بزمام الحكم وقع النزاع بينه وبين عمه نعت

(سنة ١٥٤٣)

واحدة وهي أن كلا منهما كان يدعى أن له الحق في حكم مدينة صغيرة على شواطئ
نهر بغداد فيها بالمتعلق ولم يمنعها عن ذلك الا توسط حاكم هبسة

وسعى لتوفير بينهما

هذا وكان البابا في حق شديد من اعانة الايماطور المعترلة ومبارضة لهم
في مشورة الديانة التي انعقدت بمدينة راتسبونة ومع ذلك الخ عليه بعقد
مشورة قيسية اربابها من احزاب دين الكنيسة او من اناس يسميهم
الايماطور ولا ينقبهم الحاشد احق رأى أنه لا يسوغ له تأخير تلك المشورة
وبقدر ما حصل من التوقف في عقدتها كان الناس متشوقين الى معرفة
ما يحكم به اربابها فلما رأى البابا انه لا بد من انعقادها اخذ يدبر امره حتى يكون
رئيسها وتكون كنيته هي النافذة بها فكان اول ما تعلق به آماله هو ان يجعل
محل انعقادها بمدينة من مدائن ايطاليا حسبا كان مصمما عليه أولا
لان انعقاد المشورة باحدى مدائن ايطاليا التي هي ملكته يترتب عليه
أن اربابها من القسوس يكونون في قبضته فيمكنه استمالتهم الى رأيه ويختب
عليه المؤونة اكثر مما اذا انعقدت بمدينة اجنبية فبناء على ذلك امر وكيله
الذي كان بمشورة الديانة في مدينة سبيرة سنة ١٥٤٣ أن يعرض
أن يكون انعقاد المشورة القيسية بمدينة من بلاد ايطاليا فان ابى ذلك اهل
المانيا كما فعلوا سابقا كان انعقادها في مدينة ترنته باقليم تيرول وكانت
هذه المدينة في حكم ملك الرومانيين وهي على اطراف ايطاليا والمانيا
وبعد أن عرض الامراء القساويقيون على مشورة الديانة أن مدينة
راتسبونة او مدينة كولونيا او غيرها من المدن الكبيرة في الايماطورية
هي الاولى بعقد المشورة القيسية فيها واكثر فائدة للفريقين انظر رأيهم على
أن يكون انعقادها بمدينة ترنته حسبا لمطلبه البابا واما المعترلة
فلم يرضوا بهذا الرأي وابدوا أنهم لا يقرون هذه المشورة اذا هي انعقدت خارج
ارض الايماطورية بأمر البابا وكان هو الرئيس عليها

ولكن لم يبال البابا بولس بمخالفة المعترلة بل صدر منه فرمان بعقد المشورة

مطلبه
عرض البابا والتماسة
عقد مشورة قيسية
عامة في مدينة ترنته

٢٢ من شهر ايار
سنة ١٥٤٣

(سنة ١٥٤٣)

مطلب
طلب البابا انفقاد
مشورة قسيسية
وصدور فرمان
منه في هذا الشأن

وعين ثلاثة من الكهنة ليعرضوا على سبيل النيابة عنه وامرهم
أن يذهبوا الى مدينة ترنتة قبل مستهل شهر تشرين الثاني الذي عين
اتوا يوم منه لافتتاح المشورة المذكورة ولكنه لو كان يريد عقد المشورة
بخصوص نيابة وطيب سريرة كما كان يزعم لما طلب عقدها في وقت غير صالح لها
كان عقول الناس اذ ذالك كانت مختلفة واذا واهم مضطربة ولم يكن بينهم من
الاتفاق والهدوء ما يلزم في قبول ما يحكم به في المذاكرت وزيادة على ذلك كان
بن الامير بطريرك وملك فرنسا حارب مهول فلم يسع لقسوس معظم بلاد
الافرنج حضور المشورة بمدينة ترنتة فكث وكلاء البابا بهذه المدينة عدة
اشهر ولم يحضر اليهم احد سوى بعض قسوس من دول البابا فعند ذلك دعا
وكلاءه الى الحضور لديه واخر عقد المشورة القسيسية فخرجوا من
استهزاء اعداء الكنيسته وسخرتهم منه ولسوء حظ ديوان رومة
حصل انه ينبغي ان كان المعترلة يفتنون كل فرصة تعينهم على التفتك بشوكتهم رأى
الامير بطريرك والرومانيين ان مصلحة ما تقتضي أن لا يظلموا حارب المعترلة
بل تستدعي البص من استمالتهم بامور جديدة ترضى خاطرهم حتى بان فرد بنقد
ملك الرومانيين لما خالف المعترلة بمشورة الديتة في مدينة سبيرو فيها
طلبه البابا من عقد المشورة القسيسية بمدينة ترنتة اعانه على ذلك وأيد
قولهم لاحتياجه اليهم في اعانه على المدافعة عن بلاد البحار فذات ذلك
صورة مخالفتهم في دفا تر مشورة الديتة المذكورة ويدهم ايضا المزايا التي
اتخذوا بها في مشورة الديتة التي انقضت بمدينة راتسبون وضاف
اليها مزايا اخرى جديدة حتى صار المعترلة آمنين لا يخشون بأسا ولا يخافون بطشا
فكان مما اتفقهم به أنه على اجراء فرمان كان صدر من الديوان الامير بطريرك
يتضمن الاضرار بمدينة غوسلار في نظير كونها انضمت الى عصبة
المعترلة السمعة عصبة سمالكال وقبضت على ايرادات القسوس في راضيا
بما التراسمها ولم تصرفه اليهم فصدر الى الامير هنري دوق برونويك امر بعدم
اجراء هذا فرمان ولكن كن هذا الامير صاحب ريع واهد وكنت من احزاب

مطلب
اضطرار البابا الى
تأخير المشورة

مطلب
اجتهاد الامير بطريرك
في استعمال حارب
المعترلة

(سنة ١٥٤٣)

الكنيسة القاثوليكية وكان عنيداً يستنكف للعدل عما صم عليه وشرع فيه فلم يعأ بالامر الذي صدر له بعدم العمل بمقتضى فرمان ولم يزل يشن الغارة على اراضي مدينة غوسلاره فلم يستطع الامير منتخب سكس ولا حاكم هيسه ان يحصل مثل هذه الاساءة لاعضاء عصبة المعتزلة فجمعوا قواهما وعباركهما ودعوا الامير هنرى المذكور الى القتال فجزءاه في ظرف بعض اسابيع عن دوله واراضيه حتى اضطر الى الالتجاء عند حاكم باويرن فترتب على هذه الحادثة الناشئة عن الجبر والقسوة التي كان القرض منها الاستقام أن ارتعدت فرائص اهل المانيا وظهر اثار يابيد عصبة سمالكالد لهم اقتدار على حماية من تعاهد معهم وانضم الى حزبهم

مطلب
حالة صعبة حصلت
من عصبة سمالكالد

فلما قويت قلوب زباب عصبة سمالكالد بمثل هذه المزاي الكبيرة وباتساع دائرة دينهم وتجدد شوكتهم الدينية تجدد الايام تطلو امن الديوان الايمراطورى واوأن يقرروا احكامه واوامره متعلين بأن هذا الديوان لم يرتب على صورة مستحسنة حسب الامر الصادر من مشورة الديتة المتعقدة في راتبعونة وبأن له اغرلهم فاحشة في جميع احكامه وعما قلل فعلوا ما هو اعظم من ذلك حيث تجاسروا على مخالفة امر الديتة التي انعقدت بمدينة نورمبرغ لاجل المذاكرة في شأن المدافعة عن بلاد الهمار واوأن يدفعوا ما خصهم لهذا القرض قائلين انهم لا يعطون مددا الا بعد ابطال الديوان الايمراطورى واعطاءهم الامن الكلى في جميع ما يتعلق بالدين

في ٢٣ من شهر نيسان
(سنة ١٥٤٣)

مطلب
انقراض الديتة بمدينة
مسرة سنة ١٥٤٤

فهم كذا كانت حالة المعتزلة في الشوكة والاحتراس حين رجع الايمراطور من مملكة البلاد الواطية واراد عقد الديتة التي كان طلب انعقادها بمدينة سيرة ولهية الايمراطور وأهمية المصالح التي كان المراد بها وانهاها كثرار باب تلك المشورة كثرة بالغة حيث حضر جميع المنضمين وكثير من وجوه القسوس وغيرهم وجميع رسل المدن والعمالات ورأى الايمراطور أنه لا ينبغي له في مثل ذلك الوقت أن يغضب المعتزلة بتأييده لادين الكنيسة او يحدش من من المزاي التي كانوا يتمتعون بها بل أنه يجب عليه مدا هنتهم لينال منهم بعض

(سنة ١٥٤٣)

مطلب
طلب الامبراطور
الاعانة على ملك
فرانسا

امدادات يستعين بها وأنه يرخص في شأن الدين اكثر من الاول فمن ثم سعى في استمالة قلب كل من الامير منتخب سكس والامير حاكم هيسه وكانا رئيسي حزب المعتزلة فلم لهما في بعض امور ووعدهما بأن يرضى خاطرهما في الامور التي لم يسلم لهما فيها بهذا الوجه سلم من معارضتهما في الاتحاد بين الحين كان يريد طلبها ولما احتسب تلك الوسيلة رأى أنه صار يمكنه أن يفصح في المشورة عما في ضميره ولا يخشى بأسا فبدأ بمدح همته وسعيه في غرضين هما اهم اغراض الملل النصرانية احدهما هو أنه كان يريد عقد مشورة قيسية عامة لازالة المشاجرات والمنازعات الدينية التي كان يترب عليها اذذاك تعكير بلاد المانيا واضطرابها وثانيهما هو الاحتراس من شوكه الدولة العثمانية وشدة بطشها وابدى أن اغرضه وإن كانت صحيحة تعود بالنفع على الملة النصرانية الآن طمع فرنسيس اقتضاها عليه حيث اتى الهدنة التي انعقدت بمدينة نيسه واضرم نيران الحرب في بلاد اوروا بدون سبب ولا مقتض ومنع القسوس وامناء دين النصرانية عن الحضور بالمشورة القيسية ومن حضر منهم لم يمكنه المذاكرة مع الامن والاطمئنان في المسائل الخلافية وأنه هو نفسه قد اضطر تلك الاسباب الى تجهيز قواه وعساكره للذب عن بلاده من ملك فرانسا ولولا طمع هذا الملك لاعتهاقتال المسلمين تشريفا للنصرانية وشفاء لغليله من المسلمين الذين هم اعداء دين النصرانية ولا يودون الادماره وبحقهم بالكلية وازداد الى ذلك قوله ان الملك فرنسيس لم يتكف بافساد مقاصده عليه بل جاء شيئا نكرا حيث جلب الاتزان الى داخل الدول القاتوليكية وضم جيوشه الى جيوشهم وهجم على دوق ساوية الذي هو احد اعضاء الامبراطورية الالمانية وان دوننا بربروس العثمانية موجودة الى الآن في احدى مينات فرانسا تنتظر فصل الربيع لتجهز فيه على بلاد النصرانية وان من الجنون الشروع في الهجوم على بلاد الدولة العثمانية لوفى طرد جنودها من بلاد الخارج حيث ان فرنسيس متعاها معها فبالده عند الضرورة لمجاهاها فالاصوب حينئذ البدء باذلال مملكة فرانسا ليجرم

(سنة ١٥٤٤)

السلطان سليمان من القوائد التي يحصلها من معاهدته مع الملك فرنسيس الذي هو مع هذه الضلالات والتكررات يلعب نفسه بلعب تركيزان أي عريق في النصرانية وبالجملة فالجرب مع ملك فرنسا هو عين الجرب مع السلطان حيث أن أضعاف شوكة الأول يترتب عليه أضرار الثاني وانحطاط دولته وتعم الإمبراطور كلامه بطلبه من أرباب المشورة مددا يستعين به على فرنسيس حيث كان يهجم على الجمعية الجرمانية ويريسها وكان معاهدا مع المسلمين فهو للتصاري عدومين

ثم قام أخوه فرديناند الملقب ملك الرومانين مؤيدا لقول الإمبراطور فحكي صورة فتح السلطان سليمان لبلاد البحار قائلا أن سبب ذلك هو حرب ملك فرنسا مع الإمبراطور إذ لو لا ذلك لاشعان بلاد البحار واقتدها من بطش الاسلام ثم قام رسل دوق ساووة واطنبوا في شرح ما فعله ببروس بفضة نيسة وما وقع منه من القريب والظلم في تلك الجهة وانضم إلى هذه الشكاوى ككون اهل أوروبا كانوا في حقد شديد من الملك فرنسيس لمعاذته مع المسلمين فأثر ذلك تأثيرا قويا في قلوب أرباب الديانة ومال أغلبهم إلى إعانة الإمبراطور بامدادات جسيمة وكان الملك فرنسيس قد بعث رسلا إلى الديانة المذكورة ليعتذروا عنه ويفصوا عن الأسباب التي حملته إلى سلوك هذه المسالك ولكن لم يؤذن لهم بالدخول في أرض الإمبراطورية فأشاعوا ما كانوا يريدون به براءة سيدهم وحاولوا أن يبرهنوا على حسن سلوكه ومعاهدته مع السلطان سليمان بذكر أمثلة مستنبطة من الإنجيل ومناقب ملوك النصرانية ولكن لم ينجحوا في ذلك ولم يقدحهم اجتهدهم شيئا حيث كانت عقول الناس آنذاك مشحونة بما يغضبهم من أفعال هذا الملك فلم تكن مستعدة لقبول شيء من تلك البراهين التي كان الغرض منها براءته والاعتذار عنه

مطلب

إعطاء الإمبراطور من أيا عظيمة المعتزلة ليستعملهم إليه

فما رأى الإمبراطور ذلك من اهل ألمانيا علم أنه صار لا يمنعه عن تعيين مقاصده سوى استخوان المعتزلة له وخوفهم منه فعزم على إزالة ذلك من قلوبهم فأعطاهم

(سنة ١٥٤٤)

جميع ما كانوا يتمتعون بالأمن على أنفسهم فصدر منه امر بتعليق الاوامر التي كانت تصدر في شأنهم وعدم اجرائها وفتح الاتفاق على عقد مشورة قيسية عامة او مشورة ملية بقصد اصلاح حال الكنيسة وازالة الجحالات الدينية وعلى أن الإمبراطور يسعى في عقد تلك المشورة في اقرب مدة وانه قبل انعقادها لا ينبغي التضييق على المعتزلة بوجه من الوجوه في دنياهم وعبادتهم وان الديوان الإمبراطوري لا يجوز له اضرارهم في اى شئ كان وأن ارباب هذا الديوان بعد انقضاء مدتهم يعرضون بأمر صالحين للقيام في هذا المقام ولا يلتفت الى كونهم معتزلة او ثاوليكية فهذه الاسباب مال المعتزلة الى الإمبراطور والتزموا له بالانضمام الى بقية ارباب الديانة لاجل محاربة الملك فرنسيس باسم الإمبراطورية وامتدوه باربعة وعشرين ألفاً من المشاة واربعة آلاف من الفرسان وانقطع الرأي على أن مصاريف هؤلاء العساكر تكون على طرف عصبة شمال كالد مدة ستة اشهر وضرب ارباب الديانة ايضا غرام على الرؤس بدون تمييز بين الناس لتقصده اعادة الإمبراطور في حربه مع الدولة العثمانية

مطلب
الامداد التي امدت
الإمبراطورية مشورة
الديانة

مطلب
مدولة شرلكان مع
كل من ملك داتيمرقه
وملك انكلترة

وبينما كان شرلكان يدير امر مصالحه المشككة في مشورة الديانة ويحاول استمالة اربابها اليه ليعينوه على مشروعاته ومقاصده كان من جهة اخرى يسعى في الصلح مع ملك داتيمرقه فانه وان كان مع معاهدته لفرنسيس لم يعنه بشئ كان الإمبراطور يخشى اعادته ملك فرانسوا وكان ايضا يلج على ملك انكلترة بالتضييق على فرنسيس حيث كان عدواً ميثاقاً وكانت مقتضيات الاحوال حينئذ تعين الإمبراطور على نيل مراده وذلك أن ما حصل بين ملك انكلترة وملك ايقوسيا كان يقوى بغضه فرنسيس في قلب الملك هنري فان هذا الملك لما عقد مشاركة مع مجلس البرلمان بمملكة ايقوسيا في شأن تزويج ابنه الملكة ماريا ظن أن مراده قد تم بانضمام ايقوسيا الى انكلترة وهو غرض كان يتمناه اسلافه ووجدوا في طلبه ولم ينجحوا • ولكن حصل أن الملكة ماريا بدوغيزه ام الملكة ماريا

والسكردينال باون وغيرهما من احزاب فرنسا بذلوا غاية جهدهم
حتى قُسموا عقد هذا التمسكاح بل اوقعوا العداوة والبغضاء بين اهل
ايقوسيا والملة الانكليزية وجددوا عهد المحبة القديمة بين ايقوسيا
ومملكة فرنسا ومع ذلك لم يزل هنرى يسعى في هذا الغرض المهم
وازدادت بغضته لقرنيس ورأى أن اذلاله هو احسن واسطة في اعاده
اهل ايقوسيا الى اقرار هذا التمسكاح وعدم فسخذه وكان مهتما بهذا الغرض
كل الانهماج حتى ان الايمراطور بيمبرد ان عرض عليه ما ربه رآه مستعذرا
لاعتائه في جميع مشروعاته مع ملك فرنسا وكان يترب على مادبراه مع
بعضهما في هذا الشأن ضياع مملكة فرنسا بلاريب واتساع دول الايمراطور
وازداد شكوكه وقهرها بحيث يخشى مها على جميع بلاد اوربا حيث اتفقا
معا على أن يدخل كل منهما في فرنسا مع جيش يبلغ عدده خمسة وعشرين
الفا ويادرمعاصرة مدائن الراساتق والضواحي ثم يجولان في المملكة ويضمان
جنودهما الى بعضها بقرب مدينة باريس

وكان الملك فرنسيس باقيا بدون نصير ولا ظهير يعينه على هؤلاء الاعداء
الكثيرين الذين كان شرلكان يحرضهم عليه ولكن كان السلطان سليمان
لم يزل متعاهدا معه الا أن هذه المعاهدة كانت قد اوقعت بغضة فرنسيس عند
سائر الملل النصرانية حتى كان يود أن يفسخها ويترك فوائدها حتى لا يكون
مبغوضا عند جميع النصارى فبناء على ذلك بروس بسفنه بيمبرد
دخول فصل الشتاء فخرّب وهو راجع طنطينية سواحل
طوسكانه ونابلي وحيث كانت قوى فرنسيس لاتعادل قوى الايمراطور
اراد أن تكون سرعته ومبادرته سادة مستضعف قواه فبادر بالاختشاح
في الحرب فحاصر بيمبرد محي فصل الربيع جزاله القوتة دانغيان مدينة
كلينيان وهي احدى مدائن اقليم بيون وكان الملتزم دوغواست بعد
أن تغلب عليها في السنة الاولى من الحرب رآها مهمة جدا فخصنها بكل التعصين
فبذل القوتة دانغيان جهده في حصارها حتى خشي عليها الملتزم

مطلب
اقتتاح الفرنساوية
في الحرب باقليم بيون

(سنة ١٥٤٤)

مطلب

توجه عساكر

الإمبراطور إلى هذه

المدينة لاعتبارها

ـ

دوغواست وكان قد لحقه في فتحها مالا يزيد عليه من المشاق فخرج
من ميلان فاصدا التوجه إليها وكان هذا لا يفتي على أحد فعاقليل وصل
إلى معسكر الفرنسيين وكان القوت دافئان شابا ذاعفوان وجبة
فكان يؤدق حرب معه ليختبر طالع خطه وسعده وكان عساكره أيضا يؤدون
القتال مثله الآن الملك فرنسيس كانت مصالحه اذذاك لا تسوغ له الحرب
بل كان في وجل بتدكار المصائب التي حصلت له سابقا في حروبه مع الإمبراطور
فتنهي القوت دافئان عن أن يحارب عساكر الإمبراطور ولكن ابت نفسه
أن يترك مدينة كارينان التي كانت مشرفة على التسليم وهو كان يؤد أن يتناز
في واقعة مهمة يحوز بها الافتخار والشهرة فارسل من طرفه الضابط مولوق
إلى ديوان فرنسا ليفهم الملك ما يقرب على الحرب من القوائد الجليسة
ويوقفه على الطرق التي يرجو بها النصر على الأعداء فأحال الملك فرنسيس
هذا الأمر على المشورة فاشط رأى الوزراء جينعا على عدم الحرب وعضدوا
آراءهم ببراهين قوية وادلة مسلمة وكان مولوق حاضرا في المذاكرة
فظهر عليه آثار الفهم مما كان يسمعه من أقوال الوزراء وظهر منه أنه يريد التكم
فتعجب الملك فرنسيس من حركته واطواره فدعاه وسأله عما عنده من الادلة
ليرد به كلام الوزراء المعضد بالادلة الصحيحة المبنية على الحزم والاصابة وكان
مولوق مع شجاعة صافية نية خاضعة لا يفتي ما يغيره نيرة حسن
حالة العساكر الفرنسيين ورغبته في قتال العدو ووثوقها بضابطها وما يلحقها
من الخزي والمعزة اذا هي أبت القتال وبرهن له على ذلك بعبارة جانب فيها
التكلف وسلك فيما سلك الفصاحة العيسرية الموزنة بالجماسة والحجة
فأخذ بعقل الملك بل واستمال عدة من ارباب مشورته وادرك فرنسيس من
الحجة ما كان مستوليا على عساكره وارتعدت فرائصه ثم رفع يديه إلى السماء
قائلا للحيب مولوق بادربالرجوع إلى بيوتهم وقاتلوا باسم الله فبجرد
سباع هذا الجواب من الملك ازدادت حجة الاشراف والامراء وتسابقوا
إلى حيازة فخار الحرب وسودده حتى خلا الديوان الملوك عن اربابه فكل

مطلب

واقعة مدينة سيريزوله

من كان له اقتدار على الحرب وكان يريد الأمتياز سعى بطوعه واختياره الى اقليم
بيون ليقتسم غمار النصر فقلما وصلوا الى القوتة دانغيان وكانوا عددا
كثيرا قوى قلبه ودعا الملتزم دوغواست الى الحرب فأجابه بدون تردد
وكان عدد الفرسان مستويا في الفريقين واما المشاة فكانوا في فريق الإمبراطور
يزيدون على مشاة فرنسيس بعشرة آلاف اواكثرووقع الاصطدام بقرب مدينة
سيريزولة في سهل متسع خال عن الموانع والعوائق بحيث لم يكن وضيع احد
الفريقين احسن من وضع الاخر فاصطف الجيشان بهامع غاية السهولة وكانت
الصدمة الاولى مع العزم والقوة اللذين يؤمل مثلهما من رجال شبوا وشابوا
في العسكرة وكانت قلوبهم مشحونة بالحد والشجاعة لحملت خيالة
الفرنساوية على العقويع عزمها المعتاد ومرت كل من اتي في طريقها وتعرض
لها الا ان المشاة الاسبانيولية اخوت الطائفة التي تصدرت أمامها وارتدتا بشاهاتهما
وحسن ضبطهما وربطها فبقى امر النصر مجهولا بين الفريقين حتى تكون
لمن يحسن الادارة وبسلك مسلك الحزم من الفريقين وكان الجنرال دوغولست
بين العساكر التي تحمل نظامها نخشى أن يقع في ايدي الفرنسيين فينتقموا
منه في نظير قتل وانكون وفريغوزة فغاب عقله ونسى أن يقدم طائفة
الاحتياطية واما الجنرال دانغيان فابدى من الحزم العجب العجيب وتقدم
مع طائفة من الخيالة وشد عضد العساكر الذين كانوا قد اخذوا في الرجوع
التقهقري وكان معه طائفة من عساكر السويصة الذين كانوا لا يزلون
ميدان الحرب الا يوظفون بالعدو فأمرهم بالانغارة على المشاة الاسبانيولية
فترتب على هذا الامر انتهاء الحرب وظهور الغالب من المغلوب وكانت مقبلة
عظيمة جرح فيها دوغواست في فخذه ولم ينج الا بسرعة جواده وثبت الظفر
للفرنساوية وقتل من عساكر الإمبراطور عشرة آلاف وأسر منهم مقدار جسيم
واخذت خيامهم وامتعهم واسلحتهم وفرح الغالبون بهذه النصر فرحاً عظيماً
لم تشبه شائبة غم ولا نكد ولم يهلك منهم الا اناس قلائل لم يكن فيهم احد
من الضباط الممتازين

(سنة ١٥٤٤)

مطلب
نتيجة هذه النصر

وهذه الواقعة السعيدة اكسبت فرنسا وية الفخار والسود وانتقدتهم
من خطر عظيم وذلك أن دوغواست كان يريده الاغارة مع جيشه على جميع
البلدان التي بين نهري الزون والسون ولم يكن فيها مدائن حصينة
ولا قلاع ولا جيوش منتظمة تقاومه وتصدّه ولكن لم يكن للفرنساوية اقتدار
على اجتناء جميع ثمار هذه النصر ثم ان دوقية ميلان كان لا يوجد بها
من يرفع عنها وكان اهلها منذ زمن طويل يتشكون من حكام الإمبراطور
الذين كانوا بها ويتظلمون من جبرهم وصعوبتهم ويودون فرصة تعينهم على
اقتاد انفسهم من حكم الإمبراطور وكان القوت دافعيان قد تقوى قلبه
بهذه النصر فالح على فرنسيس أن ينتهز تلك الفرصة العظيمة ويتغلب
على هذه الدوقية التي هي مطمع نقره وكانت السبب الأولى في حروبه مع
الإمبراطور ولكن كان البعث عن أمن المملكة مقدما على الفتوحات فلذا اضطر
فرنسيس الى طلب اثني عشر الفا من اعظم الجنود التي كانت مع دافعيان
لحماية مملكة فرانس حيث ان الإمبراطور وملاك انكلترا كان قد شرع
كل منهما في الهجوم عليهما من جهة بجيش كبير ففترت هبة تلك فرنسيس
ولم يكنسب من نصرته الكبيرة التي ثبتت له في واقعة سيريزوله الامدينة
كارنيان وبعض مدن اخرى من اقليم بيون

مطلب
اقتتاح الحرب
في مملكة لبلاد
الواطية

(شهر حزيران)

وكان الإمبراطور على حسب عادته هو الاخير في البروز الى ميدان الحرب فظهر
في اوائل شهر حزيران مع جيش جزاؤه يسبق له مثله في الحرب مع مملكة
فرانسا حيث كان يبلغ خمسين الفا وكان بعضه قد تغلب على اقليم لوكسمبرغ
وبعض مدائن من مملكة البسلاد الواطية قبل أن يصل اليه الإمبراطور
ثم جمع جيشه الى بعضه وتوجه به الى ضواحي اقليم شباينا بفرانسا وكان
يجب عليه بمقتضى الاتفاق مع ملك انكلترا أن يتوجه من اقل وهله الى
مدينة باريس تحت المملكة الفرنسية وكان الدوفين فائدا للعساكر الذين
كان يعتمد عليهم الملك فرنسيس في نجاة مملكته ولكن لم يكن للدوفين اقتدار
على مقاومة الإمبراطور غير أن نجاح الفرنسية في المدافعة عن اقليم برونس

(سنة ١٥٤٤)

سنة ١٥٣٦ من الميلاد عليهم كيفية مشاغلة العدو الذي يشق الغارة عليهم فعملوا في هذه الواقعة كما فعلوا في واقعة برونسة حين اغار عليه الايمراطور في السنة المذكورة ولا يخفى ان محصول اقليم شمبانيا في النبيذ اكثر من محصوله في القمح وغيره من الحبوب فكان لا يكتفي في مؤنة هذا الجليش الكبير الذي كان مع الايمراطور وزيادة على ذلك امر الملك فرنسيس قبل حضور الايمراطور بجيشه ان يخرجوا من هذا الاقليم ما كان يوجد به من مواد القوت والمؤنة ورأى الايمراطور ان اول وسيلة يجب عليه اتخاذها في ذلك هي ان تغلب على بعض قلاع ومدائن حصينة ليؤمن على قوت عساكره ومؤنتهم حتى لا يقع في الشدة والضنك كواقعة برونسة وكانت مدائن الضواحي غير محصنة ففرح بالتغلب عليهما سريرا بدون كبير مشقة فجهم أولا على مدينة ليني ثم على مدينة كوهرسى ولم يقاوما الا قليلا ثم حاصر مدينة سندزير ولم يكن فيها شئ مما يلزم لتصل مشاق المحاصرة وان كانت من الثغور المهمة على نهر مارت الا ان القوتة دوسنسير والايمير دولالمة ٢ قريبا باضهما في هذه المدينة مصححين على حفظها السيدهما الملك فرنسيس والمدافعة عنها بقدر ما في وسعها وكان الايمراطور يعلم اقتدارهما فيئس من اخذ هذه المدينة من اول وهلة فصمم على حصارها محاصرة متينة وحيث كان من طبعه انه لا يعدل عما يشع فيه سلك في هذا المشروع مسلك العناد والعنفوان لا الحزم والتدبير.

مطلب
محاصرة الايمراطور
لمدينة سندزير
في ٨ من شهر تاموز

مطلب
حصار هنري الثامن
مدينة بولونيا

وكانت تجهيزات ملك انكلترة للحرب قد تمت قبل تجهيزات الايمراطور لكنه لما كان لا يمكنه ان يهجم وحده على جميع قوتى مملكة فرنسا وكان يشق عليه ان تبقى عساكره بدون شغل صمم على الانتقام من مملكة ايقوسيا فارسل اليها الدونما الانكليزية مع طائفة كبيرة من العساكر المشاة كان قائدوها القوتة هرتفورد فاجرى هذا القوتة او امر سيده مع المهارة والنشاط ونهب وحرق كلا من مدينة ايدنبورغ ومدينة ليث وافسد حال البلاد ورجع سريرا حتى لحق الملك بالدونما عقب دخوله مملكة فرنسا وكان

٢٤ من شهر تاموز

الامبراطور لم يزل مشغولا بصغار مدينة سنديزير فبعث رسولا الى هنرى
بينيه على وصوله بالسلامة ويحترضه على أن توجه من اول وهله للاغارة
الى مدينة باريس حسيما هو منطوق المشارطة المتعلقة بينهما ولكن لما رأى
هنرى أن الامبراطور مشغول بفتح مدن لنفسه بحيث لا يقرب على ذلك فتحهما
سعاتا سوى به في ذلك واخذ يغلب على مدن المصلحة نفسه غير ملتفت الى الحاح
الامبراطور فوضع الحصار على مدينة بولونيا وامر دوق فورفوك
أن يتخذ جهده في تقيم محاصرة مدينة مونتروي وكان قد حاصرها
قبل حضور هنرى بطائفة من الملكيين واخرى من عساكر الانكليز ولما كان
كل من الامبراطور وملك انكتره مشتغلا بمصلحة نفسه انفاصة عاد ذلك
بالضرر على مصطنعتهما العامة فعوضا عن أن يتصدا مع بعضهما ويعول كل
منهما على صاحبه لتخفيف مقاصدهما بالحسنة داخلتهما غير شديدة من بعضهما
وترتب على ذلك وقوع الريبة والوسواس في قلب كل منهما من الاخر حتى آل
الامر الى وقوع التفافق والتفريق بينهما

واما الملك فرنسيس فقد بذل وسعه حتى جمع جيشا بجزا من صناديد
الابطال وغول الرجال يمكنه به مقاومة العدو وكان الدوقين لحزمه ومهارته
يحاول عدم الحرب خشية الهزيمة حيث كان يرى انه بالقتال تكون ملكه
فرائضا عرضة للاخطار وانما كان يهجم على جيش الامبراطور بطائفة
من العساكر قصد الاتهابه وعدم اراحته ويقطع الطرق حتى لا تصل اليه الذخائر
واذا دونه يتحرب ما حوله من البلاد ومع ورطة الامبراطور بهذه الاغارات لم يزل
مستترا على محاصرة سنديزير ولم يزل سنير يدافع عنها مع العزم التام
ويبدى العجب العجيب في حمايتها والذب عنها فقد ثبت في عدة اغارات ودفع
جيش الامبراطور عدة مرات وهو يهجم على المدينة مع العزم والشدة وقتل
من بجاعته الامير لالندة حيث اصابته كلة مدفع فاهلكته ومع ذلك
لم تنقره هتته ولم تكن قواه ومكث خمسة اسابيع وهو على هذه الحالة وكان في وسعه
أن يستمر على المدافعة مدة الا أن الكريدينال دوغراويل فحبل عليه حتى

مطلب
ما وقع من مدينة
سنديزير من المدافعة
العظيمة

جمله على التسليم وذلك أن الكردينال المذكور كان يحكم من السياسة والحداد
فغتر على الصلوات والاشادات المصطلح عليها في مخاطبة بين دوق غيزة
وسنسير فكتب مكتوباً على لسان دوق غيزة يأمر فيه سنسير أن يسلم
المدينة لأن الملك فرنسيس وإن كان مسروراً منه ومن حسن سلوكه
لا يتصور أن يخاطر بنفسه لأجل اعاقته فوصل هذا المكتوب إلى المدينة
على وجه بحيث لا تظهر منه صورة عكر ولا خيانة فاعتز سنسير بهذه الحيلة
ووقع في أشرار المكيدة إلا أنه سلم بشروط تلامي شعاعته وشرق نفسه فكان
من جلتها أنه عقد هدنة بإبطال الحرب مدة ثمانية أيام والتزم أنه يفتح أبواب
المدينة للعدو وإن مضت تلك المدة ولم يهجم الملك فرنسيس على جين
الايماطور ولم يدخل في المدينة جنوداً من عساكره فثبت سنسير وحسن
مقاومته أوقف الايماطور مدة مستطيلة أمام المدينة مع انه لم تكن جيدة
التحصين وفي ظرف هذه المدة أمكن للملك فرنسيس أن يستعد ويجمع قواه
وثبت للامير سنسير التفويض يكون نجاة وطنه كانت على يديه وقتل أن يجهز
مثل هذا الخطر حكمدار صغير الزبة غير مطلق التصرف

١٧ من شهر اب

مطلبه

دخول الايماطور
في وسط فرنسا

ومعجز تسليم مدينة سنديزير جال الايماطور في وسط اقليم شمباينا
ولكن لما لحقه من المشقة في محاصرة هذه المدينة داخله اليأس من الوصول
إلى باريس حيث كان أمامه مدائن أقوى من تلك المدينة وأكثرها
في الزاد والذخائر والمهمات الحربية وقيادة على ذلك كان مامعه من الزاد تناقص
ويقل كلما بعد عن ضواحي دوله وكان قد هلك من عساكره عدد عظيم في حصار
مدينة سنديزير وكان جيشه يتناقص كل يوم باغارات العدو عليه من غير
أن يشعر او يتأمر او كان الفصل قد ذهب معظمه ولم يستول على اراض
او قلاع كبيرة من بلاد العدو وقيم بها عساكره مدة فصل الشتاء وكان عليه
لعساكره ماهيات عدة أشهر فاخذوا في التشكي والتظلم ولم يكن عنده اموال
حتى يصرف لهم استحقاقهم فجميع هذه الاسباب الزمتهم بأن يخرج إلى الصلح
الذي كانت تدعوه إليه اخته ملكة فرنسا وارسلت إليه بصدد سرّامع اثنين

(سنة ١٥٤٤)

من قسوس طائفة الدومينيكان كانوا واعظينه ولاخته المذكورة فبناء على ذلك تعين لهذا الغرض اناس من الطرفين ووقعت المناقضة فيه بقرية شوسه التي هي قرب مدينة شافون ولكن اُرسل شرلكان الجيا من طرفه الى الملك هنري يطلب منه التوجه الى باريس حسب الاتفاق فولادري هل كان قصد الايمبراطور بذلك أن يذل جهده في التغلب على مملكة فرانسيس او يجعل ذلك وسيلة يتعلل بها الى التخلي عن حليفه هنري ثم يعقد الصلح مع الفرنسيين فينجحوا كان ينتظر جواب ملك انكلترا وكانت المذاكرة لم تزل في قرية شوسه كان لم يزل يتوغل ويجول في المملكة مع قلة زاده وذخايره فلوفور خطه او نشاطه او خيانه بعض الفرنسيين بهم بغتة على مدينة ايبيري ثم على مدينة شافونجيري وكان بهما مخازن عظيمة مشحونة بالمهمات والذخائر فلشاع الخبر باخذ هاتين المدينتين وكانت الثانية قرية من باريس بحيث لم يكن بينهما الامر حلتان فقط عم الحزن والفرح سكان هذه النقت حيث لم يكونوا مستعدين للمقاومة والمدافعة وداخلهم اليأس والتقنوط وصاروا يفترون من سائر الجهات حتى كان الايمبراطور على ابواب مدينتهم وبعث كثير منهم نساءه واولاده على نهر السين الى مدينة روان وبعضهم ارسل عائلته الى اورليان وبعضهم الى المدائن التي على نهر لوار وحصل للملك فرنسيس نفسه من هذه الحادثة فزع لم يلحقه مثله مدة حكمه ودخله رعب شديد من نصرة عدوه عليه ووصوله الى تحت مملكته ومن الاخطار التي صارت مملكته حينئذ عرضة لها فلم يمكنه أن يضبط نفسه حين طرق هذا الخبر آذانه بل صاح قائلاً يا رباه ما اعظم ما اعدته لي من المشاق والمصائب في نظير هذا التاج وقد كنت اظن انك انعمت به علي نعمة لا رجوع فيها لكنه ندم بعد ذلك على هذه المقالة الناشئة عن الالم والخبر وتاب واقنع قائلاً ما معناه لمن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ثم اطمانت نفسه وسكن روعه وامر بما يلزم لصد العدو ورده ووجه الدوفين الى باريس ثمانية آلاف من العساكر فاطمأنت بهم قلوب اهلها وادخل كثيرا من المحافظين في مدينة موكس واسرع

(سنة ١٥٤٤)

في السحر حتى وصل الى مدينة لاغره وكنات بين جيش الایمپراطور
وانقشت

مطلب
اضطرار الایمپراطور
الى الرجوع

وكان القسط والجماعة قد اخذت اناسا في الظهور بين هساكر الایمپراطور فلما رأى
ان الدوفين يتجنب الحرب معه وكان لا يمكنه الهجوم عليه في معسكره مع
عساكره حيث كانوا في تعب ونصب وكانت مقاديرهم قد تناقصت جدا عدل
سريعا واخذ في السير مجتهدا قاصدا مدينة سواسون ووصل اليه في ذلك
الوقت جواب من طرف ملك انكلترا يذكر فيه انه لا يترك حصار بولوتيا
ولا حصار مونتروي لانه قد اشرف على التغلب عليهما فعند ذلك رأى
الایمپراطور انه لا يجب عليه العمل بمقتضى المشاركة المنعقدة بينهما وأنه يجوز له
أن يفعل ما يكون فيه مصلحة لنفسه فبناء على ذلك اخذ يجتهد المذاكرة في شأن
الصلح وكانت قد بطلت بتغلبه بغتة على مدينة ايرفي ولم يكن يصعب انعقاد
الصلح بينه وبين فرنسيس حيث كان احدهما يرغب فيه رغبة تامة والاخر
محتاج اليه كل الاحتياج فتمت مشاركة الصلح بمدينة كريسبي وهي مدينة
قريبة من مئبنة موكس وكان اتقاهما في الثامن عشر من شهر ايلول
وكانت بنودها الاصلية هي أن كلامن فرنسيس والایمپراطور يرد الى خصمه
ما انتزعه منه من تاريخ مهادة نيسة وأن الایمپراطور يزوجه بنته البكرية
للأمير الدوق دورليان بن فرنسيس او يزوجه بنت اخيه فرديناند
الثانية فان زوجه بنته اعطاه في الجهاز مملكة البلاد الواطية يتصرف
فيها كيف يشاء وتنتقل من بعده الى اولاده الذكور من هذه الاميرة
وان زوجه بنت اخيه فرديناند اعطاه دوقية ميلان وما يتبعها
وأن الایمپراطور يخبر مدة اربعة اشهر فين يزوجه بها من هاتين الاميرتين
وأن الوفاء بشرط الزواج باحدهما يكون اجله سنة من تاريخ المشاركة وأنه
يجوز استيلاء الدوق دورليان على مملكة البلاد الواطية اودوقية ميلان
يرد الملك فرنسيس الى دوق ساووة جميع ما كان سلبه منه باعدا مدينة
مينرول ومدينة مونتيليان وأن الملك فرنسيس يترك دعواه في شأن

مطلب
الصلح المنعقد بمدينة
كريسبي

(سنة ١٥٤٤)

مملكة كالمى اواقليم القلنك واقليم ارقوازة وأن الإمبراطور يتربك
ايضا دعوا فى شأن دوقية برغونيا وقوتية كاروليس وأن فرنسيس
لا يحصل منه اعانة تلك فوار وأن الإمبراطور ومك فرانسايضمان قواهما
الى بعضها لقتال للدولة العثمانية ولهذا الغرض يجب على الملك فرنسيس
أن يرسل من عنده بموجب طلب الإمبراطور اوديان الإمبراطورية ستة
آلاف من القربان وعشرة آلاف من المشاة.

مطلب

الاسباب التى دعت
الإمبراطور الى عقد
الصلح

وكان من جملة الاسباب التى حلت بالإمبراطور على عقد الصلح ما خلق جيشه
من الضنك والضيق بفقد الزاد والذخائر وما أدركه من المشقة فى ابابه وفراره
من بلاد عدوه وعدم امكان اقامته بصاكره مدة الشتاء فى مملكة فرانساي
ومنها ايضا اسباب اخرى قوية وان لم تكن ظاهرة وهى أن البابا كان مغتاظا
منه على ما اعطاه للمعتزلة فى مشورة المدينة المتعقدة اخيرا ولانه كان
قد وعدهم بأن يجتهد فى عقد مشورة قسيسية عامة وكان قد رخص ييلاد المانيا
فى الجهادلات والمناقشات فيما كان واقعا بين القاثوليك والمعتزلة من المسائل
الغلافية فهذان الامران الاخيران اعنى وعده اياهم بعقد المشورة القسيسية
وترخيصه فى الجهادلات والمناقشات رآهما البابا من باب الاقليات والتعدي
على حقوق الكنيسة فبعث الى الإمبراطور كتابا يتضمن التوبيخ والتعنيف
ويؤذن بالتكبر والتعاطف وعباراته مؤذيه مرة تقيله والفاظه جارحة مؤلمة
حتى انه ربما كان يؤخذ منه أن قصد البابا به انما هو المشاجرة مع الإمبراطور
لا استعطافه واستمالته وقد ازداد غضب البابا من الإمبراطور حين رآه قد تعاهد
مع الملك هنرى لان هذا الملك كان من المعتزلة الذين طردتهم الكنيسة عن
بابها وحكمت عليهم بالحرمان فظهر له أن معاهدة الإمبراطور معه ليست
الامن قبيل الكفر والاحاد فهى كمعاهدة الملك فرنسيس مع السلطان سليمان
ومن جهة اخرى كان كل من ابن البابا وحفيده يشكى ويتظلم من الإمبراطور
حيث كان يناقض فى اعطائهما اقليم برمة واقليم بلزنسة فكان
بغضهما للإمبراطور يزيد فى حقد البابا عليه ويضاف الى ذلك ما كان يصدر

من فرنسيس من المواعيد المزخرفة والمداينة لاجل استقامة البابا اليه ثم
انه كان الى ذلك الوقت لم يزل معهما على عدم التعرض لكل من الفريقين حيث
كظم غيظه وحاول عائلته التي كانت تعجل في هذا المعنى وحاول ايضا ملك
فرنسا حيث كان يلح عليه بالانضمام الى حزبه الا انه كان لا يرضى منه أن يستقر
على بقائه خليا عن الاغراض مع بغضه للايمبراطور وحسنه احبائه وأصحابه على
ما يخالف ذلك وظهور مصلحته في الانضمام الى حزب فرنسيس ويمكن
الايمبراطور يعلم أن اتحاد البابا مع ملك فرنسا يخشى منه على دولة التي
يبلاد ايطاليا حيث ان البابا كان قدوة لاهلي ايطاليا في السياسة والتدبير
فان انضم الى حزب فرنسيس فلا بد أن يتبعه اهل البنادقة وكان
الايمبراطور قد عجز من معاناة الحرب والقتال فرأى أنه ان تعصب عليه
عصبة افقت بقواه الى الدمار وكان عساكر الدولة العثمانية في ذلك الوقت
لم يجدوا من يقاومهم يبلاد البحار فاخذوا جميع مدائنهم وتوغلوا بالسرعة حتى
وصلوا الى بلاد الاوسترسيا لاسيما وكان ثم امر آخر يدعوا الايمبراطور الى
التبسط وبذل الهبة وهو تقدم مذهب المعتزلة واتساع دائرة دينهم وازدياد
شوكه عصبتهم فكان نحو نصف ألمانيا قد اعتزل عن دين الكنيسة واتبع
لدين الجديدها في اهلها كان يتردد بين دين الكنيسة ودين المعتزلة وكان اعيان
الاوسترسيا قد طلبوا من الملك فرديناند أن يرخص يبلادهم في اتباع
دين المعتزلة وكان اهل بوهيمية (مملكة جيه) لم يزل عندهم آثار دين
حنا هوس فكانوا يسئلون وسعهم في مساعدة مذهب لوتير وكان
مطران كولونيا ذاتية شديدة يندبر مثلها في القسوس فاخذ ينشر الدين
الجديد في ابرشيته فلم تكن تعلم عاقبة هذه الحوادث ان لم يحصل الاهتمام بمنعها
وكان الايمبراطور قد عاين بنفسه في مشورة الديانة المنعقدة اخيرا عتوا المعتزلة
وتكبرهم ورأى انهم لا عيادهم على كثرة احزابهم والتناهم مع بعضهم لا راعون
في مخاطبتهم طرق الادب كما كانوا اولاحق ادتهم جسارتهم الى احتقار البابا
وبعدم الاعتراف به بل كانوا لا يخشون بأس الايمبراطور فرأى أنه لاجل تأسيده

(سنة ١٥٤٤)

الدين القديم وتضيد شوكة نفسه حتى يقوى بطشه ولا تكون تحيته برئيس
الإمبراطورية مجرد اسم بدون معنى لا بد له من بذل الجهد والهمة في هذا
المعنى وذلك متعذر عليه مادام مشغولاً بالحرب في البلاد الأجنبية مع عدو قوى
الشوكة والصولة •

مطلب
استمرار الحرب بين
انكلترا وملكة فرنسا

فهذه هي الأسباب التي حلت الإمبراطور على عقد الصلح لأنه لم يجد حلاً لظروفه ونبأته
دبر امره بمشارطة كريسي على حسب اغراضه ومقاصده فان الشروط التي
عقدتها مع الملكة فرنسيس ترتب عليها حرمان البابا من القوائد التي حلتها على
ترجيح المعاهدة مع ملك فرنسا وانبأها على معاهدة الإمبراطور وفي البند
التي يتضمن الحرب مع الدولة العثمانية لم يكتب الإمبراطور بنزع الملك
فرنسيس من حزب السلطان سليمان بل ألزمه بالحرب معه وهنالك شرط
آخر خصصه لم يكتب في المشارطة خشية إيقاع الفزع والرعب في أوروبا
وانما وقع الاتفاق عليه بين الملك فرنسيس والإمبراطور وهو أن كلا منهما
سيزيل جهده في عقد مشورة قيسية عامة قصد تأييد شوكتهم ما وبحق دين
المعتزلة من ممالكهما فهذا الشرط خاب امل عصبة ممالك كالد في الملك
فرنسيس ولكن خشي الإمبراطور أن يلجأ باب تلك العصبة على فرنسيس
او تستدبه الغيرة فينسى ما التزم به فلذا تركه مشغولاً بالحرب مع الانكليز
حتى لا يمكنه التدخل في مصالح بلاد ألمانيا

١٤ من شهر ايلول

وكان الملك هنري على غاية من الكبر حتى كان يقوم بنفسه أن شوكته لاشوكة
فوقها فاعتناظ من الإمبراطور كل الغيظ حيث لم يعتبره اذ عقد الصلح من غير
أن يستشير له لكنه بسبب نظره لم يتأثر من ذلك كل التأثير فم ان العساكر
الملككية قد انفصلت منه بموجب امر الإمبراطور فاضطرت الى احضار دوق
نورفولك من حصار مدينة مونتروي الا أن مدينة بولونيا كانت
قد حلت قبل انهاء مشارطة الصلح المنعقدة في كريسي وبينما كان هنري
يقترأ بافتحه من البلدان وكان في حق شديد من الإمبراطور اذ اتته برسل ملكه
فرنسا تعرض عليه الصلح ولم يكن اذ ذاك مستعداً لقبوله مع شروط صحيحة

(سنة ١٥٤٤)

مقبولة فطلب طلب الغالبين الفاضلين شروطاً ثقيلة صعبة حاصلاً أن ملك فرنسا يتخض صاعقته مع مملكة ايقوسيا ويدفع اليه ما كان باقياً في ذمته من الديون القديمة وجميع ما صرف في الحرب وكان الملك فرنسيس يريد الصلح عن طيب نفس وخلص طوية ويهون عليه أن يبدل فيه ما لا يحسب إلا أنه لما رأى حصول الصلح بينه وبين الإمبراطور رفض تلك الشروط الموجبة للمذلة وسافر هنري إلى انكتره وترك نيران الحرب مضطربة بين الملكين الاتكليز والفرنساوية

عقاب

غم الدوقين من
المشاركة المتعددة
في كريسي

ثم ان المشاركة التي انعقدت في كريسي وإن كاتب فائدتها جليلة بالنسبة للفرنساوية لمكونها هي التي اتقذتهم من عدو شديد البطش كان قد جال في داخل مملكتهم إلا أن الدوقين تشكى منها واستبدل بها على محبة ابيه الملك فرنسيس لابنه الثاني الدوق دورليان فتطم من كون ابيه قد ترك في هذه المشاركة حقوق تاج المملكة الفرنسية لجهد مراعاة ابنه الدوق دورليان بحيث كان يحضه بالهبة ويؤثره بالموودة إلا أنه لم يرد غضاب ابيه بامتناعه عن اقرار المشاركة المذكورة مع تصميحه على أن يتأقض ذات يوم فيما يضربه من تلك المشاركة فجمع بعض احرابه واخبرهم سرّاً بأنه لا يقبل هذه المشاركة وأن ما جبر على اقراره منها لا غ لا يعمل به واقتدى به في ذلك مجلس برلمان مدينة تولوزة والظاهر أن ذلك كان ناشئاً عن الحاح احراب الدوقين على ارباب هذا المجلس وأما الملك فرنسيس فإنه وضع القرار على تلك المشاركة مع غاية القرح والسرور وذلك أنه لما فرح باقتاد رعاياه من الاغارة الشنيعة وغرّه رجاء نبيل مملكة لابنه الثاني أي الدوق دورليان ظن أنه غير مغبون في اشتراء تلك القوائد الجليلة بتركه اموراً غير مأذون فيها شرعاً والقابل يترتب عليها في ذلك الوقت الاخضرار ملته ودماؤها وحقوقها لم تكن في يده فكأنها معدومة ثم ان الإمبراطور في الاجل الذي ضرب لتغييره في شأن الزواج اظهر أنه يريد تزويج بنت اخيه فردينند للأمير دوق دورليان ويعطيهام دوقية ميلان وكان يظهر من مقتضيات الاحوال اذ ذلك أن الصلح

(سنة ١٥٤٤)

بينهما يستحز ولا يتقطع فان الإمبراطور كان دائماً يتألم من داء القرس المعروف بداء الملوك فكان لا يظهر أنه ذو اقتدار على الحرب لان ذلك يستلزم قوة البدن والعقل وكان يجد ذلك من نفسه ويتخى أن يقص عليه الناس وحين كان في تعب شديد من هذا الداء حضر رسول من مملكة فرانسا الى مدينة بروكسيلة (بروسيلة) ليحضر اقرار مشاركة الصلح فوضع الإمبراطور امضاه عليها مع غاية المشقة ويده ترتعش قائلاً انه لا ينبغي الخوف من تقص هذه المشاركة لان ما ليد ألقى لا اقتدار لها على امساك القلم لا يمكنها القبض على ربح او سنان

مطلب
مقاصد الإمبراطور
في شأن بلاد ألمانيا

وقد منعه المرض والجأء الى المكث بمدينة بروكسيلة عدة اشهر وكان ذلك سبباً ظاهرياً في تأخره عن تنفيذ اغراضه في شأن اذلال حزب المعتزلة ببلاد ألمانيا وفي الحقيقة كان لذلك اسباب اخرى وذلك أنه وان كانت البواعث التي دعت به الى هذا المشروع قوية الا أن مصالحه اذ ذلك وقوة شوكة عصبية المعتزلة كانت تزنمه أن تبصر ويعين النظر فيما هو شارح فيه وأن لا يبيد دفعة واحدة الحجاب الذي كان يستتر به مقاصده واغراضه وكان يرى من المعتزلة مع اعتمادهم على قواهم وتعويلهم على شوكتهم أنهم دائماً متصرون في امرهم خائفون من صولته وبطشه لكنهم استعدوا للدفاع عن انفسهم وتجاسروا على ذلك وان كانوا يعلمون انهم يجسارتهم قد عرضوا انفسهم الى الخطر وكان الإمبراطور ايضا متصيراً في امره بسبب حربه مع الدولة العثمانية فاراد أن يتخلص من هذا الحرب فعزم على أن يعث اليها سفيراً من طرفه ليتضرع اليها في طلب الصلح ولأن كانت تلك الدولة لا تبقى على احد ولا يعرف كنه اغراضها ولا حقيقة ما رجا فكان ما صدر من الإمبراطور من اضرار نيران الحروب المدنية في داخل دوله وعماله قبل أن يقف على حقيقة مقاصد تلك الدولة

مطلب
طلب البابا انعقاد
مشورة قيسية عامة
بمدينة ترنته
١٩ من شهر تشرين
الثاني

يجوز عن الحزم والتدبير
وفي انشاء تلك الاحوال صدر من البابا بعد صلح كريسي بقليل فرمان
بتقضي الامر بمقد مشورة قيسية عامة بمدينة ترنته في اوائل فصل الربيع

(سنة ١٥٤٤)

وحرض فيه جميع ملوك النصارى وسائر الامراء على انتهاز فرصة الاطمئنان والامن الذى كان وقتئذ يلاذ اوربوا وحثم على أنهم يستعينون بهذه الفرصة على سحق دين المعتزلة الذى كان يخشى منه على اسرار دين النصرانية فاطهر الايمراطور اقولا انهم من اسراع البابا ومجلته بهذا الامر وأنه يلومه على ذلك خداها منه ومكرا فانه عما قيل اقترع على تلك المشورة القيسية لانها ربما كانت تعينه على تمييز مقاصده وتنفيد اغراضه فحين من طرفة رسلا يحضرونها و امر جميع قسوس دوله وممالكه بالذهاب اليها في الوقت المعين في القرمات

(سنة ١٥٤٥)

مطلب
انقاذ مشورة
الدينية بمدينة
ورمس في ٢٤
من شهر اذار

هكذا كانت مقاصد الايمراطور حين اخضعت ديتة الايمراطورية بمدينة ورمس بعد تأخيرها عدة مرات وكان المعتزلة مرخصا لهم في دينهم وحقائدهم ولكن كان هذا الترخيص معلقا مؤجلا وسندهم فيه واهيا وهو الامر الصادر من مشورة الديتة الاخيرة وكان للعمل بهذا الامر مدة معاشومة مغبية بانقاذ المشورة القيسية فلذا كان المعتزلة يودون أن يرخص لهم ترخيصا مطلقا غير مؤجل باجل حتى يأمنوا على بقا انفسهم ودينهم ولكن لم يعرض احد في المشورة لما يكون به امهم وطما ينتهم بل عرض الملك فرديند على اربابها امرين احدهما استمرار الحرب مع الدولة العثمانية والثاني يخص امر الدين قائلا ان الامر الاول متعصم لا بد منه لان السلطان سليمان بعد أن فتح معظم بلاد البحار اخذ يستعد لشن الغارة على بلاد الاوسترولسيا وان الايمراطور الذى هو من مبدء حكمه يخاطر بنفسه في مدافعة هذا السلطان الشديد البأس القوى الصولة لم يزل مصحما على دفعه عن ابناء النصرانية وحمايتهم منه حتى انه عدل بمحض اختياره عن الحرب مع فرنسا مع انه الغالب الطافر فاصدا معاهدة الملك فرنسيس ليحزبا جميعا على هذا السلطان الذى هو اشتد اعداء النصارى فبناء على ذلك يجب على جميع اهل الايمراطورية الالمانية أن يعينوا رئيسهم ويساعدوه على سعيه في تأييد دين النصرانية وحمايته من عصبية الاسلام بأن يمدوه بما هو محتاج اليه

(سنة ١٥٤٥)

مطلب

الحاج فرديند علي
اهل المانيا باقرار
المشورة القيسية
والرضا باحكامها

في تلك اثناءه واما المجادلات الدينية فقد اتسعت دائرتها حتى صار لا يرحى
انها وها عاجلا وحيث ان الايمراطور قد بذل وسعه وألح على البابا حتى الزمه
بالرضا بعقد مشورة قيسية عامة وكان المعتزلة وغيرهم يجتدون في طلب
تعقد هامنذ زمن ملويل وقدحان الوقت المعين لان عقادها وجب على الفريقين
قاول يقية ومعتزلة أن يرضوا باحكامها ويمدعنوا لما يستقر عليه رأيا
فاستحسن من كان في المشورة من القاويل يقية كلام فرديند واجابوا بانهم
يرضون ~~بشكل~~ ما يطلبه واما المعتزلة فلحقهم من ذلك غم شديد لما أنه مخالف
لما حكم به في شأنهم بمشورة الديينة السابقة فتقوا في أن المجادلات الدينية
يتبني أن يبدء بها في المذاكرة لكونها من اهم الاغراض واجلها وأبلاذ المانيا
وان كانت في فزع ورعب من تقدم العياكر الاسلامية وتظفرهم إلا أن امر الدين
يخص طاعتهم فلا يرضون أن يحاربوا مله اجنبية ويدعوا نيران الفتن تضطرم
في داخل بلادهم وانهم ان حصل لهم ترخيص في العمل بهذاهم كيف شاؤوا
وامنوا على انفسهم من جهة دياتهم بذلوا غاية جهدهم كسائر اهل ألمانيا
في قتال اعداء دينهم ودفعهم عن بلاد النصارى واما اذا كان الخوف على
النصارى من الدولة العثمانية قد بدا بحيث لا يسوغ الالتفات الى غرض آخر
في هذا الوقت فيلزم التجميل بعقد مشورة الديينة لتب امر المناقشات
الدينية وتنتهيها على سبيل الابرار ويلزم ايضا توضيح الامر الصادر في هذا الشأن
من مشورة الديينة الاولى وذلك أنه لما حصل الاتفاق في مشورة الديينة
المنعقدة بمدينة سبييرة على أن المعتزلة يتعبدون بدينهم كيف شاؤوا حتى
تتقدم مشورة قيسية عامة على حسب الامول الصحيحة الشرعية وامر البابا
بعقد مشورة قيسية اخرى وايده الملك فرديند بالزامه لهم بالاذعان
والطاعة داخلهم الوسواس والريسة وفهموا أن اخصامهم كانوا يحاربونهم
في بعض الفاظ مبهمه متشابهة من امر الديينة حيث قالوا ان الترخيص لهم
في دياتهم موجب باجل معلوم وهو افتتاح المشورة القيسية فلاجل اجتناب
هذا التأويل ناقضوا في صحة كل مشورة قيسية تتعقد خارج بلاد الاعيان بطورية

(سنة ١٥٤٥)

الامانية بمحض اوامر البابا ويجعل لنفسه الحق في الرياسة عليها وانظر وانهم لا يقرؤن تلك المشورة وانهم الى الان يعتبرون الامر الصادر من مشورة الديانة السابقة مطلقا محتملا لا يجري العمل بالاعتناء وانهم لا يعدلون عنه ابدا وصيكان الایمراطور الى ذلك الوقت يرى أن مصلحته تقتضي مراعاة المعتزلة وانه يفعل معهم ما يستعمل به قلوبهم فكان يجيبهم الى ما يطلبونه وان كان في الظاهر غير معقول ولا مقبول ولكن لما تغيرت مقاصده الزم اخاه الملك فردينند بأن لا يتحول عما عرضه أولا وأن لا يتساهل في شيء بضرب شروط المشورة القيسية او يمنع انعقادها وكان المعتزلة ايضا يشددون في دعواهم كل التشديد لفصل التوقف الكلي من الفريقين ومكثنا زمنا طويلا على التناد والنقل حتى شوهديا أن الصلح بينهما صار من قبيل المستحيل ولما برئ الایمراطور من مرضه ذهب بنفسه الى مدينة ورس ومع ذلك لم يكن لحضوره تأثير في نفوس المعتزلة ولم تساهلوا في شيء مما طلبوه لانهم كانوا جازمين بأنهم على الدين الحق فالتزموا له وانصرهم فكان الایمراطور كلما اراد أن يستميل حزبهم بالتصلي والمداينة او يزجرهم بالتخويف والتهديد لا يزيدهم ذلك الا غضبا وجسارة مظهرين على رؤس الاشهاد أنهم لا يعنون بتزكية انفسهم وتأيد دعواهم في مشورة متعصبة متعاطلة حتى كانوا لا يثقون بالبحث عن المذاهب الدينية لتعرف صحيتها من فاسدها بل انما عقدت بجزء زجرهم ومعاقبتهم وانهم لا يقولون الا بسلطان تلك المشورة القيسية لكونها منعقدة بامر البابا وهو لا يجوز أن يكون حكما فيها لما أنه حكم عليهم من قبله الامر بأنهم رافضة خارجون عن دين النصرانية وادعى لنفسه الحق في الرياسة على تلك المشورة ليعتد من اضرارهم ويعاقبهم بما شاء

مطلب
حضور الایمراطور
في مدينة ورس

مطلب
ملوك موريس امير
سكس في مشورة
لديانة

وبنما كان المعتزلة يتمتعون من اقرار المشورة القيسية المذكورة ولا يرضون باعانة الایمراطور في حربه مع الدولة العثمانية اذ ظهر من بينهم موريس امير سكس وجنح الى الایمراطور وعصده قوله وذلك انه وان كان في الباطن لا يعمل الا الى دين المعتزلة وكان قائما بتعصيده وتأيد الا أنه رأى أن مصالحه

(سنة ١٥٤٥)

تقضى أن يظهر خلاف ما يظن فاختذ يوافق الايما بطرور في اغراضه حتى
استماله اليه بالكلية واستعان بحجة الايما بطرور على تنفيذ اغراضه ومطامعه
التي كان مصمما عليها ولكن لم يتأس به احد من المعتزلة ولم يكن لقوله تاثير
في قلب احد منهم حتى فهم الايما بطرور انه لا يمكنه أن يحصل منهم مددا يستعين به
على الحرب مع الدولة العثمانية ولا أن يرزق ما يحتاجونهم من الخوف والريسة
منه في شأن دينهم ولكن لما لم يكن دبر مقصده واغراضه حق التدبير ولم تكن
تجهيزاته كافية بحيث يمكنه تعهدهم وادخالهم تحت الطاعة او يعاقبهم على ما يدور
من الخسافة والعناد اخذ يتخادعهم باناسحق لا يقفوا على حقيقة قصده فامر
أن تستعد مشورة الديينة في اول العام القابل بمدينة راتسبونة لاجل
المفاوضة في المسائل الخلافية وأن يحكوا ذلك بين بعض أفراد من المعتزلة
وآخرين من حزب الكنيسة القانوليقية

مطلب

ارتباب المعتزلة من
الايما بطرور

ولكن مع كون الايما بطرور بذل جهده في محادعة المعتزلة لم تحقق عليهم مقاصده
بل اذركوا أن ذلك منه مداهة ومخادعة حيث لم يمكنه أن يورى ما ينبغي
مواراة تامه وذلك أن القوتة هرمان مطران كولونج ومنتقها كان
لفضائله وحسن اخلاقه وكبر شئنه ذا اعتبار ووقار وان كانت درجته في العلم
هينة كغيره من الاشراف الذين كانوا حينئذ مقلدين بالمناصب القسبية
والوظائف الدينية العالية في بلاد ألمانيا فاتفق أنه آتريدين المعتزلة على دين
الكنيسة الرومانية واعانه على ذلك في اوائل سنة ١٥٤٣ كل من ميلنختون
وبويسير المتقدم ذكرهما فاخذ ينسخ دين الكنيسة من ابرشيته ويدخل بهادين
المعتزلة الا أن الرهبان الذين كانوا في دائرته رأوا أن الدين الجديد لا يساعدهم
لانه يحكم بالنساي بين الناس فاطبة فهو مضر بمقامهم وثروتهم فناقضوا
مطرانهم كل المناقضة لغرضين جسيمين احدهما خوف الاضرار بمصالحهم
وثانيه ما يريد رغبتهم في المحافظة على الدين القديم وبقاء اصوله لكونها تلاميذ
اطماعهم ولكن لم تزد مناقضتهم المطران هرمان الاتصمينا وعنادا حيث
رأى في مناقضتهم له ما يبدل على فساد الدين القديم ويعود عليهم بالصلفة

والمنفعة ولما رأى هؤلاء الرهبان أن مناقضتهم لا تجدى فغارفوا شكواهم الى الامبراطور والبابا لان لا قول كان حاكمهم السياسى والثانى كان حاكمهم الدينى فوصفت شكواهم الى الامبراطور وهو بمدينة ورمس فاوخلهم تحت حمايته وامرهم بأن يعاقبوا اشد العقاب كل من مال الى دين المعتزلة وعدل عن دين الكنيسة الرومانية ونهى المطران هرمان عن أن يحدث شيأ فى ابرشيته وامرهم أن يحضروا الى مدينة بروكسلة فى ظرف ثلاثين يوما ليصيب فيها عما اتهم به

ولم يكف شر لكان هذا الامر الذى اوستد له به المعتزلة على بغضه لهم بل اساء كل من كان يظن فيه أنه على دين لوتير من اهالى دوله الوراثة من مملكة البلاد الواطئة وبجمر حضوره الى مدينة ورمس نهى خطباء المعتزلة عن الخطابة بها بل وادخل فى كنيسته الخاصة به راهبا من رهبان ايطاليا صعه على منبرها وقدح فى الدين الجديد وقال فى حق الامبراطور ان الله سبحانه وتعالى قد اجتباه واختاره لازالة الكفر ومحو دين المعتزلة الضالين وفى اثنا ذلك بعث الامبراطور الى القسطنطينية سفراء بصدد الصلح كما تقدم ليستد باب الحرب مع الدولة العثمانية ويتفرغ بكنيته الى تأييد الدين ورفع اعلامه المنكسة ولم يكن لم يتصف على المعتزلة سلوكه ولا ما يترتب عليه من العواقب فكان كلما ازداد فرحهم وخوفهم من الامبراطور ازداد يقطلهم واحتراهم منه

مطلب
سوت الدوق دورليان
بن ملك فرنسا

هذا وكان للامبراطور دائما الخط الاوفر على خصمه الملك فرنسيس فقد حصلت حادثة اخرجته من ورطة كبيرة كان لا يمكنه أن يتخلص منها بمحض مهارته ونباهته وذلك أن الدوق دورليان عرضت له فى الزمن المعين لواجبه بينت الملك فردينند ولمخذه دوقية ميلان حتى خيئة افقت به الى الهلاك فكانت هذه الحادثة سببا فى تخلص الامبراطور من وجوب اعطاء دوقية ميلان لخصمه او من المعرة وانخرى اذا هو امتنع من اعطائها حيث التزم بذلك وصار معلوما للخاص والعام فكان امتناعه عن الوفاء بما التزم به

من شهر ايلول

(سنة ١٥٤٥)

يؤدي إلى وقوع الحرب بينه وبين مملكته فرنسا ومع ذلك أظهر القم والحزن لموت هذا الأمير الذي لوبقى لكان بينهما نسب وصهر لكنه حاول أن لا يتقوه بشيء في شأن دوقية ميلان ولم يرق غير شيء من مشاركة كريسبي مع أن الملك فرنسيس كان يلح عليه أن يعطيه شيئاً في تقدير ما ضاع ممنعه من القوائد بموت ولده ولو كانت مملكة فرنسا زاهية زاهرة كحالها الأولى لاشهر فرنسيس الحرب مع الإمبراطور بمجزاها عنه عن اجابته فيما طلبه منه لكن كانت صحته قد ضعفت كشوكة وثروة مملكته وكان مشغولاً بمداخلة الأناكليس عن بلاده فاضطر إلى إخفاء حقه وصم على الانتقام من الإمبراطور في وقت آخر يساعده على ذلك وكان من جهة ما تضمنته مشاركة كريسبي أن دوق ساووة ترد إليه دوله بعد وفاء شروط الزواج المقررة في تلك المشاركة فخلافت الرواج بموت الدوق دورليان خائب آمال هذا الدوق السيء الحظ ولم يترقب على مناقضة مملكة فرنسا في هذا المعنى المتجدة الحرب بين فرنسيس والإمبراطور

مطلب
اعطاء البابا دوقية
برمة ودوقية بليرنسة
لأبيه

وقد سبق إلى أذهان أهل عصبة سالكالد أنه سيعقب موت الدوق دورليان منازعات بين الملك فرنسيس والإمبراطور وأنه يترتب على تلك المنازعات الحرب بينهما فيمكنهم مدة اشتغال الإمبراطور عنهم بغيرهم أن يتقوا ويوسعوا دائرة دينهم لكن لم يصادف ظنهم محلاً كما لم يصبوا أيضاً في ظنهم مثل ذلك حين حصلت حادثة أخرى ظنوا منها أنه سيجرب عليهم الحرب بين الإمبراطور والبابا وهي أن البابا بولس لما كان دائماً يسعى فيما يكون به ثروة عائلته ورفع شأنها قبل أن تضعف شوكة الباباوات وينحط مقامهم حسبما كان يظهر له خاطر بنفسه وأعطى ابنه بطرس لوز دوقية برمة ودوقية بليرنسة مع جرمة بأن الإمبراطور يغناظ من ذلك ولا يقره أبداً ولم يكن بطرس لوز المذكور واد البابا من نكاح شرعي وزيادة على ذلك كان يبيع السلوك منهم كما على المعاصي والفساد حتى كان يحفظ عليه جميع من كان صالحاً مستقيم الخيال فتعجب الناس من ارتقاؤه إلى هذا المنصب الجليل وجاب ذلك البابا سخط

(سنة ١٥٤٥)

العالم لاسيا و كان معظم اوروبا حينئذ يقدر في قبح اخلاق القسوس
ويشنع عليهم ويصفهم بالمفسدون الما ثم وتعلم المعتزلة من ذلك وعدوه مما يجب
نصفه وازالته وكان بعض الكرديتالات يميل الى الاعياد بطور قضاوا البابا
في هذا التصرف المنكر الذي يترتب عليه تشييت اراضي الكنيسة واخلال
نظامها ولم يرض الجلي لاسبانيا أن يحضر الجميع الحافل الذي عقد لتولية
ابن البابا واما الاعياد بطور شر لكان فابي اقرار حجة التولية متعللا
بأن برمة وبلينسة داخلتان في ضمن دوقية ميلان ولكن لما كان هو
والبابا ملتصقين كل الالتفات الى مصالح ألمانيا غلبا المصلحة العامة على
مصلحتهما الخاصة واخفيا الحقد والبغضاء لبعضهما ليلتفتا الى ما هو
اهم والزم

وفي ذلك الوقت اغار الامير هنري دوق برونسويك على بلاد ألمانيا
فكر هدمها وراحتها وذلك أن هذا الامير كان قد حرّم من بلاده حيث ضبط
عليها الاعياد بطور حتى يقع الصلح بينه وبين اهل عصبة سمالكاد ومع ذلك
كان لم يرزل معتبرا لها في ألمانيا فوعده الملك فرنسيس أن يجمع له من بلاد
ألمانيا طائفة كبيرة من العساكر ليستعين بها على الحرب مع الانكليز واعطاه
فرنسيس مع الاموال المبالغ المتفق عليها بينهما لجمع الامير هنري العساكر
ولكن لم يذهب بها الى فرنسا بل اقتضى بها على بلاده مؤملا استرجاعها قبل
أن يصل اليه جيش يعوقه ويمنعه عنها فتصير اهل عصبة سمالكاد وكان الملك
فرنسيس اكثر منهم تحجبا من هذه الحيلة التي تزي بالامراء ولا تليق بقسامهم
وجع امير هيسة مع السرعة العجيبة ما امكنه وجعه من العساكر لصعد عساكر
هنري واعانه عليه صهره الامير موريس واتاه مدد آخر من طرف الامير
منتخب سكس فالتصرت هرات على هنري وكان هنري المذكور
مع ما هو عليه من الجسارة والسرعة لدى المشروعات يعجز ويتردد عند تنجيزها
فاضطر الى التسليم مع ابنه البكرى ووضع في سجن ضيق حتى تغيرت الاحوال
وخلى سبيله

مطلب
اضرام هنري امير
برونسويك نيران
الحرب في بلاد ألمانيا

(سنة ١٥٤٥)

مطلب

نشر دين المعتزلة

في اقليم بلاطينة

المسعى عند اهل

النمسايفان

١٠ من شهر كانون

لثاني

مطلب

انقضاء المشورة

القسيسية بمدينة

رتة

وبنجاح امير هيسة في هذه الواقعة ازدادت شهرة المعتزلة ودخل دينهم في اقليم بلاطينة قويت بذلك شوكتهم وعظمت صولتهم وذلك أن الامير فريديريك الذي حكم على هذا الاقليم بعد اخيه لويز كان الناس يظنون فيه أنه يميل الى دين المعتزلة فلما مات اخوه لويز وتولى حكومة الاقليم المذكور اظهر على رؤس الاشهاد أنه من حزب المعتزلة وأنه لا دين له سوى دينهم ولكن لما كان يؤمل أن مشاور الديانة والمذاكرات الطويلة التي كانت تحصل في شأن الدين سيجري الى ادخال دين المعتزلة في اقاليمه لم يرض أن يخاطر بنفسه ويسعى في نشر الدين الجديد في بلاده الا أنه شتمت نفسه من طول مدة الانتظار ولم يرف ذلك فائدة فاخذ بعض دين المعتزلة ويذل الجهد في تأييده لاسيما وكان رعاياه بطور عليه بخسره في بلادهم لانهم باحتلالهم مع المعتزلة تمسكت من قلوبهم اصول الدين الجديد وعقائده وكانت حجة المعتزلة المتجاوزة الحد قد حدثت نيرانها وتناقصت عن سالها الاول ومع ذلك فالتشريع الدين الجديد باقليم بلاطينة مع النظام التام حتى لم يحصل منه خلل اصلا ونسخت العبادة القديمة وخلفتها الجديدة بدون ظهور حجة ولا تعكير ومع ذلك كله فقد تأسى الامير فريديريك بالامير موريس حيث ساعد عن عصبية سمالكاد ولم يرض بالدخول في زمريتها

وقبل انتشار الدين الجديد في بلاطينة ببعض اسابيع افتتحت المشورة القسيسية بمدينة رتة مع الاحتفال والوقوف المتعاد وكانت الدول تقاويلية قد عولت على هذه المشورة وقصرت رجاءها عليها حتى انها من مبدء ظهور دين المعتزلة كانت تظن أن هذه المشورة هي اعظم واسطة في تعصيدي دين الكنيسة وتأيده ولكن كان هنالك آفاس كثير من يخشون أن لا يترتب على تلك المشورة فائدة للكنيسة لان الدواء اذا تأخر عن الدواء صار الداء عضالا وقلا عادت عليه المعالجة بالنفع وكان قد مضى على دين المعتزلة ثمان وعشرون سنة وهو اتخذ في الانتشار والازدياد حتى تمكن من قلوب العباد ومع أن البابا ذكر في احرمان الاخير الذي صدر منه بعقد المشورة القسيسية أن اول مجلس لثبث مشورة

يكون في شهر اذار كانت مقاصده مبانة لمقاصد الايمبراطور فتمت السنة
بتمامها تقريرا والمذاكرة على حالها لم تنقض وذلك أن الايمبراطور كان يحضري
أن تشديد اوامر المشورة القيسية يتقرر فوس المعزلة ويحلمهم على التأهب
للمداخلة عن انفسهم ورجحانهم شدة الحق والغبط على ليثاق قننة كبيرة
فبذل غاية جهده في تأخير اقتراح تلك المشورة حتى يجهز ما يلزم من المواد
والمهمات ليأمن من عصبية المعزلة لان حصل منهم قيام وعصيان ويحجزهم على
قبول الاوامر التي تصدر من تلك المشورة القيسية واما البابا فانه يادو بيعت
رسله الى مدينة ترنت لتكون لهم الرئاسة على المشورة نيابة عنه وخوفا
من أن يكون عرضة للازدراء والاحتقار اوبسي الناس فيه الظن اذا هو لم يبع
في عقد المشورة القيسية حيث كانت الكنيسة اذذاك عرضة للظفر وذلك
يستدعي منه فرط الهمة ومزيد السعي فبناء على ذلك دقق في أن تنقل المشورة
القيسية الى مدينة من مدائن ايطاليا او توخر الى وقت آخر او تبدل حالا
في المذاكرة بدون مهلة ولا تراخ فلم يرض الايمبراطور بالامر من الاولين لانه
يترقب عليهم ما اغضب اهل ألمانيا من قانونية ومعتزلة ولما رأى أنه لا يمكنه
المحاولة في الامر الثالث امر بعقدها بشرط أن يبدأ فيها بالمذاكرة فيما يخص
للعقائد الدينية وكان ذلك اعظم ما يخشاه ديوان رومة حتى كان قصده
من محاولاته في ذلك انما هو منع البعث في هذه المواد حيث كانت تحضري عواقبه
• ومع أن البابا بولس كان دون اسلافه من البابا في التدقيق والمشدد
في عقد المشورة القيسية لم يكن اقل منهم غيرة على شوكتة وصولته فرأى
أنه ان بدئت المشورة بالمذاكرة في هذه المواد تشفي فيه المعزلة ورأى ايضا أنه
اذا كانت المشورة القيسية تجعل تلك المواد مطمح نظرهم ولا تلتفت الى غيرها
وأن قسوس الدرجة الثانية يتصرفون كيف شاؤوا ويرتبون اصولا وقوانين
يعمل بمقتضاها القسوس الذين هم اعلى منهم مناصبا واعظم شوكة واقوى صولة
اضر ذلك بالكنيسة كل الاضرار ووقعها هذا الامر في المذلة والصغار فبناء
على ذلك لم يصغ لقول الايمبراطور واقادونه انهم يقتضون المشورة فورا

(المقالة السابعة) *
(تاريخ الائمة اطور شر لكان)

٢٠٣

(سنة ١٥٤٥)
١٨ من شهر كانون
الثاني
مطلب
أعمال المشورة
القيسية

نمضي اول مجلس منها في بيان طرق المذاكرة وكيفية انعقاد المشورة وفي المجلس
التاني حصل الاتفاق على أن الهم والالزم هو تحرير دفتر يشتمل على سائر
العقائد التي تأمر الكنيسة باعتمادها والتصديق بها وأن يبحث عن الوسائط
التي يترتب عليها تحسين اخلاق القسوس وحلهم على الاستقامة وحسن
السلوك فتمجرد أن سمع المعتزلة ذلك من قواب الالباب ورأوا أنهم نطقوا به
على وجه يشعر بالتكبر والامر لاهل وجه ابداء الرأي وأن اغلب ارباب المشورة
قد اطهروا الاقياد والامثال لقول هؤلاء النواب علوا ما يصدر في حقهم
وما سيجم به عليهم في هذه المشورة وتجبوا كل العجب حيث رأوا اربيعين
قيسا من الاعيان (لأنهم لم يعهد مثل هذا القدر في مشورة اخرى) يجعلون
انفسهم نوابا عن الكنيسة ويحكمون بطرق النياية عنها في المشكلات من
العقائد الدينية بل لحق المشورة نفسها من الخزي والخل من تلك الوقاحة
وعدها الخساسة ما افضى بها الى البطي والترخي في المذاكرة حتى مكثت مدة وهي
بهذه المثابة وبمجرد ما بلغ عصبه جمال كالد اقتتاح تلك المشورة نشروا
تقرير اجدد يشتمل على تعليلهم ونسكهم من انعقادها وعلى الاسباب الجاهلة
لهم على عدم اقرارها والرضا باحكامها ومع ذلك كن كل من الائمة اطور
والبابا لا يأمر بالاسراع في المذاكرة كرات حتى ظهر أنهم ممتثلون بمصلحة
اهم من ذلك واعظم

مطلب
خوف المعتزلة

ولكن كان المعتزلة لا يكتفون ان يغفلوا عن حركات الائمة اطور والبابا واطوارهما
بل كانوا يرتابون من ذلك وتزايدت بهم الوسوس والاهام بما كان يبلغهم من
سائر الجبهات من اخبار العصب التي كانت تدبر في شأنهم فقد اخبرهم ذلك
انكثرة بأن الائمة اطور معهم منذ مدة طويلة على محق دينهم وابطال عقائدهم
ولاشك أنه في هذا الوقت يفوز ذلك الغرض لان بلاد ألمانيا في صلح وامن
خالية عن الفتز والتكبر ان فليس له فرصة في هذا المعنى اعظم من ذلك
وكذا تجار مدينة او كسبورغ التي كانت حيثئذ من اعظم اندم
التجارية اتخبرهم مراسلهم الذين كانوا يبلاد ايطاليا وكانوا يميلون باطنا

مطلب
مذاكرة المعتزلة

الى دين المعتزلة بأن الاميراطور والباياقذ تعصب لبايع بعضهم على المعتزلة عصبه
خطرة ولطفهم ايضا من مملكة البلاد الواطية أن الاميراطور قد أمر بجمع
عساكر منها ومن غيرها من دوله لكن مع الاحتراس التام في اخفاء هذا الامر
فكل ذلك قوى الريه والوسواس في نفوس المعتزلة حتى جرئوا بأن الاميراطور
قد نوى لهم نية سيئة وداسلهم الزعب والفرع فاجتمع وكلاء عصبه
سما الكياد بمدينة فرنكفورت مماخير بعضهم بعضا بما عنده حتى يتفقوا
أنهم صاروا عرضة للاهوال والاطار ولكنهم لم يكونوا في الظلثام والاتحاد
مع بعضهم بقدر ما كانت تقتضيه الاحوال اذ ذلك ولا مانستلزمه التجهيزات
الجسيمة التي كان اعداؤهم يتأهبون بها فان تلك العصبه وان كانت موجودة
منذ عشر سنوات الا أن اراضي اغلب الامراك الذين كانوا من اربابها كانت
متداخلة في بعضها وكانت العائلات متزوجة من بعضها وكان بين تلك البلاد
معاملات ومخاطبات كثيرة فاجب ذلك أن صارت كل بلدة تدعى على
الاخرى وكل امير يدعى على الاخر وكل عائله تريد اثبات حقها على الاخرى
وحصل الشقاق والتنافس بينهم فكان بعضهم يميل مثلا الى دوق برونسويك
ويولم حاكم هيسه على اسائه لهذا الدوق القليل الحزم والحظ ومعاملته له
بالقسوة والمتعوبة وكان بعضهم يتهم كلا من الامير منتخب سكس والامير
حاكم هيسه رئيسي العصبه بأنهما لاسرافهما وعدم تدبيرهما قد لوقعا
المتعصبين فيما تقدمت به اموال كثير قوم بالغ جسيمة بلا فائدة وكان هذان
الاميران العظيمان لقوة شوكتهم ووصولهما يحكمان على العصبه ويتصرفان
فيها بما ارادا ولكن كانت مقاصدهما متباينة ولغراضهما مختلفة حتى قبرت
هتما حين كانت الاحوال تقتضي مزيد الالتفات واليقظ * اما حاكم هيسه
فكان مع جسارته وعدم اكترائه بالاهوال واقتحام الاخطار لا لنفسه غيره
الدينية مصالحه الخصوصية واغراضه السياسية فقال ان اعظم واسطة
تقي المعتزلة مما هم عرضة له من الاخطار هو سعيهم في الدخول تحت حماية ملك
فرانسا وملك انكلترا او معاهدتهم مع اقاليم المعتزلة من بلاد السويس

• (الحالة السابعة) •
(تاريخ الامير الطور شر لكان)

(سنة ١٠٤٥ هـ)

فانها تعينهم كل الاعانة واما منتخب ~~سكس~~ الذي كان اعظم اهل ذلك العصر عدلا واسقامة فكان لا يعجز عن الحكم مع الحزم والحدق في اوقات خالية عن الفتن والتعكيرات الا أنه كان شديد التوكل بدين لوتير حتى حمله ذلك على بغض من كان يشك ولو في عقيدة واحدة من عقائد هذا الدين فأخضت به غيرة وجهته على الدين لبلد شديد أنصار لاتسعه المدافعة عنه في اوقات الفتن والتعكيرات وكان يعتقد أن امور الدين تقتضي اصولا وقواعد مغايرة لاصول السياسة فضل بشعوبه على آراء لوتير الذي كان لا معرفة له بالاصول السياسية بل كان يحتقرها ولا يعاها فلذا كان هذا الامير شديد الصناد وطالما جرت عناده الى الاضرار بحزب المعتزلة ولما كان بهذه الصفة ابى أن يدخل في المعاهدة مع الملك فرنسيس متعللا بأنه كان يحجب بحزب المعتزلة الذي هو على الحق وابي ايضا أن يتعاهد مع ملك انكلترا حيث كان يرى أنه أشد كفرا وضلالا من البابا وامتنع من معاهدة اهل السويصة لانهم كانوا يخالفونه في بعض عقائدهم من دين المعتزلة كان يراها صحيحة لا بد للدين منها ولا تخفى عاقبة اختلاف هذين الاميرين وتباين آرائهما في مثل هذا الغرض المهم فان كلا منهما كان يلوم الاخر ويشنع عليه سزا • أما حاكم هيسة فكان يرى أن عقل منتخب ~~سكس~~ ضيق فاصر قد استولت عليه الهوهم انقاسدة والعائد الكاسدة وهذا لا يليق بامير كان صدر حرب المعتزلة ورئيس عضبته واما منتخب سكس فكان يتهمه بالتساهل وانه اغراضا مبنية على الطمع لا تليق بهذا الغرض المحترم المتعلق بامر الدين الذي تصديا لتعضيده وتأيدده ومع أن تدقيق منتخب سكس منع من انتهاز الفرصة في الاستعانة بالاجانب وكذلك ما كان بين الامراء من الغيرة والمنافسة منع من ضرب اجل آخر للعصبة لان اجلها المعين كان قد قارب التمام اجمع اهل تلك العصبة لما قام بهم من الفرع على امور اخرى يحترسون بها فانقفت كلتهم على أن لا يقروا بانقضاء المشورة بمدينة ترنة ولا يرضوا باضرار مطران كولونيا في نظير كونه اراد ادخال الدين الجديد في ابرشيته

(سنة ١٥٤٦)

مطلب
 مداولات المعتزلة
 مع الإمبراطور

ولما ارادناكم هبة أن يقف على حقيقة مقاصد الإمبراطور وكان يعلم أن الأمير غراويل لا يتحقق عليه تلك المقاصد كتب إليه يفيد عن بعض حوادث أوتعت الشك والريبة في قلوب المعتزلة من الإمبراطور وطلب منه أن يخبره بحقيقة الحال حتى يعلم المعتزلة ما لهم وما عليهم فأجاب غراويل بأن ما بلغ المعتزلة في شأن تجهيزات الإمبراطور لا يتخلو عن مبالغه وأن فزعهم لم يصادف محلا وإنما الواقع أن الإمبراطور لم يزد قصد حفظ ضواحي ممالكه وأمنها من تعدي مملكة فرنسا ومملكة انكلترا صدرت منه أوامر بجمع عساكر قليلة من مملكة البلاد الواطية وهو لا يود الإبقاء الصلح والامن في بلاد ألمانيا

ولكن لم تكن حالة الإمبراطور موافقة لهذا الخبر لانه عوضا عن أن ينتخب اناسا مشهورين بحسن الاخلاق وطيب النفس للمدافعة عن الدين القاتوليقي في المذاكرة التي انشط الرأي عليها انتخب اناسا قولا لهم بدين القاتوليقي أكبر من قولا منتخب سكمس بدين المعتزلة فحصل اليأس والقنوط من امكان الاصلاح بين الفريقين وذلك أنه تكفل بتأييد الدين القاتوليقي قسيس من قسوس اسبانيا يقال له مالواتده فدافع عنه سالكا في ذلك مسلك العلماء المتفلسفين الذين من دأبهم التدقيق في المحاورات والمناظرات لاجل انغام الخصم لا لظهور الحق فغضب المعتزلة من مشاغبه ومفسطائته وتطلخوا من عدم انضاف القوانين التي امر الإمبراطور بالعمل بمقتضاها في هذه المذاكرة وتركوا المجلس وفسخوا المشورة على وجه خشني جازمين بأن الإمبراطور لم يقصد الاتحاد عنهم ومن اغلثهم حتى تسع معه الوقت ويبرأ أمره كيف شاء

انتهت المقالة السابعة

المقالة الثامنة

من تحاف ملوك الزمان • بتاريخ الإمبراطور شرلكان وبينما كانت الاخطار تزداد بتداول الايام حتى اشرفت النكبات أن تنال المعتزلة اذا اخترمت المنية لوتبر واستراح من رؤية تلك الاعداء والنكبات المفزعة

مطلب
 موت لوتبر

(سنة ١٥٤٦)

١٨ من شهر شباط

وذلك أنه كان ضعيف الصحة وبلغه وقوع فتنة في مدينته ايسلبان التي هي
اصل غرسه ومسقط رأسه فتوجه اليها في شدة البرد فأصدا اطفالا فيران
هذه الفتنة وكانت بين قوتات مانسفيلد فأصيب بالتهاب شديد
في الامعاء افضى به الى الموت بعد ايام قليلة في السنة الثالثة والستين من عمره
وما كان قد اعد الله سبحانه وتعالى لتغيير حادثة من اعجب الحوادث التي نقلها
الينا التلويح اختلقت آراء معتدى مناقبه قد حادوا مدحا اختلافا لم يقع لاحد
قبله وذلك لان شراب آراء اهل عصره في شأنه فكان بعضهم لشدة غضبهم منه
للكونه تجاسر على نبخ جميع ما كانوا يؤدون بشاء لا وهامهم الباطلة
او لمصالحهم الخصوصية ويعتدونه من الاركان المقدسة التي لا يجوز هتك حرمتها
يصفونه بأنه جامع بين فواحش الانسان وخبائث الشيطان وكان بعضهم يحبه
ويثني عليه ويقول انه مصباح الدين ورافع اعلام حريته ونسب اليه من
الفضائل ما هو فوق طاقة البشر حتى كان يعتبر جميع افعاله ويحترمها الاحترام
الذي لا يخلط به الا الانبياء والاصفياء ولكن لا ينبغي لاهل هذا العصر من الافرنج
أن يحكموا عليه بموجب قدح معاصريه او مدحهم فان ذلك لا يخلو عن مبالغة
بل الحكم عليه بموجب سلوكه وافعاله فيقال ان لوتير كان له وقع كبير
بما وقع في ذهنه أنه الحق فنشره مع الهمة العجيبة ودافع عنه مع شدة والمهارة
التي كانت فيه بالطبع او اكتسبها من مطالعة الكتب العلية وكان لا يكل ولا يمل
من تأييد ما يعتقد أنه الحق وتعضيده وكان في هذه الصفات على أعلى درجة
حتى ان اعداءه لم يمكنهم منازعته فيها ويزاد على ذلك انه كان مهذب الاخلاق
وكان يسلك مسلك التعفف والتعفف الذي يليق بامثاله من المشرعين
المتصدقين لازالة المفساد والمآثم وكانت معيشته تلايم مذهبه وتدينه ولتزهه
عن الاغراض وتسويته بين الناس كان لا يشك احد في حسن نيته وصفاء باطنه
وخلوص طوره وبالحل فكان لا يعنى بمصالحه الخصوصية بل يحترق زهوية
وانواع الزينة والملاذ فتلك المناصب والوظائف الدينية وتزده عن لا بدات
القيسية لاجراءه واتباعه واكتفى بوظيفته الاولى وهي وظيفة لوعده بمدينة

مطلب
طبع لوتير

ويتأبرخ حيث كان موظفا بالتدريس في مدرستها واكتفى بالماهية القليلة
التي كانت مرتبة لهذه الوظيفة غير أن هذه الصفات العجيبة كانت مشوبة ببعض
مثالب لا يعلم منها النوع البشري وان كانت لا تدل على خيف نفسه ولا سوء
مسيرته لانها ناشئة عن افراطه في الفضائل وحيد الخصال افرط تجاوز فيه
الحذو ذلك أنه بالطبع كانت له حجة شديدة فكان اذا حصل مقتنيا
في مقصد جسيم او مشروع عظيم تخرج به عن اطواره وقوره شدة عجيبته وقوة
غريته تتجلب منها العقول الضعيفة وتستغفر بها النفوس التي تئست بالهجة
موصوفة ويفزع منها كل من لم تلحقه نكبات الدهر وخطوبه ويجزع منها من
لم تلم به صروف الزمان وكرهه فقد كانت بعض صفاته المحمودة تتجاوز حدودها
فتفضي به الى ارتكاب ما يلام به عليه حيث كان يقفه وجرمه بعمه آرائه
واصول مذهبه يجره الى التكبر والازدراء بغيره وكان اهتمامه بتقديم هذه الاراء
وتوسيع دائرتها انما هو مخاطرة ومجازفة وكان ثبته في تأييدها ليس الانحداد
ومخالفة ولم تكن حيته في الخيام اخصامه الاجنبا يترتب عليه مسببات شنيعة
واتقاصات خشيعة فطبيعة ولما كان طبعه ترجح ما يرى أنه الحق على الباطل
واحترامه غاية الاحترام كان يلزم غيره بأن يحترمه مثله ولا يلتفت الى قصور
حقول الناس من ولا الى ما هو متمكن في نفوسهم من العقائد الباطلة والاوهام
العاطلة فكان يحقر من لا يعتقد اعتقاده ويقدر فيه ويشنع عليه واذا
تعرض احد من اخصامه للقدح في مذهبه اساء ولم يقره غير ملتفت الى كونه
خطيرا او حقيرا ولا الى كونه من ذوى الفضل او غيرهم الا ترى مسبته لماك
انكثرة وانعالم ايراسم بما سب به من دون ما هو تنزيل واكسيوس
ولكن لا ينبغي أن يقتصر على نسبة تلك الاسماء والمسببات الى مجرد حجة واحدة
طبعه بل ينسب ذلك ايضا من بعض الوجوه الى فساد اهل عصره وجهالهم
فان الناس كانوا حينئذ خشين لامعرفة لهم بالاصول التي تمنعهم عن شهواتهم
وترددهم عن اهوائهم فتمسك بها الجماعات البشرية وتكتسب بها التزين بزيينة
الانس والمطافة فكانوا في مقام المجادلة تبلغ بهم الهية منها هالان ما يقوم

بأنفسهم الخشنة تقصع عنه السنتهم بما هي متعوده عليه من عدم الرقة والملاطفة وكانت حينئذ جميع تأليف العلماء باللغة اللاتينية وكانوا يستهزئون فيها بأخصاصهم استهزاء فاحشا ويشنعون عليهم اقطع تشنيع فاقندى بهم في ذلك لوتير وغيره الآن الاساءة بلغة مهجورة كهذه اللغة يظهر أنها اقل فحشا مما كان في اللغات المشهورة المستعملة لان الفياط تلك اللغات لتداولها بين الناس وكونها مطروقة على السنتهم تطهر بها الاساءة الفحش واشنع عما اذا كانت بالقاط اللغات المهجورة

واذا اردت الوقوف على طبيعة انسان فاحكم عليه بما تقتضيه اصول عصره واحكام زمنه لان الفضائل والذائل وان كانت لا تتغير بتداول الازمان الآن الاخلاقي والعوايد يلحقها التغيير والتبديل فيلنظرن لنا الآن في مضموم ما في افعال لوتير لم يكن بهذا الوصف عند اهل عصره بل حصل أن بعض الافراطات التي تلومها عليها الآن قد اعانته على تبخير مشروعاته ومقاصده فكان لا بد من شدة الحجة وفرط الجسارة في ايقاظ هؤلاء الناس اذ ذلك من غفلات الجهالة ونسليم من احوال الاوهام واما الذين والرفق فكانا لا يوتران شيئا في تلك النفوس الالية فلو كان هنالك من هو اكثر قمام لوتير واقل منه حجة فحشى أن يحاظر بنفسه ويعرضها للهلاك فيما اقتضه لوتير من الاخطار ونظر فيه بمرامه وفي اواخر عمره لم تقهره مته ولم تقص معارفه بسبب ضعف صحته بل زدادت حيته واشتدت غيبه وصار اقرب للنم والغضب ولا يحد في نفسه صبرا عند الجذالات وقد حظي بنجاح حيته حيث رأى انتشار دينه واتساع ديرة مذهبه في جزء عظيم من بلاد اوربوا ورأى ترززل اساس شوكة البابايت واضعرب صولتهم ولم يسلم من العجب والكبر بسبب اظهار بعض ما قام بنفسه ولولا ذلك لخرج عن دائرة البشر لما انجزه من المشروعات الحسية ومقاصد العظيمة

وقبل موته بمدة احس بالخطا طواه وتناقص صحته وضعف بنيت لانه مع كثرة مصالحه كان مشغولا بآمال الليل واطراف النهار باده وطائفة ولا فاساده عزته

(سنة ١٥٤٦)

وخلوته من التعب في التأليف حتى بلغت مؤلفاته مجلدات ضخمة ولما قربت وفاته لم يزل على عزمه المعتز فكان يصدق مع احبائه واصحابه في شأن السعادة الابدية المذخرة لاهل الحق والعدل في الدار الآخرة وبعد أن تضرع الى الله سبحانه وتعالى أن يجعل له حظاً في تلك السعادة شق شهقة فارق بها الحياة وفرح القانولية **ص** كل الفرج حين بلغهم خبر موته ووقرت همه احزابه لان كلامه المعتزلة والقانولية كان لا يظن أن الدين الجديد قد تمكن حتى يمكن يتأوه بعد قد من وضع اساسه وقد صنع له منتخب سكر جنازة ضخمة ذات ابهة واحتفال واعقب لوتير عدة اولاد من زوجته كاترينة بورة التي عاشت بعده وفي اواخر القرن الاخير كان يوجد بلاد سكر من ذريته من هو مقاد بعض الوظائف العامة والمناصب الجليلية العالية

مطلب :

سعى الامبراطور في محادثة المعتزلة

٢٨ من شهر اذار

ثم ان الامبراطور لم يزل على منهجه القديم من خداع المعتزلة ومحاولتهم فكان يداهنهم ليزيل مافي قلوبهم من الرعب والخوف ولاجل اتقان المحادثة والمداينة اختلى مع حاكم هيسة وكان امهر عصبة المعتزلة واشدهم احتراماً من الامبراطور فلما اجتمعوا في الخلوة افاده الامبراطور أن آماله متعلقة بتحصيل السعادة والراحة لبلاد ألمانيا وأنه يفيض سؤلها مسالك الشدة والعنفوان وأنه لم يعقد عصبة لاضرار المعتزلة ولم يجهز تجهيزات توجب وعيهم وفزعهم واكد ذلك حتى ان حاكم هيسة خرج من عنده وهو على غاية من الامن والاطمئنان فترتب على هذه الحيلة ما كانت آمال الامبراطور متعلقة به وذلك أن حاكم هيسة بعد هذه المقابلة التي حصلت بينهما بمدينة سيرة توجه فوراً الى المدينة ورمس وكان ارباب عصبة سكالد مجتمعين بها فبالغ لهم في حسن مقاصد الامبراطور وحكى لهم ما شاهده منه فراء وأنه لا فائدة في التجميل بالاحتراس من خطر بعيد الوقوع او وهى لاحقيقه وسبب ذلك أن ذاب اهل ألمانيا وطبيعتهم التواني وقصور الهمة وأن عقولهم غلب عليها البطو والتردد الذي لاتسلم منه المشاور والجمعيات الكبيرة لدى المفاوضات والمذاكرة

(سنة ١٥٤٦)

مطلب

ما حكمت به الجمعية

القسيسية في شأن

المعتزلة

٨ من شهر نيسان

ولكن مما قليل حصلت حوادث جديدة ازالنا اعتقاد المعتزلة في صحة مواعيد
الإمبراطور وذلك أن المشورة القسيسية المتعقبة في رتبته مع أنه لم يكن فيها
الاعداد قليل من قسوس ايطاليا واسبانيا ولم يحضرها احد من رسل
المعتزلة ارادت تلغزها من مكثها من اساطويل بدون تعبير شيء أن تنهى بعض
مسائل مهمة فامتحت اولاً الغرض من المنازعة والشقاق بين الكنيسة وحزب
المعتزلة وحكمت برأيها التي تعبر عنه بأنه الحق عن الخطأ والزلل أن يكتب
الديانة التي كتبت محكوما عليها الى ذلك الوقت بانها منكورة ولا تقرها الكنيسة
تكون من الآن فصاعدا معتبرة معمولا بها كسائر كتب العهد القديم والجديد
المعتبرة دستور العمل في زمن بني اسرائيل واولئ النصرانية وأن الروايات
المحفوفة في الكنيسة الماثورة من عصر الخواريين تكون ايضا معتبرة محترمة
كنا كيف المصنفين من القديسين وأن الكتاب المسيحي وولفاته وهو
ترجمة الكتب المقدسة باللغة اللاتينية للقديس جبروم يجرى عليه العمل
في سائر الكنائس والمدارس ويكون الاعتماد عليه والرجوع اليه وأنه صحيح
الترجمة محرر العبارة ودعوا باللغة على من يناقض في صحتها حكموا بعصته فلما
رأى المعتزلة أن هذا الحكم يضر بدينهم علموا ما استحکم عليهم به تلك المشورة
حين ترى لذلك فرصة وتمتحن عقائدهم تفصيلا

وكما اسرعت تلك المشورة في الحكم بخطأ عقائد المعتزلة اسرع البابا باعقاب من
كان يعتقد هاو يعمل بها وذلك أن رهبان كولوينا رفعوا مذكوراهم
في مطرانهم الى ديوان رومة فاتخذ البابا ذلك وسيلة في اظهار بطشه وصولته
ليرى قسوس ألمانيا أن مقاومة الكنيسة الرومانية انما هي غرور ومخاطرة فلما
مضت المدة المعلومة ولم يحضر المطران ولا من ينوب عنه حكم عليه بأنه من
المعتزلة الخوارج وصدر منه فرمان بكفر هذا المطران وحرمانه من نعم الكنيسة
وعزله عن مناصبه القسيسية ومعاقبة رعاياه مما يجب له عليهم من الازعان
والطاعة من حيث كونه حاكمهم السياسي وكان هذا فرمانا مبنيا على أن
المطران المذكور قد استحق هذا الحكم لكونه تصدى لمعاملة دين لوثير

١٦ من شهر نيسان

(سنة ١٥٤٣)

والاستصاره ومع ما كان يذله البابا من الجهد في المدافعة عن حقوق الكنيسة
واذلال من تجاسر على هتك حرماتهم يعتقد المعتزلة أنه قد تجاسر من تلقاء نفسه
على فعله ذلك بهذا المجران الذي هو ملك عدة دول ومعدود من منتضي
الايمبراطورية بل جرموا بأنه معقول في ذلك على ذي شوكة قوية حتى تجاسر
ونفذوا امره في هذا المعنى وغضبوا كل الغضب من هذا الفرمان وروا أنه
دليل على خبث طوية البابا والايمبراطور في حق حريمهم وجماعتهم
وقد ازدادت حبيتهم بمناظرهم من أن الایمبراطور كان يسلمهم
سبل الهادعة والمداهنة وقد رأى الایمبراطور أيضاً أنه يلزم كشف الخبايا واطهار
مقاصده ولما لم يكن مستعداً حتى الاستعداد بما يلزم لتخفيف اغراضه صار يحاوي
ويخادع حتى اتسع معه الوقت واخذ ايجته وكان البابا يحكمه على منتخب
كولونيا وبالأوامر الصادرة من المشورة القيسية قد غير احوال المصالح
حتى كان لابد من وقوع التفاهم والشقاق بين المعتزلة والایمبراطور فبناء على ذلك
لم يبق للایمبراطور الا أن يفعل احداً من اما أن يناقض الكنيسة الرومانية
في الاحكام الصادرة عنها او يقوم بتخفيفها وتأيد دين القائل ببقية على دين
المعتزلة ولكن لم يكتف البابا بكون هذه الافعال قد اذمت الایمبراطور باظهار
مقاصده بل اتخذ يلج عليه باضرار المعتزلة وتدميرهم ووعد أنه يساعده بكل
واسطة تعينه على التبحر والظفر بهم فأنظر الى البابا كيف افضت به حبيته
الشديدة الى نسيان قاعدة سياسية من قواعد الكنيسة وهي منع الشوكة
الایمبراطورية عن أن تتعدى حدودها وأنه لقد صدق المعتزلة اتخذله سداً عاد
عليه وعلى سائر بلاد ايطاليا بالضرر

مطلب

بدء الایمبراطور
في اظهار عدائه
للمعتزلة

مطلب

مداولات الایمبراطور
مع البابا

مطلب

المهادنة المتعقدة
بين الایمبراطور
والسلطان سليمان

وكان الایمبراطور حينئذ لا يخشى أن تفسد عليه الدولة العثمانية مقاصده وتعرفه
عن تخييرها لان المداولات كانت لم تزل مستمرة بينه وبين هذه الدولة منذ انقعد
صلح كريسي وكانت تلك المداولات قريبة الانتهاء على احسن حال وكان ملك
فرنسا يريد انقاذ نفسه مما وعد به الایمبراطور من الانضمام معه لقتال
السلطان الذي كان حليفه من قبل وذلك أنه لما كان انضمامه الى الایمبراطور

(سنة ١٥٤٦)

قتال السلطان الذي ضيكان حليفه من قبل وذلك أنه لما كان انضمامه
إلى الإمبراطور لقتال هذا السلطان مما يرى به ويحدث عرضه بذلك جهده
في إقناع الصلح بين السلطان والإمبراطور فرضى السلطان بمهادنة خمس سنوات
ورعاية سلاطير فرنسيس لاسيما وكان الأهم له إذ التحويل فواء إلى محاربة العجم
لأنهم كانوا يحاولون المهجوم على دوله وكان البندا لاصلى في محارطة هذه
الهدنة هو أن كلامن الفريقين يبقى مستويا على ما هو تحت يده من بلاد البحار
والتزم فرد ينهد أن يدفع للسلطان كل سنة خمسين ألف أيكو على
سبيل الجزية

مطلب
استقالة الإمبراطور
للأمير موريس وعقبه
من أعيان أمراء ألمانيا

ولكن كان الإمبراطور يعتمد كل الاعتماد على الامداد الذي كان يرجوه من بلاد
ألمانيا لأنه كان يعلم أن الجمعية الجرمانية لكبرها واتساع بلادها تعذر عليه
تقهرها وقهرها إذا اتحدت والتأمت مع بعضها فلا يمكنه أن يدخلها تحت الطاعة
إلا إذا وقع الشقاق بين أهلها وسلط بعضهم على بعض ولو فور خطه كانت الروابط
حينئذ بين أعضاء هذه الجمعية ضعيفة وأهية فكانت اجزائها تحاول الانفصال
عن بعضها حتى كان من المستحيل أن تنضم إلى بعضها البعض فيخرض مهم
أو مشروع جسيم لتراكم اسباب التناقم والشقاق وتكاثرها بينهم وذلك
أن القائلين بالرومانين لما رأوا أن اعلام دينهم قد تنكست في عدة أقاليم
ورأوا أنه صار قريب الزوال في عدة أقاليم أخرى قامت بهم حجة عجيبة حتى
ظهر عليهم أنهم مستعدون لأن يذلو أجهدهم في إعادة من هم بتدمير العقيدة
ويسعى في محو دينهم وكان قد اشتد الغضب بالأمير خنادور براندبورغ
والأمير ألبرت دوراندبورغ وغيرهما من أمراء ألمانيا لما صنع أهل
عصبة سمالكاد مع الأمير دوق دورونسويك فكانوا جميعا ينتظرون
مع القلق التام فرصة تعينهم على إخراجهم من السجن والانتقام له من أعدائه
وكان الإمبراطور شرلكان يزداد فرحا كلما ازداد أعداؤه قلما رأى أنهم
صاروا مستعدين لقبول ما يعرضه عليهم ظن أن الاوفى به تسكين غضبهم وإخاد
غيران حبيبتهم لأضرارها

(سنة ١٥٤٢)

مطلب
انتقاد مشورة الديانة
بمدينة وانسبونة

فهكذا كانت حالة المصالح واحتراس الاميراطور من جميع الحوادث
حين اقتضت مشورة الديانة بمدينة رانسبونة وقد حضر في هذه المشورة
اغلب اعضاءها من القنولية باقتضام ولما ارباب عصبة سبالكايد فارس
عدة منهم اليها اتوا باقتضالين بأنه لا يمكنهم تحمل المعاريف في هذه المشاور التي
لا فائدة فيها ولكن السبب الحقيقي الذي منعهم عن الحضور بها انما هو اربابهم
من الاميراطور وخوفهم من أن يحصل لهم فيها الزام واكراه على اقرار
ما يعرض على ارباب المشورة ومع ذلك فقد اقتضت الاميراطور المشورة في
بخطبة ملك فيها مسلك الخداع والتحيل والمكر وذلك أنه اتى فيها بالقصائد بجملة
مبهمة توهم رغبته في تحصيل سعادة الجمعية الجرمانية وأنه لغرض نشر الاثر
والاطمئنان بالاثار المصالح التي تخص نفسه وإلى أن يقبل قول رجاءه من
الاسبانيول وغيرهم في إلحاحهم عليه بالاقامة عندهم والمكث في بلادهم
ثم قال مع الحساسة والغضب انه قد تختلف جماعة من اعضاء المشورة عن الحضور
بها مع حسن نيتي وطيب سريري وقد حضرت فيها بنفسي وتركتم مصالحي
الخصوصية ثم تكلم في شأن المصائب الحال بالاناس بسبب ما وقع بينهم في الدين
من التزعزع والشقاق وتشكى من كون ما بذله من الجهد في تسكين هذه الفتنة
قد ذهب سدى وصار عديم الجدوى وتشكى ايضا من خروج المعتزلة مغضبين
من المذاكرة الاخيرة وختم الخطبة بطلبه من ارباب المشورة أن يتسلطوا
ويسدوا آراءهم بما يكون به ازالة هذا التزعزع الواقع في الدين ببلاد ألمانيا
وما يكون به ايقاع الالفة والاتفاق بين عقول الالمان في العقائد والاصول
الدينية حتى تصير العقيدة عند الجميع واحدة ويكونوا على سنن آباؤهم
واسلافهم حيث كانوا يرون أن هذا الاتحاد يعود بالنفع على مصالحهم
السياسية حسبا يقتضيه دين النصرانية الذي كانوا يتدينون به ويعملون
بمقتضاه

فهذه الطريقة الخداعية التي ملكها الاميراطور في طلب آراء ارباب المشورة
غرضها عن أن يلزمهم برأيه ترى من حاله أنه على غاية من التواضع في قول ذلك

(سنة ١٥٤٦)

أن يعر به عفا في صغيره مظهره أنه لا يثبت لنفسه حقا سوى كونه ينجز ما يحكم به
أرباب تلك المشورة لكنه لم يظهر الأذعان لما تنص على آراؤهم الإلزامه بأنها
تلايم أغراضه ومقاصده اتم الملاحة فاجابوا بالقانونية لجنيتهم على دينهم
أو كما به دونه فيه من الاعانة لجزهم بأن المشورة القيسية المتعقدة في رتبة
ستحل كل أشكال من المسائل الخلافية وأن كل نصير افي يجب عليه أن يذعن اليها
فيتمتلي لا و امر هام من جهة كونها احكاما دينية منزهة عن الخطأ والزلل
ثم ترجوا الإمبراطور أن يستعمل ما أنعم الله به عليه من الصولة وعظيم السطوة
في حاية هذه المشورة وجل المعيزة على الأذعان لما يحكم به هذا وقد قدم المعيزة
تقرير اذكروا فيه مناقضتهم في شأن مشورة رتبة ثم ذكروا أنه لا سبيل
الى انهاء المنازعات والمجادلات الا انوا انفقوا في ألمانيا مشورة قيسية
باولية وحضرها مقدار معلوم من قسوس الفریقين ليعضوا في المسائل
الخلافية ويحكموا فيها كما يرون ثم ذكروا أن عدة من مشاور الدينة
قد ساعدتهم في هذه الامور حين عرضوها عليها حتى اقلوا أن المنازعات
سيكون انماؤها على احسن حال وناشدوا الإمبراطور ان لا يخلف وعده لانه
بتضييقه وتشديده في الامور الدينية وجل الناس على اعتقاد ما لا يقبله عقولهم
يوقع بلاد ألمانيا في مضائب وشدائد مجر د تصور هاشم بالقرع والارباع
قلبه كل من احب الوطن حبا صادقا فتلقى الإمبراطور هذا التقرير وهو تبسم
كالمتبرئ ولم يعأ به ايد الا انه كان قد صمم على ما اخره منذ زمن طويل فلما رأى
أنه لا يمكنه فتح المعيزة بالاباقوة والجبر بعث كردينال رتبة الى رومة
ليعقد مع البابا معاهدة كانت شروطها معلومة قبل عقد ها و امر في ملكة
البلاد الواطية بجميع طائفة من العساكر لتوجه الى ألمانيا و امر عدة ضباط
بجمع عساكر من بعض اقاليم الإمبراطورية ثم اخبر الامير حناد و براندبورغ
والامير ألبرت و براندبورغ بأنه قد آن وان المساعدة وأن هذا الوقت
ينبغيهما على خلاص حليفهما الامير هنري دوبرونسويك
ولم تقف هذه الامور على المعيزة لأن من اودعوا هذا السر كانوا كثيرين كثرة

١٩ من شهر حزيران

مطلب
فزع المعيزة

بالغة ومع أن الإمبراطور كان لم يزل يتصّل في إخفاء مقاصده كان ضباطه لا يسلكون في ذلك حيل الإحتراس أصلا بل كانوا يتصدّون بتلك المقاصد أمام حلفائه ورعاياه فلقوا رسل المعتزلة فتوع كبر من التجهيزات الحربية التي كانت نصب أعينهم والتحقوا من الإمبراطور أن يأذن لهم في الدخول عنده وسألوه على لسان ساداتهم عن العساكر التي جمعها هل هي بأوامره ومقاصده بجمعها ولا شيء عدواً عنها ومثل هذا السؤال الصريح في وقت لا يمكن فيه إنكار الواقع كان يستلزم جواباً صريحاً لئلا يأتوا عن الأبهام والمحاولة ثم اعترف الإمبراطور بأن جمع العساكر إنما هو بأمره ولكن ليس قصده بذلك إضرار أحد في شأن الدين من أحسن السلوك ولم يخرج عن طاعة ملكه وأخذ أنه يريد تعضيد الحقوق والمزايا الإمبراطورية بعقوبات بعض أمراء من أرباب الفتن والدسائس الذين تبيع سلوكهم يفتنى منهم تقض ترتيب الإمبراطورية وإفساد قوانينها القديمة فهذا الجواب المبهم لم يرضع الإمبراطور عن ريدان لا لهم ومع ذلك ظهر من حاله أنه يريد بذلك كلاً من منقلب سكس وحاكم هيسو حتى إن رسلهما رأوا أن كلامه هذا ليس إلا طلباً للحرب وسافروا حالاً من مدينة راتسبون.

مطلب

لمشارطة المنعقدة

بين الإمبراطور والبابا
٢٠ من شهر تاموز

وأما كريدنال وترتة الذي أرسله الإمبراطور لتعقد المعاهدة مع البابا فلم يجد صعوبة فيما كان مبعوثاً يصدده وذلك أن البابا كان مسروراً بعزم ردة الإمبراطور لأغراضه ومقاصده فرفع عن طيب نفس بجميع ما عرض عليه من طرفه حتى تم أمر المعاهدة بعد دخول الكريدنال في رومة بأيام قليلة وكان موجب هذه المعاهدة خطراً الاعتزال الواقع ببلاد ألمانيا وعند المعتزلة وابتناعهم عن إقرار المشورة القيسية المنعقدة في ترتة وضرورة إبقاء الكنيسة على احترامها وعزتها ونصوا في المشارطة على أنه لا جمل منع ازدياد المصيبة وعقاب من سعى في نشرها يلزم أن الإمبراطور يبرز إلى ميدان الحرب بجيش يكفي في قمع من أبى إقرار المشورة القيسية وعدل عن دين آبائهم وأسلافهم والزامه بالدخول تحت طاعة الكنيسة الرومانية حيث

(سنة ١٥٤٦)

انه مكنت زشناطويلا وهو سلك طريق الرفق ولين الجانب ولم يجد ذلك فضا
والترزم الايمبراطور ايضا بأنه لا يعقد مع المعتزلة هدنة بسنة اشهر الا بعد رضاء
البابا بذلك وبعد أن يعين له قسم من البلاد التي يأخذها منهم في الحرب بل وبعد
انقضاء مدة تلك الهدنة لا يقع بينه وبينهم اتفاق يضرب بمصالح الكنيسة
او يبدئها والترزم البابا بأنه يضع في بانكة بجهورية البنادقة مبلغا من الدراهم
يكفي مجاري الحرب وأن يقوم بمصاريف اثني عشر الف رجل من المشاة
وسمحاته من الفيلة مدة ستة الاشهر المذكورة وأن يعطى للإمبراطور نصف
أرصاد سنة مما يحصل من إيرادات اسبانيا المعلقة للوظائف القيسية
وأن يرخص له بموجب فرمان يصدر اليه من عنده أن يتصرف من اراضي
أوقاف الكنيسة التي يبلاد اسبانيا فيما يبلغ ايراده خمسمائة الف أيكو
والترزم له ايضا بأن يحكم بالنفي والطرده والحرام وسائر عقوبات الكنيسة
على كل من تصدى لنقض اجراء هذه المشاركة من الامراء بل ولا يقتصر على
ذلك بل يشهر معهم الحرب والقتال

مطلب
الحيل والمخادعات التي
سلكها الايمبراطور
فانيا ليعنى مقاصده
عن المعتزلة

ومع أن التعلل في الحرب كان مبنيا على ازالة الابتداع ومحجودين للمعتزلة اراد
الايمبراطور أن يثبت عند اهل ألمانيا أنه لا يضيق عليهم ابداف دينهم
وعقائدهم وأنه لا يقصد الاعتقاب بعض العصاة من ارباب الجبر والقساوة الذين
لا يمتثلون او امره حتى الامتثال فكتب الى اغلب الامراء والمدثرين اخذة اثني
كانت على دين المعتزلة مكاتب مطابقة لما جاب به رسل المعتزلة في مدينة
راتسبون حيث يذكر فيها انه لم يستعد العرب لاجل غرض ديني بل لمنع اثني
الداخلية وأنه لا يأخذ الطائفتين رعاياه بذنوب العاصي الذي لعتقوه بغيره نسي
ما يجب عليه من الطاعة (ليس الجمعية الجبرمانية (يعني نفسه) ولا يعني
أن ذلك منه حيلة ظاهرة يعرفها من تأمل في سلوك الايمبراطور وامع انتظار
في احواله ومع ذلك فقد ظن أنها لا تلبث منه وسلك فيها مسلك المكر والتدبير
حتى يدرك بها ما كان يؤوله من القوائد الجسيمة اذ لو اظهر مرة واحدة
أنه مصمم على ازالة دين المعتزلة وادخال بلاد ألمانيا كلها تحت حكمه الكنيسة

(سنة ١٥٤٦)

الرومانية كما كانت سابقا التعصب عليه جميع الامراء وسائر ملوك اثنى التي
كانت تتمسك بالدين الجديد ولا تجاسر احد منهم على اعاقته في مثل هذا المشروع
لكنه بانكاره لمقاصده واخفائه لا غرضه منع وقوع التعصب بين دول المعتزلة
ولو تعصبت تلك الدول وانضمت الى بعضها ظهرت عليه وظفرت به ومن جهة
اخرى جعل للثاقين من حزب المعتزلة حجة تتسكون بها في الاهمال والتراخي
وجعل لارباب الطمع منهم اسبابا يتحلقون بها في الانضمام الى حزبه من غير
أن يجلب لهم ذلك المعزة والخزى بارتدادهم عن دينهم ورفض عقائدهم
او بانضمامهم الى اعداء دينهم واعانتهم على نسخه وابطاله وكان الايمبراطور
يرى أنه متى امكنه باعانة المعتزلة له خفض شوكة كل من متخفب سكس
وحاكم هيسة مما رزح المعتزلة في قبضته يتصرف فيه كيف يشاء حين
يقع بين اهل بعد ذلك الشقاق واختلاف الكلمة وتخط شوكتهم فيندمون
حيث لا ينقش التدم على كونهم وقوا يقول الايمبراطور وتخلي بعضهم
عن بعض

مطلب
كشف البابا لاسراز
الايمبراطور

ولكن البابا عجل بكشف هذا السر وافشائه اظهارا لحيته على الكنيسة
وغيرة على دينها فافسد على الايمبراطور ما كان بذره مع غاية
الاحتراس والحذر وذلك أنه لما رأى فحاج مساعيه داخله الكبر والعجب وفرح
فرحا عظيما حيث توهم أن العصبة التي عقد هامة الايمبراطور سيترتب عليها
محق دين المعتزلة وازالة بالكلية فثبت له الفخار بازالة البدع والضلالات مدة
حكمه على الكنيسة فشر بنود المشاركة المنعقدة بينه وبين الايمبراطور
ليظهر بها محسن قصدهما وحيد اغراضهما في شأن الدين ويظهر بها ايضا
ما التزم به فيما من الامور الجسيمة لحفظ دين الكنيسة من اهل الزيف والضلال
واشاع بعد ذلك بقليل فرمانا يتضمن الغفران لكل من تصدى لهذا المشروع
الذي وصفه بالقدس المحترم حيث انه من باب تأدية فرض التبي عن المنكر
وحرص فيه جميع من كان من ابناء النصرانية لا يمكنه الاعانة في هذا المشروع
على أن يتضرع الى الله سبحانه وتعالى ويدعوه باخلاص أن ينصر حزبه

• (المقالة الثامنة) •

• (تاريخ الإمبراطور شرلكان) •

(سنة ١٥٤٦)

القانونية ولكن لم يكن الحامل له على اظهار خلاف ما كان يتعل به الامبراطور في تجهيزاته الحربية بمجزد حيته الدينية وغيره على دين الكنيسة الرومانية بل دعاه الى ذلك ايضا ما كان قائما به من الامبراطور من الغيظ والريية في اخفاء مقاصده وتكمين اغراضه حتى كأنه في خجل من قيامه بنصر الكنيسة وتأيد دينها وفي كونه يجاهد العدو بالسلطة السياسية مع أنه لاشئ اشرف من الافتخار باظهار الجهاد لاجل الدين والقيام بتعصيده فكان كلما حاول الامبراطور ابتغاء القرض الحقيقي من المعاهدة يبادر البابا باقتضائه فاصدا بذلك ايقاع الشقاق والبغضاء بينه وبين المعتزلة حتى لا يمكنه التخلي عن حرب الكنيسة الملاح له في الصلح مع المعتزلة فرصة تعود عليه بالمنفعة

ثم ان الامبراطور مع غيظه من البلايا حيث جعله عدم بصره في العواقب او مكره وخبط طوبته على اخشائه لم تقهره في تتبع مقاصده والسعي في تمييز مرامه بل مازال يلقى في قلوب المعتزلة وينبت عندهم أن مقاصده هي عين ما يخبرهم به وليس له غرض سوى ذلك حتى ان بعض دول المعتزلة لاعتراضهم بكلامه رأوا أنه يسوغ لهم امداده واعااته

واما معظمهم فلم يفتري هذه الحيلة بل لم يزل ارباب السياسة والحزم منهم جازمين بأن الامبراطور ليس قصده من التجهيزات الحربية الا اذلال حربهم به وانهم لو قدرا على تمييز مقاصده كما همس في نفسه لحق دين المعتزلة ومحاميه اخرية من بلاد ألمانيا فلذا تأهبوا للمدافعة عن أنفسهم حتى لا يجردوا عن طريق الحق الذي يقولون ان اهتمامهم اليه انما هو بتوفيق الله وارشاده لهم على وجه عيب ولا يتساهلوا في الحقوق والغازيا التي توارثوها عن آباءهم واسلافهم ولما توجه رسل المعتزلة بعد سفرهم من مدينة راتسبونن مغضبين الى مدينة هولم ليدبروا امرهم انقضت المذاكرة بهذه المدينة مع غاية الهمة وكان لاعتناء والالتزام حسبا يستدعيه ما كانوا يتوقعونه من شدة الخطر وكان مقصد ما يخص كل انسان من المتعاهدين من القوى والعساكر مينا في المشاورة فهدرت أوامر بأن كل امير يخرج فوراً الى الحرب من يخصه من عساكر

مطلب
تجهيزات المعتزلة
للمدافعة عن انفسهم

(سنة ١٥٤٦)

ورأى المتعاهدون أن وثوق بعضهم بقول الإمبراطور وعدم تبصر البعض الآخر في الحوالب قدمنا ههنا طويلا عن المعاهدة مع الدول الأجنبية ليستعينوا بها عند الضرورة وبادروا بطلب الاعانة من اهل البنادقة واهل السويصة

مطلبـــــــــــــــــ

استعانة المعتزلة

باهل البنادقة

فاخبروا اهل البنادقة أن الإمبراطور قد عزم على قرض قوانين بلاد ألمانيا وأن يجعل شوكه فيها قوية مطقة التصرف باعانة البابا وهذا المشروع يضر بحرية إيطاليا لان الإمبراطور متى صار مطلق التصرف في إحدى هاتين الدولتين (ألمانيا وإيطاليا) يصير بالضرورة مطلق التصرف في الأخرى ولكن لما لم ير المعتزلة اعانة من اهل البنادقة ترجوهم أن لا يأذنوا بالمرور من بلادهم لعساكر البابا الذين هم أعداؤهم كغيرهم حيث انهم باذلالهم لبلاد ألمانيا يخشون منهم على سائر بلاد أوروبا وكانت هذه المحطات لا تخفى على اهل البنادقة لخذقهم وبناتهم فبدلوا جهدهم في منع البابا عن المعاهدة مع الإمبراطور الذي لا ينكر طمعه لان معاهدته معه تزيد طمعا كما تزيد شوكة وصوله الا أن البابا كان مصمما كل التصميم على تعيين مقاصده فلم يلتفت إلى قولهم * ومع معانيتهم للخطر تعرضوا له ولم يحتسبوا بما يـــــــــــــــــكونون به في أمن منه بل أجابوا ارباب عصبة سمالكالاد بأنه لا يمكنهم منع عساكر البابا عن المرور من بلادهم الا اذا جعوا جيشا كبيرا يكفي في سد الطرق عليهم ولكن مثل هذا الفعل يغضب الإمبراطور والبابا معا ويصيرون به عرضة لحقد هما وبطشهما ولهذا السبب ايضا امتنعوا من اعطاء منتخب سكس وحاكم هيسة مبلغا من الدراهم للاستعانة به على الحرب

مطلبـــــــــــــــــ

استعانة المعتزلة

باهل السويصة

واما اهل السويصة فلم يقتصر للمعتزلة على التضرع اليهم في سدد طرق ألمانيا على العساكر الأجنبية بل كانوا يؤملون من هذه الملة التي كانت اقرب اليهم بمساعدتها وهذا كانت متعاهدة مع الإمبراطورية أن تبذل غاية جهدها في المدافعة عن حرية بلاد ألمانيا وأن لا تعمل ادنى ظلم او اقساف في حق الملة الألمانية وكانت الاقطار المعتزلة من بلاد السويصة مستعدة للانضمام

(سنة ٢٥٤٦)

الى اهل عصبه سمالكالذ الاثر باب الجمعية السويصة كان بينهم تفاهم
وشقاق عظيم في شأن الدين حتى ان المعتزلة منهم كانوا لا يتجاسرون على
فعل شيء الا اذا شاوروا اهل الاخطاط القانوليقية هذا وكان البابا والامبراطور
قد بعثا رسلا الى اهل السويصة لم يرالوا بطون عليهم حتى وعدوا بانهم
في هذا الحرب يكونون بمعزل عن الفريقين ولا ينضمون الى احد
من الحزبين

مطلبه
استعانة المعتزلة
بالمملك فرئيس الاول
والملك هنري ثامن

فلما كانت آمال المعتزلة من هاتين الجهتين بادروا الى الاستعانة بمملك فرانسا
وملك انكلترة وكان منتخب سكس كما سبق لا يرضى بالمعاهدة مع هذين
الملكين ولكن لما الح عليه المعتزلة وصارت الاخطار نصب عينيه تساهل عن
تشديده الاول في شأن المعاهدة معهما وكانت مقتضيات الاحوال انذاك
تسوغ للمعتزلة أن يطمعوا في نيل مرأهم من هذين الملكين وذلك أن الحرب
كان قد مكث مدة بين الانكليز والفرنساوية بعدم مشاركة الصلح المنعقدة
بمدينة كريسبي حتى ستمت منه نفوس الفريقين وروا أنه حال عن الفائدة
والفخار فاتفقوا هذه المشاجرة بمشارطة صلح انعقدت بينهم في قرية كامية
قريبا من مدينة أردروس ولحق فرئيس مالا منريد عليه من التعب
والمشقة في ادخال اهل ايقوسيا في تلك المشارطة وكانوا حلفاء وقتئذ حتى
انه لهذا الغرض تساهل في امور كثيرة والتزم أن يدفع الى هنري مبلغا
جسيما كان يتبعه عليه من جهات عديدة بل رهن ملك فرانسا عنده اقليم
بولونيا حتى يؤدي هذا المبلغ ومع أن الصلح كان قد انعقد بين هذين الملكين وصار
يمكنهما التصدي لمصالح ألمانيا لم يحصل المعتزلة منهما فائدة وذلك أن هنري
كان لا يرضى بالمعاهدة معهم الا على شروط مقتضاها تكون له الرياسة على
عصبتهم بحيث يتصرف فيها كيف شاء وكانت نفوس المعتزلة تأبى ذلك ولا تطيقه
لان عقائد الدينية كانت مباينة جدا لعقائد معتزلة ألمانيا فلم تأت لإلتئام
والاتحاد بينه وبينهم واما فرئيس فكانت له مآرب سياسية كلن مستعذا
بها لاعانة المعتزلة اكثر من هنري وكان يرى أن قوى ملكته قد ضعفت بسبب

الحروب الطويلة التي حصلت بينه وبين أعدائه فلم يقبأس على اعانتهم لاسباب
وكان يفتشى غضب الياپا بانضمامه الى حزب قد حسم بكفره فانظر الى هذا
الملك حيث افضت به هذه الاسباب الواهية الدينية الى ضياع فرصة عظيمة
لم يسبق له نظير هامة حكمه انما كان يمكنه أن يوقع خهجه الياپا في
في الورطة والارنبال وبقعه ويجزعه كؤس المذلة والهوان ولو بدت له هذه
الفرصة قبل ذلك مع وجود الاسباب المذكورة لاتهنزها مع الهمة وبادر بما يختار
ثم ارجعها الى

مطلب
تجهيز المعتزلة بلش
كبير بزواجه الى
ميدان الحرب

ولكن مع عدم نجاح المعتزلة في مدا ولاتهم مع الملل الاجنبية جمعوا مع السهولة
حيثما يمكن في الحرب مع عدوهم وذلك أن ألمانيا كانت اذذاك عامرة
جده وكانت القوافل الالتزامية فيها باقية على اصلها من النفوذ والعمل بها فكان
يمكن للاشراف والاعيان أن يجمعوا اتباعهم الكثيرين ويسوقوهم الى الحرب
مضى شأوا وكذلك توقع الالمانيين بالحرب لم يزل فيهم حيث لم يكن دخل عندهم
يومئذ تجارات ولا قنون بل كانوا قد ازدادوا مهارة واستعدادا بسبب
الحروب المستمرة التي مكثوا فيها نصف قرن على طرف الياپا طرة او على ملوك
فرانسا فبجرت أن اقتضى الحال حل السلاح سعوا الى الحرب من كل جهة
وكما وقع بصرهم على راية حريسة انوا اليها اغواجا وكان ثم ما يقوى حجتهم
الطبيعية وهو غيرتهم على الدين وذلك ان اصول دين المعتزلة كانت قد تمكنت
من قلوبهم كتمكن الحق من يقين الحق وامتزجت بارواحهم حتى استعدوا للتأييد
هذا الدين والذب عنه مع العزم الملايم لهذه الحجة العظيمة التي كانت قائمتهم
وزيادة على ذلك كان هؤلاء الابطال الحرييون يرون أن اظهار انجول في هذا
الوقت يعود عليهم بالمعرة والفضيحة وكانت المدافعة عن الدين تدعوهم الى حمل
السلاح وقد حصلت حادثة اعانت على جمع العساكر وتجنيدهم وهي أن ملك
فرانسا لما كان قد اشرف على عقد الصلح مع ملك انكلترة طرد من عساكره
عددا عظيما من الالمانيين الذين كان قد استأجرهم العرب فانضموا الى بعضهم
وصاروا طائفة واحدة كبيرة ودخلوا تحت اعلام المعتزلة فلهذه الاسباب امكن

(سنة ١٥٤٦)

لامراء عصبية سجال كالد أن يجمعوا في ظرف اسابيع قليلة جيشا جارا
مشقلا على سبعين الف من المشاة وخمسة عشر الف من الخيالة ومائة وعشرين
من المدافع وثماني مائة عربة موسوقة بالمهات والذخائر الحربية وثمانية آلاف
من مدواب الاحال وستة آلاف من القنازم جية ومع أن هذا الجيش كان من
أكبر الجيوش التي جمعت ببلاد أوروبا في ذلك العصر لم يشترك في جمعه
كل المعزلة وإنما جمعه منتخب سكر وحاكم هيسة والامير دوق دوتامبرغ
وامير أنمالتير ومدينة اوكسبورغ ومدينة هلم ومدينة شترسبورغ
ولما منتخب كولونيا ومنتخب براندبورغ وحاكم اقليم بولاطينه
فلحقوهم من الاميراطور اذ عتارهم برزخرف قوله لم يكن لهم دخل في حرب المعزلة
وكذلك الامير خنادور براندبورغ باربطه والامير ألبريقدور براندبورغ
انسباخ فانهما وان كانا على دين لوتير من هبدا ظهوره الا أنهما
انضمرا إلى حرب الاميراطور متعاليين بأنهما قد وعداه بعدم المدافعة عن الدين
المديد وتأسى بهما في ذلك الامير موريس دوسكس
فلما رأى الاميراطور عظم جيش المعزلة واسراهم في جمعه تحير في امره حيرة
كبيرة حيث لم يكن مقتدر على مقاومة مثل هذا الجيش الجزار وكان اذئذ لهم
بمدينة رانسبون و لم تكن تلك المدينة حصينة وكان أغلب أهلها معزلة
فكان عرضة للغدرب ولم يكن معه الا ثلاثة آلاف من العساكر الاسبانية
المشاة كان قد احضرهم من نفور بلاد الجار وكان معه ايضا خمسة آلاف
من الالمانيين احضرهم من عدة اقليم من الاميراطورية الالمانية فدخله
الرب والفرح حين بلغه أن الاعداء صاروا على قرب منه وكانت عساكره قليلة
واما العساكر الذين ارسلهم البابا لاعتاقه فكانوا لم يدخلوا وقتئذ ارض ألمانيا
كما أن العساكر التي طلبها من مملكة البلاد الواطية لم يكن تم جمعها
وكانت حالته اذئذ تستدعي سرعة الاعانة ولا تسوق له الاعتماد على العساكر
الآتية اليه من طرف البابا ولا من مملكة البلاد الواطية لان وصولها اليه
يكون غير محقق

مطلب
كون الاميراطور
لم يكن عنده
من العساكر من يكفي
في مقاومة المعزلة

(سنة ١٥٤٦)

مطلب

اشتغال المعتزلة

بالمداولة عوضا

عن الحرب

ولكن لو فور حظ الايمبراطور لم يعرف المعتزلة أن يدبروا امرهم ويجنوا
ثمار هذه القرص العديدة وذلك أن الناس في الحروب المدعية لآفة أن يدوا
امرهم بالتردد في الإقدام والانسحاب ويقوم بانفسهم أولا الرعب والهيبه
فيظهرون العدالة لاستمالة النفوس وتكثير سواد احزابهم باظهار
الاحترام للرسوم الجارية والقوانين المقررة ولا يتجاسرون من اقول وهيله
على هناك حرمة القوانين والرسوم القديمة التي كانت تحترم اذذاك كل الإحترام
في ازمان الصلح الخالية عن الفتن والتعكريرات فلما تجهد المشروعات
المستدعية للعزم والسرعة في الغالب ضعيفة ذات تراخ وبطء وحيث ان هذه
المطولات لها وقع عظيم في القلوب الزومها راحة الرعايا وطمئنان الدول
الزمت المعتزلة أن لا ينسوا ما يجب عليهم من الطاعة للايمبراطور من حيث كونه
رئيس ايمبراطوريتهم وافهمتهم انهم بعصيانهم والقيام عليه قبل أن يطلبوا منه
العدل والانصاف في شأن ما يتطلعون منه ويستشهدوا عليه الله الالمانية بتامها
يكونون قد تجاوزوا الحدود وهتكوا حرمة القوانين فخرروا للايمبراطور
تقريرا ولاهالي ألمانيا تقريرا آخر نشره في سائر البلاد الالمانية وكان
مضمون التقريرين واحدا وذلك أنهم رهنوا فيهما على امانتهم للايمبراطور
وقيامهم بحقوقه فيما يخص السياسة وذكروا أنهم باقون معه على الاتحاد
والالتماس واعترفوا له بمراميه وحسن معاملته لهم وذكروا أن الدين هو السبب
في الحرب الذي صمم الايمبراطور على فعله معهم وما ذكره من البراهين كان قويا
بحيث يؤثر كل التأثير في العقول الضعيفة حتى لا تغتر بجيش الايمبراطور
ومداونتهم وانها تقريرهم بأنهم قد صمموا على إقتسام الاحوال والاختيار
لتأسيدهم الجديد وأنه بما جرت ذلك الى دمار الجمعية الجرمانية ان غلب
الايمبراطور مصلحته على عصبة المعتزلة

١٥ من شهر تاموز

مطلب

حكم الايمبراطور

بالنفي على رئيسي

عصبة المعتزلة

ومع أنه كان ينبغي للايمبراطور أن يتساهل في مثل هذه الاخطار دقق كل
التدقيق وسلط في هذا المعنى مسلط التشديد حتى كأنه في هذه المرة له اقتدار
على فتح المعتزلة والزامهم بما شاء فكان جوابه لهم عن التقرير الذي قدموه اليه

• (المقالة الثامنة) •
(تاريخ الإمبراطور شرومان)

(سنة ١٥٤٦)

وعن التقرير الذي نشره في بلاد ألمانيا أن أمر بنى كل من الأمير منتخب
سكس والإمبراطور حكم هيسة اللذين هما رئيسا عصبة المعتزلة وحصد
منه امر آخر بنى كل من تجاسر على إعاقةهما وامتدادهما بشئ وهذا الحكم
كل أصعب شئ تقدر في قوانين ألمانيا لعقاب الخائنين الذين يغدرون بالوطن
وكانت صورة الحكم عليهما في الفرمان الصادر من الإمبراطور هي أن هذين
الأميرين قد عصيا وبغيا ولسا كما سالك البعدوان والطغيان فجزاؤهما أن يحرما
من التجاريل والخصائص الثابتة لهما بوصف كونهما من أعضاء الإمبراطورية
وأن تضبط أموالهما وأملأ كهما وأن يرخص لعاياهما في الخروج عن طاعتها
ولن شاء في شن الغارة على أراضيها انتهت ولكن طائفة الاشراف
والمدائن الحرة التي رتب قوانين الجمعية الجرمانية اوجستها وجعلتها على
أكمل حال كانت لم تهمل في أمن بلاد ألمانيا حتى تتغافل عن الإمبراطور
إذا صيد منه مثل هذا الحكم فانه كان لا يمكن نفي احد من أعضاء الإمبراطورية
الاجموجب حكم ارباب مشورة الديتة فلم يلتفت الإمبراطور الى هذا القانون
معقدا على أنه ان ضجج في الحرب ونظر باعدائه لم تجاسر احد على مطالبة
بمخالفة هذا القانون ولم يتعلل في حكمه بالنفي على الاميرين السابقين بكونهما
خارجا عن طاعة الكنيسة واعتزلا دنيها بل تعلق باسباب سياسية عبر عنها
بالقباط عامة مبهمة ولم يبين عين الذنب الذي استحقاقه العقاب فظهر أن حكمه
بذلك محض ظلم وعدول عن الانصاف وتعبيره عن هذه الاسباب بعبارات
مبهمة يدل على أنه لم تجاسر على الافصاح عن سبب حكمه بنفيهما لأنه كان يخشى
أنه ان ابدي الاسباب التي بنى عليها هذا الحكم وبينها اثم البيان جر ذلك الى
غيرهما من امراء المعتزلة الذين كان يحسن معاملتهم لرعاية مصلحته واستمالتهم
الى الانضمام اليه والدخول في حزبه او التخلي عن الفريقين بحيث يكونون

لاله ولا عليه

غلبا ينس المعتزلة من الصلح بينهم وبين الإمبراطور بالتي هي احسن رأوا أنه لم يبق
لهم الا اختيار احد امرين اما اتيادهم للإمبراطور فيما شاء او حرهم معه بدون

(سنة ١٥٤٦)

تراخ ولا مهلة وكانوا في ههنا المرة بمكان من العزم وفرط الهمة حيث انهم بعد صدور الخبر من بني منتخب سكس وحاكم هيسة بايام قلائل بعثوا سفيرا الى المعسكر الايمراتوري يطلب الحرب والقتال وابطلوا بيعته وقضوا اليهود التي كانوا محاطين عليها الى ذلك الوقت في حق الايمراتوروا اكثروا ايمراتوريته ورياسته وقبل طلبهم للحرب كان بعض عساكرهم قد بدأ في القتال وذلك ان مدينة او كسبورغ جمعت طائفة كبيرة من العساكر وجعلت رئيسها الشهير سياستيان شرتيل وكان من الضباط ذوي الثروة والتسعة لانه كان مع جيش الايمراتور في نهب مدينة رومة فغنم من ذلك مغنا عظيما فثروته وكثرة اعتباره لتقدم عهده في مقدمة كان معدودا في درجة اعيان ألمانيا واكبر اعزافها واهمائها لما كان هذا البطل على الهمة زائد الشجاعة اراد قبل انضمامه الى جيش المعتزلة ان يفعل امر ايلام شهرته وصيته لتتحقق فيه آمال ابناء وطنه حيث اختاروه وقلدوه الرياسة فينبها كانت عساكر البابا تتقدم مع السرعة جهة بلاد تيرويل لتدخل في ألمانيا من جبال ألبو اذ سبقها شرتيل وتغلب على كل من اهرامبرغ وكوفستين وهما قلعتان حصينتان كانتا مكنين من الخلق والعقبات الكبيرة من جبال ألبو ثم توجه سريعا الى قلعة أنسبروك ولوقلب عليها لا يمكنه ان يستد الطريق على جيش البابا لانه اذا كان فيها عدة من المحاطين ولوقلبه امكنهم ان يقاوموا كل جيش ولوبلغ في الكثرة ما بلغ الآن كستيلانو حكم دار ترنة لما رأى أنه اذا سدت الطرق والسبل على العساكر الاتمية لا عانة الايمراتور خابت آماله وضاعت مساعيه سدى جمع مع السرعة طائفة صغيرة ودخل القلعة المذكورة ومع ذلك لم يرجع شرتيل عن مشروعه فينبها هو يستعد لشن الفارة على هذه القلعة اذ بلغه أن عساكر البابا قد قربوا منها وجاءته باوامره من منتخب سكس وحاكم هيسة بالحضور فاضطر الى العدول عن هذا المشروع فصارت المسالك برجوعه مفتوحة للمسالك فدخلت عساكر البسايا بلاد ألمانيا من غير أن تجد عائقا سوى المحاطين الذين كانوا امامهم.

مطلب
مبدء حرب المعتزلة

(سنة ١٥٤٦)

شرتيل في قلعة اهرامبرغ وقلعة كوفستين ولكن لما يسوا بدروا بالتسليم واستولى العدو على القلعتين

مطلب
عدم ادارة الرؤساء

وقد اخطأ المعتزلة في دعاء شرتيل كما اخطأوا في جعل رئاسة الجيش لمنتخب سكس وحاكم هيسة فعما قليل ادركوا أن اشراكهما في تلك الرئاسة مضر جدا وذلك أن منتخب سكس وإن كان يندل بمهبطه في جانب المصلحة العامة إلا أنه كان ذابطا لدى المذاكرت وتردد في المشروعات ويؤثر الاحتراس والتأني على التجاسر والاقدام واما حاكم هيسة فكان اكثر منه نشاطا واسراعا فكايصمهم على المشروعات المهمة على حين غفلة ويظهر العزم التمام في تعيينها ويحتاردا تمام الوسائط ما يكون ملائما لصمم عليه إلا أن كلا منهما كان قد تصدى لهذا الحرب لما ربه له من رية الاخر فاختلفت بكتهم في الحرب لاختلاف ما تريهما وتباين الاسباب الحاملة لهما على ذلك فوقعت بينهما الغيرة والعداوة وتفاقم امرهما لباينة طباعهما غير أن ارباب العصبية الذين كانوا تحت تبعيتهما بمحض اختيارهم خرجوا عن طاعتها حين رأوا ما وقع بينهما من الاضطراب واختلاف الكلمة فكان جيش المعتزلة اشبه بدولاب كبير اجزأه غير محكمة التركيب وليست فيه الالة اللازمة لتنظيم حركته فعملياته قليلة بدون ثمرة

مطلب
وصول عساكر البابا الى الإمبراطور

ولما كان الإمبراطور يحشى أنه ما دام مقبلا بمدينة راتسبون لا يمكن لعساكر البابا الوصول اليه ارتحل من هنه المدينة ونوغل في السير مع الجسارة وقوة القلب حتى وصل الى لندسهوت على نهر ايزير ومكث المعتزلة عدة ايام وهم يتذكرون في شأن حقوقه باراضى الدوق ودوايرة وكان هذا الدوق بمعزل عن الفريقين وبعد التوقف الكلي اخذوا في السير الى معسكر الإمبراطور فكتمهم عدلوا على حين غفلة عن هذا المشروع وصمموا على الهجوم على مدينة راتسبون وكان الإمبراطور لم يدع فيها من المحافظين الا طائفة قليلة وفي اثناء ذلك وصل عساكر البابا بتمامهم الى لندسهوت ووصل اليهم ستة آلاف من العساكر الاسبانولية القديمة كانت قد جمعت من بلاد نابلي ومن التفت

الى مبدأ امور المعتزلة حيث امروا شربيل بالعدول عن مشروعه المهم رأى
انهم كانوا يريدون أن السبل تبقى مفتوحة أمام هذه العساكر لتصل الى المحل
الموعود مع الامن والاطمئنان مع أنه كان الواجب عليهم أن يجمعوا على هذه
العساكر وعلى الايبراطور قبل وصولها اليه وكان الجيش الايبراطوري اذئذ
يتلخ ستة وثلاثين الفا ولكنه كان مهولا يخشى بأسه لضبطه وربطه وشجاعة
رجاله وقد ذكر الشهير آويله حكيم دار القنطرة (احدى مدن اسبانيا) وكان
ثقة معتبرا شهد جميع حروب الايبراطور وخدم في الجيش الذي انتصر في وقعة
باويا والجيش الذي فتح تونس وغاز على مملكة فرانساً أنه لم يرا صلحاً جيشاً
مهولاً مثل هذا الجيش الذي اعتهه الايبراطور لقتال معتزلة ألمانيا وكان
الامير اوكلوف غرينز حفيد البابا قائد العساكر البابا باعانة ضباط ماهرين كانوا
قد تمكنوا وتميزوا بالتدريب وتقدم العهد في الحروب الطويلة التي وقعت بين
الايبراطور ومملكة فرانساً وكان يجمعه اخوه الكرديتال فرينز بونيفة
النيابة عن البابا وكان هذا الكرديتال يرى أن الحرب مع المعتزلة جهاد في سبيل
الله فطلب أن يسير امام الجيش وتحمل أمامه صورة الصليب وأن يخف بالكرزايا
والخصائص كل من أبعانه كما وقع نظير ذلك في الغزوات الصليبية مع الاسلام ولكن
لم يرض الايبراطور بهذه الامور لانها تخالف ما وعده المعتزلة الذين انضموا
الى حربه فلما رأى الكرديتال أن التدين بدين المعتزلة مباح في معسكر
الايبراطور مع أن القصد من الحرب انما هو ازالته ومحو اثره امتنع بحال الغضب
وسافر الى بلاد ايطاليا

ولما وصلت عساكر البابا الى الايبراطور زاد في عدد محاقلي مدينة
راتسبون فأتى المعتزلة من التغلب عليها وقصدوا انغولستادة وهي مدينة
على نهر طونة وكان الايبراطور معسكره هناك وكانوا من الزوايتة يظلمون منه
لأنه يكونه هناك حرمة قوانين الايبراطورية واحترق رسومها ودعا الاجانب
لغزيب اراضيها واعدام حريتها وكان المعتزلة اذئذ الشيعة يغيضون كنيسة رومة
اشتد بغضا حتى كانوا يفرعون من كل مشروع يجمعون فيه اسم البابا فاشاع

سنة ١٥٤٦

يقين التلمن أن البابا بولس لم يقتصر على قتال المعتزلة بل بعث رسلا من طرفه إلى بلاد ألمانيا ليصرقوا مدائنهم ويحرقوا ديارهم ويضعوا السهم في الآبار والعيون

ولهذه الأشاعة وإن كانت تستبعد العقل الرجعة والافهام الصحيحة ولا يصدقها الأعوام الناس وجهلهم الأنهار سجت في أذهان الرؤساء قشروا تقريراً ذكر وافية أن البابا قد ارتكب هذه الأمور لا تلافيهما وأهلاً بهم وإن كل من هنالك ما يعتد به عنهم في ظنهم هذا الظن فليس الاقبح سلوكاً كالبابا حيث كانوا يعتقدون أنه يسوغ فعل كل شيء في حق من اعتزل وكنفر بدين الكنيسة فلم يتق فاحشة الأفعالها ولا كبيرة الأارتكبوها يلاذ المعتزلة وازدادت مصائب الحرب المعتادة بما كانت تسوقه عادة الحمية الدينية للعقول

مطلب
تقدم المعتزلة جهة
جيش الإمبراطور

ولكن أعمال الجيشين لم تكن بقدر ما كان في قلوب الفريقين من العداوة والبغضاء الشديدة وذلك أن الإمبراطور لحزمه صمم على اجتناب القتال مع المعتزلة بحيث رأى أن جنودهم أكثر عدداً من جنوده وأدرك أن مثل هذه العصبية الموافقة من أناس لا التئام بينهم لا يضمن المحال لها وتبدد أمرهم لما يحصل الهجوم عليها فانها في هذه الصورة تستنفذ ويضطر أربابها إلى الالتئام واتفاق الكلمة وكان المعتزلة يعرفون أنهم إن سلكوا في هذا المشروع مسلك المهلة والتراخي خسروا كل الخسران ومع ذلك فلضعف رؤسائهم واتفقوا على الأمر بينهم لم يندلوا في تمييز أمورهم ما كانت تستدعي أحوالهم أذالتمن فرط الهمة ولا ما كان قائماً بقلوب العساكر من الغيرة وشدة الحمية وذلك أنهم لما وصلوا إلى مدينة أنغولستادة وجدوا الإمبراطور نازلاً هنالك في معسكر غير محكم الوضع في حد ذاته وليس حوله من الحصينات والتأرييس إلا أشياء واهية قليلة وكان أمام هذا المعسكر سهل واسع جداً بحيث يسع جيش المعتزلة بتمامه وتبقى لهم مسافة كبيرة تكفيهم في حركاتهم العسكرية وعملياتهم الحربية وبالجملة فجمع المقتضيات أذال ذلك كانت تستدعي أن المعتزلة ينتهزون تلك الفرصة ويهجمون على معسكر الإمبراطور حيث كانوا أكثر منه جنداً وكانت عساكرهم أشد حمية من عساكره

١٩ من شهر آب

(سنة ١١٥٤٦)

فانهم كانوا يودون الا قتال وكان فيهم من المشاة الالمانية صناديد ابطلو وغول
رجال لا يرهون القتال وينبتون في المعركة كرواصخ الجبال فكل ذلك كان يثبت
لهم النصر ويعينهم على الظفر بعدوهم وكان حاكم هيسه يرغب في القتال على
اى سالة كانت حيث قال انى لو كنت مطلق التصرف لالتقى الجمعان وظهر
الغالب من المغلوب ولكن كان منتخبه سيكس يفكر في شجاعة العدو وحسن
ضبطه ووربطه لاسيا ووجود الایمراطور بين عساكرهما يزيدهم حمية ونشاطا
وضباطهم امهر وضباط ذلك العصر فقال انه ليس من الصواب القتال مع
رجال قد شبوا في العسكرية وشابوا لاسيا وقد انتخبوا معسكرهم على حسب
مرغوبهم فهو وان كانت تحصيناته قليلة الا انه يعينهم اتم الاعانة على عدوهم
ومع ذلك انحط الراى على أن يتقدم جيش المعتزلة صفافا الى معسكر
الایمراطور ويضرب عليه بالمدافع نارا شديدة لعل العساكر الایمراطورية تترجح
عنه وتخرج منه ولكن كان حزم الایمراطور يجعل عن أن يوقعه في مثل هذه
المكاييد فلم يزل مصعبا على ما كان عازما عليه فوضع عساكره خلف الحصينات
وامرهم بالتأهب للقاء المعتزلة ان هجموا عليهم وانتظر عسكر العدو حتى يقرؤا
عنه وهو في غاية الأمن والسكون ونهى عساكره أن يفعلوا شيئا مما يكون به تحريك
الغرب اوسحت على القتال وانما كان ينتقل من صف الى آخر ويحاطب عساكره
المجموعة من ملل مختلفة كل مله بلقها ويقوى قلوبهم بالبشاشة وثبات القلب
في هذه الاخطار وبقى بنفسه في الحال التي كانت عرضة لنيران المدافع اكثر من
غيرها ولم يكن معه الى ذلك الوقت من المدافع ما يساوى عدد مدافع المعتزلة فلما
راه عساكره بهذه المثابة تأسوا به ولم يتجاسر احد منهم على الخروج من الصف بل
كان الشجاع منهم يرى ان اظهار الخوف امام هذا الایمراطور العلى الهمة مما
يوجب له الخزي والمرة ولقوة قلب الایمراطور كان يظهر أن امتناعه عن
الحرب ليس ناشئا عن خوفه من العدو وانما هو من باب الحزم وحسن السياسة
فان المعتزلة بعد أن مكثوا مدة وهم بضربون بالنار على معسكر الایمراطور ولم
يروا في ذلك فائدة ولم يترتب عليه ما كانوا يقصدونه من تحريض العساكر

مطلب
امتناع الایمراطور
عن القتال

(سنة ١٥٤٦)

الاميرالطورية على الحرب رجعو الى معسكرهم وتركوا القتال واما الاميرالطور
فانه قضى تلك الليلة وهو يحصن معسكره حتى ان المعتزلة في اليوم الثاني
لما ارادوا الهجوم عليه رآوه على غاية من التحصين فقدموا كل التمدد حيث
امهلوه حتى تقوى عليهم باحكام التحصينات واتقانها

وبعد هذا السعي الذي لم يترتب عليه الا اظهار تردد المعتزلة وثبات الاميرالطور
اشتغل المعتزلة بجمع امداد جسيم كان قادما الى الاميرالطور من مملكة البلاد
الواطية مع قوتة بورين وحاولوا صدقه عن الوصول اليه وكان هذا المدد
يتبلغ عشرة آلاف من المشاة واربعة آلاف من الخيالة وهذا القوتة وان كان قد
اضطر الى السير من طريق طويلة في خلال بلدان كان بعضها يميل الى حرب
المعتزلة وكان يمكن للمعتزلة بمجردها خباوهم قدومه ان ياخذوا اسيرة من جيشهم
بالجزاوي بقصوها عليه ويفتكوا به الا انه حث السرب مع احكام الحركات
العسكرية وبطء المعتزلة وعدم حزمهم حتى وصل بجيشه الى معسكر الاميرالطور
من غير ان يلحقه اذى ضرر

وكان الاميرالطور يقول على القلنك ويعقد عليهم كثيرا فبسر دو وصولهم اليه
تغيرت الاحوال وعزم على ان يبدأ بالهجوم في هذه المرة كبدأ المعتزلة في الوقت
الاولى غير انه لم يزل يتجنب الحرب مع غاية الهمة فتغلب على مدينة فوبورج
ومدينة ديلجان ومدينة دوناورطة التي على بحر طونه وتغلب ايضا
على مدينة فورد بلنغ وعدة مدن اخرى موضوعة على اكبر النهرات التي
تصب في هذا النهر الكبير ولكن في اثناء تغلبه على هذه البلدان العديدة وقع بينه
وبين المعتزلة مقتاتلات شديدة لم يكن هو قسط الغالب فيها دائما ومضى فصل
الخريف على هذه الحال من غير ان يظهر احد الفريقين بالانسحاب ولم تظهر
علامات تدل على عاقبة الحرب وغايته وانما كان الاميرالطور في الغالب يقول انه
لا بد من حصول التفاهم والشقاق بين المعتزلة ومتى فغدت الاموال من عندهم
اضطروا الى التفرق فتصل عصبهم وتبتدشملهم وكان يلهم بذلك كثيرا ورتقبه
منع انه لم يكن هنالك من العلامات ما يدل على انه قرب الوقوع بل اخذت ذخائره

مطلب
وصول القساكر
القلنكية الى
الاميرالطور

١٠ من شهر ايلول

مطلب
حالة البلطيين

(سنة ١٥٤٣)

وعقد دوايه في التناقص حتى ان اهل الاقاليم القانولية امتزجوا بالخصب حين
رأوا العساكر الاجنبية في داخل الايمراطورية وصاروا يعطون الجيش
الايمراطوري ما يحتاج اليه من المهمات والمخازن الامع غاية الاستعزاز والنفور
واما معسكر المعتزلة فكانت تكثفه سائر المهمات واللوازم بهمة سكان الاقطار
التي يجوارها وقد حلت الامراض بمعسكر الايمراطوري بسبب تغير القطر والمطيم
حتى صار مقدار جسيم من الاسبانول والايطالين لا يعطون للتقدمة العسكرية
وكانت ماهيات العساكر الايمراطورية متأخرة لهم ومن حين خروجهم الى
الحرب لم يدفع لهم منها الا القليل فحصل للايمراطوري في هذه المدة ما حصل له
في كثير من امثالها وهو ان شوكته كانت اوسع من اراده فكان يمكنه بقوة
شوكته ان يجند الجنود الكثيرة ولا يمكنه ان يصرف عليها قلة اراده وقد ادرك
انه يصعب عليه ابقاء جيشه في ميدان الحرب حتى ان بعض ضباطه الماهرين
كالايميردوق ألبه الذي كان لا تسكل له مهمة ولا يفرغ من المشروعات الخطرة
المهمة اشاروا عليه بتوزيع عساكره الى مساكن الشتاء ولكن كان من طبيعته ان
لا تسقيه الاسباب القوية متى كان عازما على شيء فلم يقبل منهم صرفا ولا عدا ولا بل
حازا زماما على آتاع المعتزلة بالصبر والمواظبة حيث كان يجزم بأنه ان شئت
تجلبهم في هذه الفترة وخابت مقاصدهم فيما لا يعودون الى مثلها ابدا هذا وكان
لا يعلم من يسأم من الفريقين قبل الاسر فكان لا يدري هل تفره الايمراطوري
اولا او تضعف حمية المعتزلة قبله ولا من تختلف كلمته من الفتن ويقع فيه التفاهم
والشقاق فتظفر به الفتنة الاخرى ويبتا كانت العواقب مجهولة بهذه المثابة اذ
حصلت حادثه على حين غفلة فافسدت ما رب المعتزلة وخيت مساعيهم

مطلب
ما رب موريس
دوسكس

وهي ان الامير موريس دوسكس كان قد اخذ بلب الايمراطوري بما ابداه من
المخادعات التي سبق ذكرها فبجبر حصول الحرب بينه وبين المعتزلة فرح هذا
الامير وامل التجاح في تغيير مقاصده الواسعة التي كان مصمما عليها وذلك أنه
لطبعه كان غير قانع بالحصنة التي اخذها من ميراث آباءه في بلاد سكس فكان
يود حصول حرب مدق وقتن داخلية لان مثل هذه الفتن يظفر فيها اربك

(سنة ١٥٤٦)

الحسان يترامهم ولا ينبغي اضاءة فرضتها لما أنها تاديرة الوجود وقل أن يتغير
يرامه في غيرها جاسر طماع وحيث كان هذا الامير لا يجهد حال الفريقين
ويعلم ما عليه رؤساؤهم من المعارف لم يتردد في الانضمام الى الفريق الذي رآه
أوفق بمصلحته والى بقى بمنفعته فضمهم على الانضمام الى حزب الاميراطور وبانور
بذلك ليكون اقرب من انضم اليه ليحظى منه بالخيرات الجزيلة والنعم الجليلة
فتوجه لهذا الغرض الى مدينة راتسبون في شهر ايار متعللا بأنه يريد
حضور مشورة الديتة التي كانت منعقدة بها وبعد أن وقعت بينه وبين
الاميراطور ووزرائه مذاكرات طويلة اتفقت بينهما شارطة سرية التزم فيها
موريس بأنه يخدم الاميراطور مع الاتقياد والامتثال كأحد رعاياه المطيعين
والتزم له الاميراطور بأن يجعله محل الامير متخبط سكس. ويقطعه مناصبه
ويعطيه اراضيه وسائر ماله من المزايا والخصائص وقل أن يرى في التاريخ
مثل هذه المشارطة من حيث ما تضمنته من هتك حرمة الاصول والقوانين
التي عليها مدار نظام العالم وانظر الى موريس مع جيته وشدة غيرة على
الدين الجديد وكيف انضم الى حزب الاميراطور لإجائته في حوالب كان
الغرض منه بحق هذا الدين ومحوارته بالكلية والتزم فيه بمصاربة حاكم
هيسة الذي كان بمنزلة ابيه لانه كان ابازوجته وتجرده متخبط سكس
عن دونه ومناصبه منع أنه كان من اقرب الناس اليه وبالجملة فقد انضم
هذا الامير الى حليف لا يعقد عليه ولا يوثق به لاجل قتال امير له عليه
المنة والفضل باسداء النعم الجزيلة التي كانت قريبة العهد من عقد تلك
المشارطة (وهو متخبط سكس) ومع ذلك لم يكن الامير موريس من
ارباب السياسة الذين لعدم حياتهم يحقرون ما يجب احترامه متى اقتضت
ذلك مصلحتهم ويمتلكون حرمة القوانين والشعائر التي يرى عدم
مراعاتها بالمروءة ويدنس العرض واذا لم تلتف الالسياسة رأينا أن سلوكه
يكون مبنيا على الحزم والتبصر وذلك أنه دبر اموره مع ابداء ما يلائم
المروءة والادب حتى لم يظهر عليه ادنى خلل يستوجب به اللوم والتوبيخ

(سنة ١٥٤٦)

فبوجوب سلوكه هذا المسلك كان يترأى من حاله أنه حسن النية خالص الطوية
من جهة دين المعتزلة وأنه لا يلام عليه الامن حيث اعتراه بمواهب الامير اطور
وتعويده عليها ولا يبرأه كان في ذلك كغيره عن اراد التورغل في مسالك
السياسة فضل في اودية الخسران حيث أنه اود أن يغش صغيره بغش نفسه
وغابت مساعيه

مطلب
مقدّمته ومحاولة
في اخفاء مقاصده

وكان اقصى مرامه اخفاء ما التزم به للايمير اطور فاقن الخداع والمكر في هذا
المعنى حتى ان المعتزلة وان ابى الانضمام اليهم ولازم الايمير اطور لم يشكوا منه ولم
يستخونوه بل قوض اليه منتخب سكس في مبدأ الحرب حين ارتحالها الى حزب
المعتزلة امر دوله وبلادهم وجعلها تحت حمايته فاطهر له من المحبة والمودة ما لا مزيد
عليه ووعد به بأن يفتح عنها حق المنفعة ولكن بمجرد سفر الامير منتخب سكس
وبعد عن دوله اخذ موريس يدبر امره سترامع ملك الرومانيين لينقلب على
هذه الوديعة التي استودعها وجعلت تحت امانيه فبعثا قليل ارسل اليه
الايمير اطور نسخة من فرمان في الامير منتخب سكس والامير حاكم هيسمة
وكان الواجب عليه أن يحمي هذه الدول التي استأمنه عليها منتخب سكس
حيث كان اقرب الورثة اليه الا أن الايمير اطور الزم به بأن يقبض على تلك الدول
فلم يعرض في ذلك لمراعاة مصلحة موريس الخصوصية وانما ذكر أنه
يجب عليه ضبط الدول المذكورة امتثالاً لامره لانه رئيس الايميراطورية
واخبره بأنه ان أبى اجراء هذا الامر الايميراطوري اشركه مع قريبه منتخب
سكس في الذنب والعقوبة

والظاهر أن هذه الحيلة كان قد املاها الامير موريس الى الايميراطور لكي
يرى أن قبضه على دول منتخب سكس انما هو بطريق الاكراه والامتنال لامر
الايميراطور لامن باب الاقتيات والتعدي على قريبه ولكنه قصد أن يخفي
مقاصده واطماعه بعمل حيلة اعظم من الاولى مكرًا وتديراً لجمع عند رجوعه
من مدينة راتسبون مشورة مأموريته وقال لاربابها حيث ان الحرب لا بد
من وقوعه بين الايميراطور وعصبة شمال كالد فانا نحتاج لان نبذوا آراءكم

(سنة ١٥٤٦)

في هذا المعنى وتفيدوني ما ينبغي لي فعله في تلك المادة وكان أرباب هذه المشورة
يعرفون غرضه على المعرفة قبل ذلك ومستعدين لاجابته فيما يريد فلما رأوا عليه
أن يقتضى للإصلاح بين الفريقين فلن امتنع احدهما من قبول الصلح عقد مع
الإمبراطور مشاركة على أنه لا يضرب دين المعتزلة وبعد عقدها يطبع الإمبراطور
ويجعل يقتضى مرامه وفي أثناء ذلك وصلة الامر بالإمبراطورى مع خبر الحكم على
كل من منقلب سكس وحاكم هيمه بالنفى بجمع المشورة ثانية وعرض
على أربابها الامر الصادر له من الإمبراطور وتهدده بالعقاب اذا هو لم يمتثل
وافهمهم ايضا أن المعتزلة لم يرضوا بوساطة في الإصلاح بين الفريقين وأن
الإمبراطور وعده بمواعيد مستحسنة في شأن عدم الاضرار بالدين الجديد وذكر
أن مصلحة تقتضى أنه يدافع عن اراضى دوقية سكس ولأن المعتزلة تلجأ
بها يضرب كل الضرر ولما رأى أن رعاياه ينجحون الى مثل غرضه اراد أن يفعل
في هذه الصورة الصعبة بمقتضى ما يشيرون عليه به فعول أرباب هذه المشورة
على مواعيد الإمبراطور حيث كانت تتضمن أنه لا يضيق على الناس في شأن
الدين الجديد وعرضوا على اميرهم موريس أن الاصوب أنه قبل شروعه
في الاستيلاء على بلاد سكس يكتب عن لسان المشورة الى منتخب سكس
ما معناه ان احسن واسطة في تسكين غضب الإمبراطور ومنع استيلائه على
دوله بطريق التغلب او ظلمها في سلك الجفالك هو أن يرضى بكون موريس
يستولى عليها بدون حرب ولا قتال فتكتب بذلك كتابا من طرفه الى الامير حاكم
هيمه والذريعة فلما بلغ ذلك منتخب سكس امتزج بالغضب وبذ الكتاب
واحتقره لما اشتمل عليه من هذا الخبر المسيء فكتب حاكم هيمه الجواب الى
موريس يلومه فيه ويوجهه على ما عزم عليه من الحياة والافتيات على منتخب
سكس مع اعتدائه عليه بالخيرات والنعم وأخبره أن تعمله بتنفيذ اوامر
الإمبراطور لم يصادف محلافان الحكم الصادر منه بالنفى لاغ لا يعمل به لعدم
استيلاكه للشروط اللازمة ولكونه لم يصدر الا عن مجرد اختياره ومحض ارادته
ونظم الكتاب بكونه ترجاه أن لا تقره موجبات الطبع حتى ينسى ما توجه عليه

(سنة ١٥٤٦)

شعار المروقة وشرف العرض وشروط الصداقة والمحبة فيغدربدين المعتزلة حيث
ثبت باقراوالبابا أن القصد من الحرب انما هو تحقيق هذا الدين بالكلية حتى
لا يبقى له رسم ولا اسم يلاذ ألمانيا

ولكن كان موريس قد تعاهد مع الامبراطور من قبل معاودة كنيحة
بحيث لا يمكنه العدول عنها بجز ولا بوج ولا إقامة براهن جلية فلم يلتفت الا إلى
تعزيز ما كان دبره بالحيلة والخذاع وسلك مسلك الجسارة في تخصيص قصده كما سلك
مسلك التحيل في تدبيره فجمع جيشا يبلغ اثني عشر الف مقاتل وهمجة على
جزء من بلاد سكس وهم الملك فردينند على الجزء الآخر مع جيش جمعه
من اهل بلاد بوه والجوارقزا موريس غزوتين عظيمتين هزم فيهما
العسكرة التي كانا يتبها منتصب سكس في دوله لاجل حمايتها والمدافعة
عنها وتغلب على جميع بلاد سكس ما عدا مدينة ويرتانبغ ومدينة
عوطه ومدينة ايرناخه لان محاذي هذه المدن كانوا يفتك من الشجاعة
والمهارة فابوا التسليم وعمال قليل وصل خبر ذلك الى كل من معسكر الامبراطور
ومعسكر المعتزلة وترتب على هذا الخبر في المعسكر الاول غاية الفرح والسرور
واما المعسكر الثاني فاغاط ذلك اهل غيطا شغيدا وهالهم امر هذا الخطب
وصاروا يلعنون موريس بكل لسان فكنت لا تسمع اسمه الا مقرونا
بالسب والنسيب والقدح والسب القطع فتسارة يقولون انه جاحد منياق
قد رفض الدين الجديد وقض عهوده واخرى يقولون انه خان غادر بالحزبة
الجرمانية وطورا سمعهم يقولون هو قليل المروءة مخدوش العرض لهتكم
حرمة الحقوق الواجبة الاحترام كحق القرابة وحق شكر النعم وبالجملة فلم يبق
شي من انواع المذاق والهجو والقدح الا قيل في حق هذا الامير فكنت تسمع من
افواه المعتزلة ما تقتصر عن الافصاح به العبارة من المذاق والمسابات ولكن
كان موريس معولا على مكره وخذاعه طامعا انه يبرأ بذلك عند الناس
فتشر عريضة تشتمل على جميع الاسباب الضعيفة والعلل الواهية التي تعلل بها
اولا بحضور ارباب مشورة مأموريته وذكرها في المكتوب الذي ارسله الى حكم

مطلب
تغلب موريس على
دول منتصب سكس

سنة ١٥٤٦

مطلب
عرض المعتزلة
على الاميراطور

هبة
ولما بلغ منتقب سكس أن موريس اغار على بلاده اراد أن يتوجه اليه
بالسائر اللازمة لتأديته واعتاقها فاجتمع وكلاء عصبه سالكا في مدينة
هلم والحواطيه كل الاخلاص حتى جالوه على ايشار المصلحة العامة وترجيحها
على مصلحة دوله فعدل عن هذا التصدد لأن رعاياه كانوا على مدى الاوقات
يكتبون اليه بالحضور عندهم لينتقدهم من ظلم موريس وقسوة الجمار الذين
كانوا يفعلون معهم ما كانوا يستحلوه في حريمهم مع الدولة العثمانية من السلب
والنهب والقتل ونحو ذلك فازدادت حجة الامير منتقب سكس وألح كل
الاخلاص حتى لم يمكن وكلاء عصبه سالكا أن يمنعوه في هذه المرة ويصلوه
على العدول عن التوجه الى بلاده وان كانوا يرون أن انفصاله عن جيش
المعتزلة تكون عاقبته سيئة مشؤومة عليهم ولكنهم قبل أن يحكموا بشئ في شأن
ارتياله اومكنه توجهوا الى معسكر المعتزلة في جيانجيان على نهر براتزو
ليشاوروهم في هذا الامر فحضر المعتزلة فهايدونه في ذلك فكانوا من جهة
يترعون من تخلي بعض حلفاء حزبهم وقصورهمة الباقين ويخافون أن اتصال
الحرب وشدايده لا يكابدها الا اهل الحجة الدينية الذين يحاطرون بأموالهم
وانفسهم في حماية الدين وكانوا من جهة اخرى قد قنن همتهم حيث لم يمكنهم
تحصيل مدد من الملل الاجنبية وكان فصل الشتاء قد اشتد عليهم حتى ان معظم
العساكر بل والضباط كان يضطر الى ترك الخدمة فيجميع هذه الاسباب رأى
المعتزلة أنه لم يبق لهم وسيلة سوى الصيام بفترة على الجيش الاميراطوري
ليصلوه على الحرب او المداولة مع الاميراطور قصد الصلح ولكن كان الفرع قد
استولى على قلوبهم وداخلهم الرعب وتقور الهمة فرجوا اسهل هذين الامرين
واوقفهم اياهم وقوضوا لوزير الامير منتقب براندبورغ أن يتداول مع
الاميراطور في شأن الصلح نيابة عنهم

مطلب
امتناع شيكان عن
الصلح

فلما لاحظ الاميراطور أن هذه العصبه المتكبرة التي كان يحنى منها أن تطرده
من بلاد ألمانيا قد تبازلت حتى بدأت بطلب الصلح ظن انها قد صابت

شوكها وقوت همتها وحيتها وزال ما بين اربابها من الاتصاف والالتصاف فأخذ
يسلك جمعها مسلك الغالب القاهر حتى كأن المعتزلة قد صاروا في قبضته
يتصرف فيهم كيف شاء واخبر أنه لا يقبل الصلح معهم الا اذا سلم له الامير منتجب
سكس امره ودوله يتصرف فيه وفيها كيف يشاء ولو فرض أن الامير اعطى
طلب هذه الشروط في وقت قنوط المعتزلة وبأسهم لما اطاعتها قوسهم فمن ثم
رفضوا وردها على الامير اطور مع الكبر والعنفوان حيث لم يكونوا عاجزين
مغلوبين وانما كانوا في ورطة وارتباك مما وقع بين ارباب عصبتهم من الاختلاف
والشقاق ولكنهم مع امتناعهم من اجابة الامير اطور فيما طلب لم يذلوا همتهم
في التثبت بوسيلة لم يكن لهم سواها اخذوا في حفظ حرياتهم واستقلالهم
وهي لتحاد عصبتهم والتصامها وعدم تفرق اعضائها فان ذلك وحده كان السبب
في فرغ البعد وخوفه منهم حتى ان حزب الامير اطور كان قد عزم على الرجعة
غير مرة فلما استقر المعتزلة على الاجتماع والاتحاد لارهبوا الامير اطور وبنوا
بأسهم ووصلتهم مع ما حصل لهم من الخسران في بلاد سكس ولكنهم لما صمم
الامير منتجب سكس على الذهاب الى دولة لينقذها عن افات عليها وألمح
عليهم في ذلك كل الاطاح رضوانه بالذهاب اليها وانفصلوا عن بعضهم وتشتت
جيشهم ولم يبق منه الا تسعة آلاف في اقليم ويرانا مبرغ لاجل حمايته وحماية
الدائرة التي بأقصى بلاد ألمانيا وتوجهت منه طائفة كبيرة مع منتجب
سكس ورجع الباقي الى بلاده مع رؤسائه وتشتتوا فيما عن آخرهم

مطلب
شباب عساكر المعتزلة

وبعجز دشتات جيش المعتزلة صارت عصبتهم غير مهابة ولا مخوفة وداخل كل
واحد من اربابها الرعب والفرع حيث صار وحيدا وعرضة لتفكك الامير اطور
وحقده بعد أن كان آمنا على نفسه اعتمادا على اتحاد العصبة والتصامها ولم
يجهلهم الامير اطور حتى يتناولوا مع بعضهم ويعقدوا عصبة اخرى بل بعجز
تفرق جيشهم توجه بعساكره مصحبا على القتال واتهاز تلك الفرصة التي كان
ينتظرها منذ زمن طويل مع شدة القتر والبراد ذاك فتفتت له ابواب عدة فلاح
صغيرة مع أنه كان بها حاقطون من طرف المعتزلة وعمال قليل دخل تحت طاعته

مطلب
دخول اغلب ارباب
عصبة المعتزلة تحت
طاعة الامير اطور

مدينة نوردينغ ومدينة رونانبرغ ومدينة هالة وكلها من اللدائن
الإمبراطورية الكبيرة ولكن لم يمكنه أن يمنع منتخب سكس عند رجوعه من
ضرب مغارم جسيمة على مطران مانسة وقسيس فولد وغيرهما من الأمراء
التقليدية غير أنه تسلى عن ذلك بتسليم مدينة هلم التي هي من أعظم مدائن
سوابه وكانت ممتازة عن غيرها بشدة لليل إلى عصابة المعتزلة وبمجرد تسليمها
تأسى بها سائر أرباب عصابة المعتزلة حيث أراد كل منهم أن يسادر بالدخول
تحت الطاعة قبل غيره ليفوز من مرضاء الإمبراطور بالحظ الأوفر ويكون
صلحه معه على شروط سهلة مستحسنة وكان الأمير منتخب بلاطين قد
وعد أن يكون بمعزل عن الفريقين مع ذلك قد بعث إلى عصابة المعتزلة أربعة
آلاف فرس وهذا المدد وان كان قليلا في حذاته ولا يعد من الاعانات لمعتزلة
الآن إلا الإمبراطور استعظم ذلك وعدته ذنبا كبيرا من هذا الأمير فالزمه في تسليم
ذلك بأمور اخضعت به إلى الهوان والمذلة واستولى الرعب والفزع على قلوب
أهل مدينة اوكسبورغ حين رأوا انهزام المعتزلة من سائر الجهات
فقرءوا من مدينتهم الشجاع شرتيل ورضوا بالشروط التي أزمهم بها
الإمبراطور

وأما الأمير دوق ويل تانبرغ فإنه وان بادربالدخول تحت الطاعة إلا أنه
لم يكتسب العفو بالسهولة بل اضطر إلى طلب العفو من الإمبراطور وهو جاث
على ركبته بين يديه ولم يزل العقوضه الايشق الانفس

ولم أرأت مدينة ماخينجان وغيرها من اللدائن الحرة التي في إقليم سوابه
أن أعظم حلفائها واقواهم شوكة قدرتها وتخلي عنها لم تجد وسيلة في الأمن
على نفسها الا اتقيادها للإمبراطور فاجرت بالدخول تحت طاعته وكذلك مدينة
استراسبورغ ومدينة فرنكفورت اللتان على نهر مان فانهما
وان كانتا بعيدتين عن هذه الاخطار بادرتا بالتسليم فذلك تشتت في طرف مدة
خليلة عصابة المعتزلة وفترق اعضاؤها بعد أن كانت لقوة شوكتها يخشى منها على
الكبرى الإمبراطوري ولم يبق احد من أربابها مشهرا الحرب الا حاكم ويسة

مطلب

الزام الاميراطور للمعتزلة
بشروط صعبة

ومتقرب سكر ولكن لم يعترف الاميراطور به خالها مما تحت الطلعة حيث
كان قديماً الامر بالاستقام منها هذا ونبغى أن تنبه على أن من دخل تحت طاعة
الاميراطور لم ينل منه العفو الا على شروط صعبة لانه لما رأى أن يده فوق ايديهم
سلب منهم ممالك الكبر والعنفوان فاضطر جميع الامر أو رسل المداين الى الوقوف
بين يديه موقف الذل والانكسار وقضت عوا اليه يسألونه العفو والتصريح عنهم
فغضب عليهم مغارم جسيمة لانه وقتئذ كان محتاجا الى الاموال فاعطوه ما فرضه
عليهم بدون توقف فدفع اليه الامير دوق وبرتانبورغ وثلاثة الف اميركو
ومدينة او كسبورغ مائة وخمسين الفاً ومدينة هلم مائة الف ومدينة
فريتكفورت ثمانين الفاً ومدينة مامينجيان خمسين الفاً وكل دولة او مدينة دفعت
من الاموال على حسب ثروتها وقد ذنبها في الخروج عن الطاعة والزمت زيادة
على ذلك بالتخلي عن عصبة المعتزلة وبإعانة الاميراطور اذا استعان بها في تنفيذ
القرمان الذي صدر منه بنى منتخب سكر وحاكم هيسة ولكن مع الزامه
لهم بهذه الشروط لم يعرض لشي مما يخص الدين • وقد اشتد الرعب والفرح
بقلوب ارباب عصبة ممالك كالد حتى نسوا الغيرة التي كانت تقوى قلوبهم الى
ذلك الوقت في شأن الدين وصاروا لا يشتغلون الا بما فيه امنهم على انفسهم خاصة
ولم يجسر احد منهم على أن يعرض للكلام في شأن الدين لعدم تعرض الاميراطور
لذلك لآن اهل مدينة مامينجيان خاطر وبانفسهم ومطلبوا من الاميراطور أن
يعدمهم بالحماية وعدم التعرض لهم في الفسك بدين المعتزلة قبل وزراء
الاميراطور تقريرهم في هذا المعنى على وجه (مهم به ترك هذا الغرض والسكوت
عنه

وكان منتخب كولوينا مع الحكم الصادر في شأنه من البابا لم يزل باقياً على
منصب المطرانية برضاء الاميراطور واقاراه فلما ثبت الظفر لشركا كل
الاميرالذ كور على الامتنان لحكم البابا وتنفيذ امره فلحقته وزهده نزل عن
منصبه بالطوع والاختيار حقناً لدم رعيته ومنعاً لجعلهم عرضة لاهوان الحرب
والقتال وأثر المعتزلة والتمسك بدينه على ايقاظ الفتنه والبعث كبر على الناس

٢٠ من شهر
كانون الثاني

(سنة ١٥٤٧)

مطلب
رجوع الأمير منتخب
سكس إلى بلاده
واستيلانه عليها

بتصديده للعرب رغبة في حفظ منصبه مع أن الحرب مجهول العاقبة لا يدرى
هل يتم له أو عليه.

وأما الأمير منتخب سكس فيوصل إلى ضواحي دوله ولم يتيسر للأمير
موريس أن يجمع العساكر اللازمة لمقاومته ومنعه فاستولى في أقرب وقت
على بلاده وأخذ من بلاد الأمير موريس إقليم ميسية وبرده عن
هزارا باضيها ماعدا مدينة درسهه ومدينة ليسيك لانهما كانتا
منبعثين حصنتين فلما اضطر موريس إلى ترك الحرب والالتجاء إلى حقن
حكومته صاريحت إلى الإمبراطور بريدأ بعد آخر ليقضه على ما حل به من
الخطار والخط عليه في المسير إليه لاعتائه على عدوه وكان الإمبراطور وقتئذ
مشتغلا بأشراط الشروط على عسبة ، مما كالد غرعى أنه يكتفى
في ذلك أن يرسل إلى بلاد سكس الأمير ألبيرت ملتزم براندبورغ
أنسباخ معصوبا بثلاثة آلاف من العسكرو كان هذا الملتزم يصلح لئلا
هذه المشروع أتم الصلاحية ومع ذلك حضر إليه منتخب سكس وقتل معظم
عساكره وشتت شمل الباقي بل وأخذ أسيرا فازدادت بذلك حيرة موريس
واختل نظامه وكان لابد من التفرقه والظهور عليه لوعرف منتخب سكس
أن ينتهز هذه الفرصة النفيسة التي اسغفها بها الدهر ولكن كان عن طبعه البطء
والتردد سواء استقل بالحكم على الجيوش أو شاركه في ذلك غره فلم يحصل منه همه
ولأنشاط الأفي مفاجأة الملتزم ألبيرت وعوضا عن كونه يسادر بالسير
إلى موريس بعد أن نزام هذا المدد الذي جاءه من طرف الإمبراطور رضى
بمعارضه عليه موريس في شأن الصلح لعدم حرمه وقلة تبصره في العواقب
فان موريس لم يكد اعلم يكن غرضه من طلب الصلح إلا المشاعلة وتطويل
الحرب حتى يسغفه الدهر بالاعانة

مطلب
عجز الإمبراطور عن
الهجوم على منتخب
سكس وحاكم هيسه

وكانت مقتضيات الأحوال اذ ذلك لا تسوغ للإمبراطور أن يتوجه لاعانة
خليفه موريس وذلك أنه بعد شتان جيش عسبة المغزاة سرح قوته
بجورين مع العساكر القليلة لتخف عليه المصاريف معتقدا أن العساكر

(سنة ١٥٤٧)

الاسبان يولية والامانية باخضامها الى عساكر البلبا تسمى في فتح المعتزلة
واذ لا لهم ولكن كان البابا يولس قد ندم على معاهدته مع الایمیراطور
وكان اهل البنادقة لحزمهم لم يرضوا الدخول في تلك المعاهدة وفحصوا البابا
ان لا يتعاهد مع الایمیراطور فلم يقبل نصيحتهم ولم يبق من غفلة في هذا المكنى
الابتدع الجيش الایمیراطوري وتد مير عصبه المعتزلة في اقرب وقت لانه لما رأى
ذلك نسي جميع ما كان يؤمله في ظفرو على المعتزلة من الفوائد والمنافع ولم يصب
عينه سوى الخطأ الذي ارتكبه باعانة الایمیراطور على توسيع شوكة حتى ظلم
اهل ألمانيا واضعف شوكتهم وفتح له طريقا في التغلب على بلاد ايطاليا
والتصرف المطلق فيما قلما ادرك عدم اصطناعه في ذلك اجتهد في اصلاح ما فات
فصعدت اوامرهم الى حفيده الامير فرينزة بدون أن يعلم الایمیراطور
أن يعود بين معه من القصاص كسر ريعا ورجع في الاذن الذي كان صدر منه
للایمیراطور أنه يأخذ من اسبانيا بعض الاراضي القيسية وكان ثم للبابا
اسباب يتسكن بها في اخذ عساكره منها أن شارطته مع الایمیراطور كان
اجلها ستة اشهر وقد اقتضى ومنها أن عصبه المعتزلة تشتت وتفرقت بالكيفية
مع أن الغرض من معاهدته مع الایمیراطور انما هو ابادتها وتد ميرها ومنها
أن الایمیراطور في مفاوضاته ومداولاته مع من دخل تحت طاعته من المدائن
والانحاء لم يشاور للبابا ولم يتفكر في اعطائه شيئا من البلاد التي قصها ولا من
الاموال الجسيمة التي جمعها ومنها أنه لم يسمع اصلا في ازالة الاعتزال ولا في نشر
الدين القساويلي في البلاد التي كان بها منبوذا ممنوعا مع أن هذين الامرين كانا
هما الغرض للبابا حين عاهد الایمیراطور واعانه بالرجال والاموال وهذه
الاسباب وان كانت مقبولة مسلبة الآن الا لایمیراطور لم تحف عليه مقاصد البابا
بل علم أن السبب الحقيقي في ذلك انما هو غيظه منه وكان الامر الصادر من
البابا يرجع العساكر اخر امير ما يتيا فلم يمكن منعهم عن السفر فاخذ
الایمیراطور يتشكى ويتظلم من خيانة البابا وغدره حيث تحفل عنه بدون
موجب ولا مقتض وتركه حين اشرف على تقيم حرب انوقد بطلبه والحاجة

مطلب
اخذ البلبا الجنود

• (المقالة الثامنة) •

(تاريخ الإمبراطور شرلكان)

٢٤١

(سنة ١٥٤٧)

ويترتب عليه لو تم غزاهم كمنية وتأيد بنه وزيادة على ذلك كان يهدد
إليساو بلومه ويشنع عليه فلم يكن لذلك كله تأثير عند البايا بل استقر عساره
على السير إلى بلاد إيطاليا وقد نشر البايا بضاعة يري فيها نفسه ويرد
على الإمبراطور كلامه وقدحه وذكر فيها ما يدل اتم الدلالة على رغبته عن
الإمبراطور وخوفه من ازدياد شوكة فلبارأي شرلكان أن جيشه
قد قل عدده بارساله منه جله إلى محافظته والمدائن التي سلت إليه واتصال عساكر
إليساو عنه رأي أنه يلزمه أن يجمع عساكر جديدة قبل أن يتوجه بنفسه
إلى بلاد سكس

ولاشك أن الإمبراطور كان يمكنه بهجرته وعظم وقعه في القلوب بما حازه من
النصرة أن يجمع من البلاد التي تغلب عليها من يلزمه من العساكر في قمع مخضب
سكس وقهره ولكن منعه عن ذلك الفتنة التي وقعت في جنوية على
حين غفلة وكان قد حصل قلبها تقلبات كبيرة بمجھولة الحال فاضطر الإمبراطور
إلى البحث عن معرفة أصلها والوقوف على الغرض منها قبل أن يشرع في اضرام
نيران حرب جديد يلاذ ألمانيا وذلك أن صورة الحكومة التي ترتبت
في جمهورية جنوية حين رد إليها الامير اندره ذو ذنبه حريتها كانت
مستحسنة مقبولة بحيث تصلح لإزالة ما كان بهذه الجمهورية من الفتنة
والتعكيرات وكان قد رضى بها اهل جنوية كافة وحظ منهم محل المقبول
والاستحسان فلما مضى عليها عشرون سنة قام بعض اهل تلك الجمهورية الذين
من دأبهم التعكير واضرام نيران الفتنة وأبى تلك الصورة وامتنع من قبولها وكان
المنوط بإدارة المصالح اذ ذلك عائلات مخصوصة من عائلات الاشراف والاعيان
فشأت الغيرة من ذلك في قلوب سائر الاشراف وودوا أن ترتب الحكومة
الالهية ثانيا لتعودهم عليها وكان الامير دورية لعفته وخصاله الجيدة
وعدم اغراضه وكثرة معارفه وفضله محترما ما يابيه بينهم ومع ذلك غار منه بعض
الناس حين رأوا أن كلمته هي العليا في جميع مشاوير الجمهورية وكان يجب على
إليساو وطله بمقتضى سنه وعفته وشدة ميله إلى الحرية أن يعتقدوا فيه أنه

مطلب
الفتنة الحاصلة
في جنوية قصد
تغيير حكومتها

مطلب
قصد العاصين
وغرضهم

لا يتعدى أبداً حدود شوكته ولا يرتفع ما يدنس آخر عمره بهدم أركان
 الحكومة اللطيفة التي قضى حياته في إقامة دعائمها وتشديد هياكلها وتطعيمها
 على تقويتها وتأسيدها ولكن خشي الجنويزة أن الحكومة مادامت
 جمهورية ربما تغلب عليها انسان غير أندريه دورية ~~ال~~ كثر من طمعا
 وأقل منه عفة وفضيلة فيضرب بالمال كل الضرر ولقد حصل ذلك من رجل
 تعلقت آماله بنيل هذا الأمر وبداله ما طمعه فيه وهو جياتينو دورية
 وذلك أن عمه الأمير أندريه دورية كان قد وعد به بأن يوصي له عتبه موصية
 بسائر أمواله فطمع أن يخلفه في الحكم على جنويزة أيضاً وكان من الجبارة
 العتاة والسفهاء البغاة بحيث لا يصلح أن يكون وارثاً للحكومة ملوكية فضلاً
 عن حكومة جمهورية تحكمها جنويزة وكان أكثر الجنويزة حزماً
 وفطنة وأعظمهم بصراً بالعواقب فكانوا يمشون بأهه ويغضونه وبعدتونه
 عدواً للحرية التي أنبتهم همهم وله بها عليهم القتل والمنسة ~~ولكن~~ كان
 أندريه دورية قد اجتمع عن عيوبه المحبة الغير الاختيارية التي تنشأ عادة
 في قلوب الشيوخ لاصغر أبناء عائلاتهم فكان يرافقه كثير من رفقائه
 أتم الرقي حتى كان يظهر منه أن همه في بناء سعادة الجمهورية دون همه
 في رتبة قريته جياتينو المذكور

مطلب

كون الأمير فيسك
 قوتة لوانة هو
 رئيس العصبة

ولكن مع أساءة الناس الظن في مقاصد دورية وأغراضه وقد حهم في صورة
 الحكومة التي كانوا عليها يومئذ يقولون إن هذه الأسباب لا تترتب عليها سوى
 التشكي والتظلم من طرف الأهالي لو لم يكن هناك الأمير خالو ريزدوفيسك
 قوتة لوانة فإن هذا الأمير كان يترقب ازدياد غم العصاة ويتنظر شدة قلقهم
 واضطرابهم لينتهز من ذلك فرصة في ارتقاء نفسه فعزم على مشروع يعتد من
 أعظم المشروعات التاريخية وذلك أن هذا الأمير الشاب كان أغنى رعايا
 بالجمهورية وأكثرهم امتيازاً وكان يمكن من الصفات الجميلة التي تسهيل القلوب
 وتستوجب الاحترام والمحبة فكان رونق الظرف والبهاء يلوح على وجهه
 وكان لا فراطه في العطاء يبلغ كرمه حد الاسراف فكان لا يمنع عن اصحابه شيئاً

* (المقالة الثامنة) *

(تاريخ الاميراطور شرلمان)

(سنة ١٥٤٧)

يل كان يعرف مقاصدهم في فهمهم بالعطية قبل السؤال وكان يعطى الاجاب
فوق الأمل وحيث كان له تحيل غريب في استقالة القلوب اليه وكان يشوشا
بالطبع يسلك في معاملته الناس مسلك الرق ولين الجانب من غير تكلف في ذلك
فكان كان وراء هذه الصفات الجميلة التي هي زينة النوع الانساني وحليته
صفات اخرى يصلح صاحبها لرياسة الاحزاب الخطرة وادارتها وتدير امرها
فيكون لشدة طمعه لا يمتأله عيش ولكن بمكان من العزم والشجاعة بحيث
لا يكترب بالاهوال ولا يبالى باقتحام الاخطار وكان بالطبع يستكف الاحتياط
والتبعية لغيره تمثل هذه الانفة لا تطيق أن تكون تحت حكم احد فخذ هذا
لقوته الامير دوريه على ماله من الشوكه وضوء الكلمة وكان كل تفكر
أن هذه الشوكه ستثقل من بعد دوريه الى قريه جيحائينو ازيدادغا
وحرناو واوردت الافكار على هذا الرجل الحسور الطماع حتى تمكنت منه
واسبتولت على قلبه فعزم على هدم هذه الحكومة التي كان لسكره وعتوه
لا يطبقها ولا يستطيع الاقياد اليها

مطلب
دعائس العصبه
وتجهيزاتهما

ولأجل أن نخرج في مشروعه ظن أنه يجب عليه من مبدأ الأمر أن يعقد المعاهدة
مع الملك فرنسيس الاول فعرض هذا الغرض على رؤسول هذا الملك الذي
كان اذذاك بمدينة رومة وكان قصده بذلك أنه يطرده الامير دوريه وانفرد
الاميراطوري باعانة الملك فرنسيس ثم يدخل جمهورية جنويز فتمت
حماية فرانس مؤملا أن الملك فرنسيس يكافئه على هذه الخدمة
بتقليده اول منصب من مناصب الجمهورية وانا طمته بادارة مصالحها لكنه
لماعرض هذا الغرض على بعض اصداقائه كان من جلته رجل قد جارت عليه
صروف الدهر ومع ذلك كان جديرا بتفجير المشروعات العظيمة والمقاصد الخطرة
الجسيمة وهو ويرينا فافهمه أن تعرضه لمثل هذا الخطر العظيم الذي لا يعود
بالمنفعة محليه بل على غيره من باب الجنون وعدم سداد الرأي وحرضه على السعي
فيما يكون به بؤى امر الحكومة بنفسه وافهمه أن ذلك سهل مستقرب
فيجهول كونه عريق الحسب والنسب محبوبا عند ابناء وطنه وكثرة احمائه

واصدقانه فاجبه كلام ويرينا وقوع منه بموقع عظيم فعدل عما كان مصمما عليه من الاستعانة بملك فرنسا واسع ما اشار به عليه ويرينا ولم يجاسر احدا من الحاضرين على معارضة ويرينا فيما ابداه من الرأي حيث رأوا أن فيسك قد اجبه ذلك واستحسنه مع أنهم كانوا جازمين بأن هذا المشروع على غاية من الخطر والنقص الرأي فيما بينهم على قتل الامير اندره دورية والامير جيتينو واعيان حزبهما وعلى تولية الامير فيسك على الجمهورية ولكن ذلك كان يلزم لاجراء هذا المقصد من الزمن وفي اثناء التجهيز لهذا الغرض كان فيسك يحترس كل الاحتراس في اخفاء مقاصده وكنهات اغراضه حتى لا يطلع عليه احد فسلك في ذلك مسلكا حكيما حيث اظهر الانهماك على اللذات والشهوات فكان في الظاهر يصرف زمنه في المخطوط واللغو واللعب ولا يترك أي عليه أن فكر مشغول بتفسير ذلك وهو في الواقع يدير اموره مع الحكيم والاعتناء بهذا المهمة سالكا في ذلك مسلكا وسطا بين البطء والجهلة التي ينشأ عن الجزع وعدم الصبر واستقرت المفاوضة بينه وبين رسول فرنسا الذي كان بمدينة رومة في شأن طلب حياة الملك فرنسيس عند الحاجة اليها فيما بعد ولم يوقفه على حقيقة مقاصده بل تعصب بمرامع الامير فرنيزدوق برمة وكان هذا الدوق حاد اعلى الامير اطور ~~ل~~كونه ابى تقليده منصب الدوقية على برمة فكان مستعدا لاسامته في تطير ذلك بالانتقام من عائلة دورية حيث كانت تعبه وتبغض اليه وكان ايضا يسعى دائما فيما يكون به اضعاف شوكة الامير اطور سيلاد ايطاليا وكان فيسك يعلم أن جنويرة كثيرها من الدول البحرية يلزم فيها الاستيلاء على البحر حتى يتم هذا المشروع المهم فطلب من البابا اربعة اعرابه وكان البابا يعرف قصد بطريق الفن والتخمين ولم يكن لم يله عليه وانما تعلل بكونه يريد تجهيز غراب من هذه الاغربة لقتال للدولة العثمانية فجمع فيسك جملة عظيمة من اسباعه ومن الطوايق الفارة التي كانت غير مستخدمة بسبب المهادة المتعددة بين الامير اطور والسلطان سليمان فكان لا يتيسر لها القوات والمؤونة

في الحاشية الثامنة
(تاريخ الاميراطور شرليكن)

(سنة ١٥٤٧)

ومع اشتغال الامير فيسك بهذا الاحتراسات واجتهاده فيما كان لا يتراعى عليه أن أماله متعلقة بغير اللهو واللعب فانه كان ملازما للندامة كل من الامر دورية والامير جياتينو فكان يداين دورية الذي كان حقق الطوية لا يسيء الظن باحد ويخادع جياتينو مع ما كان عليه من المكر والارتباب من الناس لما كان معهما عليه في نفسه من الدعاس والفتن ولم يزل فيسك على هذه الحالة حتى دبر امره على اتم وجه ولم يبق عليه الا الاهمية بتميزها وطماشاوس مع اصحابه فيما يكون به فبح عصبته ثم استقر رأيهم اولا على قتل الامير اندر دورية والامير جياتينو مع اكبر حزبهم وقت الصلاة في الكنيسة ولما كان اندر دورية لا يحضر الصلاة الا مادر الهرمه وطعنه في السن عدلوا عن هذا الرأي واتفقوا على أن فيسك يصنع ولجة في بيته ويدعوفيه جياتينو وعه اندر دورية وسائر احبابهما واصحابهما وبذلك يسهل القتل بهم ولكن اتفق أن جياتينو يخرج من المدينة لقضاء بعض اوطاره في اليوم الذي اعد لتفجير هذا الغرض فلم يزلهم أن يعدلوا عن هذه الطريقة الى طريقة اخرى فصمموا على أن يسلكوا في ذلك سلك القوة جهرة حيث أن طرق الحيلة لم تقيد ففعلوا بجوعا على تفجير هذا الامر في الليلة الثانية والثالثة من شهر كانون الثاني وكان الوقت يسعدهم حيث كانت العادة عندهم أن الدوج على الحاكم يتغير كل سنة في اوائل هذا الشهر وأنه لا يمكن انتخاب حاكم جديد يقوم مقام القديم قبل مضي اربعة ايام من الشهر المذكور ففي هذه المدة تكون جمهورية جنويزة خالية عن الحاكم في ذلك يسهل على الامير فيسك التغلب على حكومتها

مطلب
اجتماعهم لاجل تفجير
مقصدهم

وفي صباح اليوم الموعد زار فيسك جميع احبابه واصحابه وكان يرى عليه البشاشة والاطمئنان كعادته ثم ذهب في فلهسا الى اندر دورية وجياتينو وخطاهما مع التظيم والتجيب على عادته معهما وتأمل حركاتهما وانكوارهما مع ما يقتضيه الحال من مزيد التدقيق فخرج حين رآهما على غرة

وجعل بمقصوده وفي امن كل من جهة وليس له ما علم بامر العصابة المتخربة
عليها منذ زمن طويل

ثم خرج من سرايتهما مسرعاً الى سرايته وكانت منعزلة على حداثها في حوش
كبير فكشفه جيطان عالية وكان قد فتح ابوابها من القبر واذن بالدخول
لكل من اراد سواء كان حقيراً او خطيئاً ولكنه وضع على الابواب خفراً لمنع
من اراد ان يروج واما ويرينا وغيره ممن اراد باب العصابة الذين كانوا يعلمون
حقيقة الخال فانهم بعد ان دخلوا السراية ومعهم حزب فيسيك بوصاكره
البرية خرجوا وانتشروا في المدينة مع السكون وعدم اللغط واخبروا اعيان
الاهالي الذين كانوا يفضون حكم الامير ان دره دورية ويميلون الى
ايقراط الفتنة والانضمام الى من يضرهم نارها بان الامير فيسيك قد صنع
وليمة وارسلهم ليدعواهم الى حضورها وكان اغلب من حضر في السراية
لا يعلمون القصد من جمعهم فتعجبوا حين رأوا الخوش مشغولاً برجال منسلطة
وابصروا محال السراية مشحونة بمهمات الحرب وادواته مع انهم ادعوا
الى الوليمة فصار ينظر بعضهم الى بعض بعين التصير والقرع ولا يدرون
حقيقة الحال

مطلب
خطاب الامير فيسيك
الى اجزائه

ولما كانوا في هذه الغيرة والقلق عما شاهدوه في السراية اذ ظهر الامير فيسيك
بينهم مع البشاشة وطلاقة الوجه وثبات القلب واخذ يخاطب الاعيان منهم
بقوله اعلوا أي مادعونكم لاجل الاجتماع على وليمة بل لتسامحوا في غار حادثة
عظيمة ثمرتها اثبات الحزبية لبلاد جنويزة وتخليد ذكر من تصدى اليها وبالغ
لهم في شدة ظلم الامير ان دره دورية واجحافه في الحكم واذا هم ان هذا
الظلم لا يثقل عليهم بل يزداد وتوسع دائرة حيث ان الحكومة تنقل بعده هذا
الامير الى رجل شديد الطبع وهو جياتينو لاسيما والامير بطور شر لكان
بعضه ويؤيد عائلته لانها مشغولة دائماً بخدمته ومراعاة مصلحته متعرضة
عن مصالح وطنها ثم قال لهم وانتم ايها الاما جدد مقتدرين على ازالة هذه
الحكومة الطالمة ومحوارها فبادروا بنا الى الفتك بالظلمة وتدميرهم وقد جرت

(سنة ١٥٤٧)

لكم ما يلزم لاهلاكهم واتخذت حلفاء اشدهم عضدى عند الضرورة واحترست من كل شئ غاية الاحتراس والظلمة نائمون على فراشهم آمنون على انفسهم لانهم لا يحتارهم لبناء وطنهم لا يعتنون بهم ولا يحتسبون منهم كما يحتسرون عادة من ارتكبه ذنباً او سلك مسالك البقي والطغيان بحيث يكون على غاية من النيقط والحذر خوفاً من أن ينتقم منه خصمه في نظير ما فعل فهو لئلا يها الاخوان وابذلوا الجهد معي لننقذ وطننا من ايدي هؤلاء الطلبة ولا تخشوا بأشياء ولا تخافوا خطرا انتهى فارتد هذا الكلام المعصوب بالجيسة العجيبة التي تقوم عادة بالنفس عند تفكيرها في مثل هذه المقاصد الجلية في طوبى السامعين كل التأثير وكان تابع فيسك مستعدين كل الاستعداد لان توجهوا حيث يوجههم فاقروه على مقصده واجابوه الى تعيين مقصده وكان في الاهالي كثير ممن جار عليهم الدهر واساءتهم قسوف الزمان قرحوا بذلك مؤملين أن هذه الفتنة تعينهم على استرجاع سعتهم وثروتهم واما غيرهم من كان اعلى منهم درجة لفضايلهم او علو مقامهم فلم يهتمهم اظهار ما قام انفسهم حين عرفوا حقيقة مادعوا اليه لان كلا منهم كان يخشى أن يكون من بجانبه عارفاً بالقضية راضياً بها من قبل فكان يظن أنه بين اقوام قد اجبوا الى غرض واحد فان تقوى بشئ يخالف ما اجعوا عليه هلك لوقته فبنوا الى ذلك اقترابا جميعا اعزم عليه الامير فيسك واستحسنوه واطهروا

١٠ خمساته

ربحهم ردت رتب الامير فيسك اموره على هذا الوجه وتقوى قلوب احواله بادق قبل أن يأمرهم بشئ الى المحلل الذي به زوجته وكانت من عائلة سيوا شهيرة وكان يحبها كثير الحسنها وجمالها وعفتها وكما لها ولما سمعت غناء العساكر المسلمين ونظرتهم وقد ملأوا حوش السراية علمت أن هناك فتنة تخاف على زوجها فلما وصل اليها رآها قد غرقت في بحار الفكر والفرح فبادر باعلامها بـ حقيقة الحال واخبرها بالقصد من جمع الرجال فازدادت حيرتها واشتد رعبها ركت حواشي هذا المشروع الخطر فاخذت تبكي وتضرع اليه لعله يعدل

مطلب
مخاطبة فيسك
زوجته

مطلب
هجوم المخزنيين
على المدينة

عن ذلك فلم يزل الحال كما بل لما اعتذر عليه تسكين روعها وازالة الرعب
من قلبها قطع كلامه معها بقية وتركها وانصرف معهما على تمييز ما في صحيره
قاتلها استودعتك الله فانك بعد ذلك اما ان لا تتطرين ابدا او تصبح جمهورية
جنوية غدا تحت حكمك انتهى

وعجرت وصوله الى احرابه امر كلامهم بما اراد فامر بعضهم بالاستيلاء على
ابواب المدينة بطريق القهر والغلبة وامر آخرين بالغلب على الحارات الكبيرة
والقلاع والبقى لنفسه الهجوم على المينا التي كانت بها سفن الامير اندره دورية
وانما ابقاها لنفسه لانها كانت اصعب واشد خطرا من غيرها وكان ذلك في نصف
الليل واهل المدينة نائمون على غاية من الامن والطمأنينة فينبأهم كذلك
اذا خفت عساكر المخزنيين في تمييز ما امر به واياه فتغلبوا على بعض ابواب المدينة
يدون مشقة وعلى البعض الآخر بعد مقاومة شديدة مع الحرس واما وريسا
المتقدم فاخذ غرابا من السفن التي كانت معدة لقتال الدولة العثمانية وحلصر
مدخل درسين وهي مينا صغيرة كانت مشتهة على دونها الامير
اندره دورية فعند ذلك ايس الاهاى من الخلاص وعزم الامير فيسك
على الهجوم على سفن الجمهورية من الشاطئ النهى كانت راسية عليه وكانت
خالية عن السلاح وعمما يلزم من السرعات والجبال ونحو ذلك ولم يكن بها سوى
رجال مخزنين مكبلين بالسلاسل والاغلال لا قدرة لهم على المقاومة وعمما قليل
انتشر القزع والرعب في المدينة وعمما الاضطراب والتعكير فكنت تسرع في سائر
الحارات اصوات العساكر تكرر هذه العبارة فيسك والحزبة وكان كلما
سمعها احد من الاهاى تأخذ الحمية ويبادر الى السلاح وينضم الى حزب
العامين وامتثلت قلوب الاشراف والحزب الجمهورية رعبا وفرعا وغلقوا
بساكنهم وصاروا لا يفكرون الا في حفظ انفسهم من السلب والنهب وبعد ذلك
وصل للمخرج والاضطراب الى قصر الامير اندره دورية فوثب جياشينو
من فراشه فوراً واطن أن هذا القيام ليس الا من بعض العساكر البحرية فخرج
في جماعة من اتباعه قاصدا المينا فلما وصل الى الباب المسمى سلك قوماً

وجد العصاة قد تغلبوا عليه فلما ابصره اتصوا عليه مع الشدة والحجة وذبحوه
في اقرب وقت ولا شك أن الامير اندره دوريه كان يلقي مثل ذلك لوهيم
جيروم فيسك على قصره عملا برأى اخيه قوتة لوانة ولكنهم منع عساكره
عن الهجوم على قصره هذا الامير خشية أن يهبطه فيحرم عما كان فيه من
الإموال وغيرها فلما بلغ اندره دوريه موت قريسه جياتينو وأنه هو
ايضا عرضة للهلاك لركب جواده حالا فزمن اعدائه ولكن تجاسر بعض ارباب
مشورة السنت واجتمعوا في ديوان الجمهور وخذوا يجمعون العساكر
المشتتة ويهجمون على حزب العصاين فهزمهم العصاة وطردهم ولم تمكنهم
المقاومة فجمعوا على المفاوضة معهم في شأن الصلح فبعثوا رسلا من طرفهم
الى الامير فيسك ليسألوه عن مقاصده والاولى أن يقاتلهم ارسلا اليه
ليقتلهم انهم راضون بجميع الشروط التي يشترطها عليهم

والصحيح كان الامير فيسك قد فارق الدنيا وما عليها وذلك انه بعد أن تغلب
على الدونغا واخذ يرجع الى حربه المتصور سمع غانا في سفينة الاميرال
(قبطان باشا) فغشى أن تكون هذه الغانا من العساكر المذنبين وظن أنهم
فكروا سلاسلهم وهجموا على عساكره فبادر بالرجوع الى السفينة المذكورة
لينظر سبب ذلك فاقبل به اللوح الذي كان يمشى عليه فسقط في الماء وكانت
اسلحته ثقيلة فهوى الى قاع البحر وهلك وقت أن قارب التمتع بنهار ظفره ونصره
وكان ويرينا اول من شاهده هذه الحادثة المشوومة قادر على عواقبها لم يخبر
بها الا قليلا من المتعصين وروا أنه حيث كان ذلك في اثناء الليل وقت اعتكار
الظلام مع شدة الهرج والاضطراب فالاولى كتمان هذا الخبر حتى يستولوا
على المدينة بموجب مشاركة تنعديتهم وبين ارباب مشورة السنت ولكن
فبدت عليهم آمالهم لعدم حزم الامير جيروم وفيسك وذلك أن رسل
مشورة السنت الذين قوض اليهم امر الصلح لمسألوه عن قوتة لوانة
وهو الامير فيسك اجابهم بقوله ها انا الآن الامير الذي تسألون عنه ومعي
كلهم المشوومة التي انتم معشون تصدها فخذوا بالاجابة

مجلس

ما حصل للامير فيسك وتقررت قلوب كثرين منهم وقررت همه القربى الا سحر
فامارسا الهنت قويت عقولهم بهذه الحادثة التي بدونها كان
لهم مرام وسلوكا مسلكا آخر غير مسلك التواضع والخضوع الذي كانوا
يريدون سلوكه قبل ذلك وطلبوا شروطا على حسب ما تقتضيه الاحوال التي
كانت تساعدهم وتمتدوا لتمكن ميثاقا كانوا يحاولون في تطويل المذاكرات
والمداولات كان ارباب السنث مشغولين بجمع احوالهم ليرتبوا منهم طائفة تدافع
عن ديوان مشورة السنث ومن جهة اخرى كان المتعصبون في فزع قروا من
من موت رئيسهم ولم يعتمدوا على جبروم حيث لم يكن عنده الانخفة وطيش
الشبوية والعجب فتقررت همهم ووقعت الاصلحة من ايديهم فكان اخشاء
موت رئيسهم هو السبب الاصل في اختلال العصبية واختلال نظامها وذلك
أخفا مات رئيسها وكان اغلب اربابها يقاتلون من غير أن يعلموا سر مقاصده
ولما هو قائم بضميره ولم يكن احد منهم باعلا الصولة والمعارف اللازمة للطلول
محلّه وتقيم مشروعه بطل عملها وتبدد شملها فقر كثير منهم الى بيوتهم مؤملين
أن غلاما الليل يستريحهم وانهم لا يعاقبون على عصيانهم وركن آخرون الى الهروب
والفرار ليجنوا عن ما من ياورون اليه فلم يقبل فالهار الاوهم جميعا هاربين
لم يظهر منهم احد في المدينة مع أنهم كانوا قد انصرفوا على التغلب عليها
ولما أصبح الصبح صارت مدينة جنويزة على غاية من الامن والاطمئنان
فظهر بها اعداء من الاعداء وانما بقي ببلد بعض امارمما حصل ليلا لان الفتنه
قد نشأت عنهم من التعكير اكثر مما نشأت عنها من الاضرار حيث سلك العدو
في قيامهم بمجلى المفاجأة اكثر من طريق القوة والقتال وعند المساء
الامير اندرهم دورية المدينة واهلها يزفونه باصوات المسترة والتهلل
ويقبلونه افواجا فواجا وكان لم يزل متعكرا من اخطار الليلة السابقة وكان
جثة قريبه جيا تينوا نصب عينيه ملوثة بالدماء ومع ذلك كان على باليه
لين الحبيب رؤفا ببناء وطنه حتى ان الامر الذي صدر على مشورة السنث
في حوز ارباب الفتنه لم يتجاوز حدة التشديد الذي يستدعيه حفظ الحكومة

مطلب
نشر الامن والاطمئنان
في مدينة جنويزة

(سنة ١٥١٧)

مطلب
نزع الاميراطور من
هذه العصبة

ولم يرفقه شيء بشعر بالتصديق او تصدال انتقام
ولما حصل الاحتراس اللازم منع اشتعال نيران الفتنة بعد اطمئنانها ليد ارباب
مشورة الست يبعث رسول من طوفهم الى الاميراطور شرلكان يخبره
تفصيلا بحقيقة الواقعة ويطلب منه امداد يستعينون به في الهجوم على
مونتريو وهي قلعة كبيرة صكاهم في لوان في عائله فيسك وكان
جبروم قد تحصن بها فلما وصل الخبر الى الاميراطور نجب غاية العجب وداخه
الفرح والخير ثم لم يستدق ما في قوته لوانه ولو بلغ في طمع ما بلغ وعظمت
جسارته مصا عظمت بتجاسر على مثل هذا المشروع الخطر بدون حث
ولا تعريض مودولة جنية دلهاهم أن الامير فريردوق برمة كان له علم
بتلك الفتنة ادركه حالاً أن البابا لا يجهل هذا المشروع الذي كان ابنه يحرض
على المجازة وتتميمه وفي حق هذه الفتنة قلنا انما يتبعه وان كان لا يستبعده
العقل بالنظر الى سلوك البابا بولس وهو ان البابا اتفق مع ملك فرنسا
على أن يتهزم مرة عواقب هذه الحادثة فمسر وفتنه يخشى أن تعظم
الفتنة وقضطرهم نيرانها (اذ مستعتم النار من مستنصر السوء) فيعمل
بلاد ايطاليا ثانياً الخراب والدمار وحيث ان حربه في بلاد ألمانيا كان
قد ارزاه باحضار عساكره من دولة التي خلق جمال آليه بحيث صار لا يمكنه
ان يذهب منه ابرر ندا غارة . ثم رأى انه يريه أن يؤمن بهذا لذلك
حق بمسكه بمز دعروض الخضر أن ينقل اليها علم جوده وبناء على ذلك
رأى انه ليس من الخزم أن يتوجه بنفسه الى تالان الامير متنب سكر قبل
أن يحقق هل تعصب عليه في بلاد ايطاليا عصبه تمنعه عن احتراق الحرب
لا . لكن مع الجنود اللازمة والعساكر الكافية والا
بلمع الجزء الثاني من تصاف ملوك الزمان بتاريخ الاميراطور شرلكان
ذلك ان الطباغة الفاخرة المنشأة بمصر القاهرة لعشر مدين
في القعدة الحرام سنة ١٢٦٢ من هجرة حاتم
الرسال الكرام صلى الله عليه وسلم

مطلب
نزع سره في بلاد
ألمانيا في وقت آخر

S202
S1A

